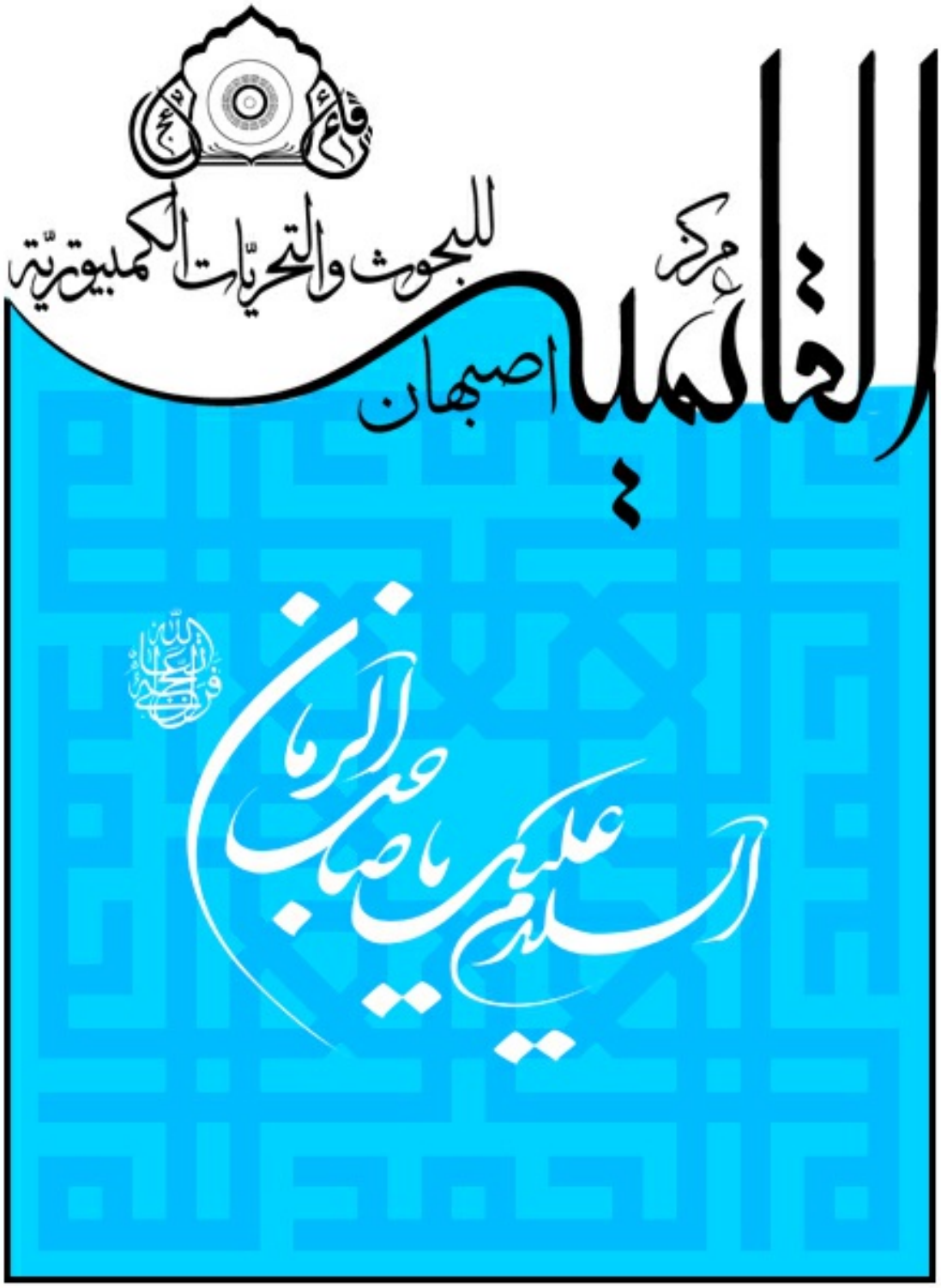

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

موسوعة
في ظلال الشهداء الطف

تأليف

الشيخ حيدر الصباغي

الجزء الثاني

إصدار

بسم الله الرحمن الرحیم

موسوعه في ظلال شهداء الطف

كاتب:

حيدر الصميانى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

موسوعه فی ظلال شهداء الطف المجلد 2 11

اشارة 11

هوية الكتاب 11

الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى الفقعسى عليه السلام 20

ديباجة 20

أقوال العلماء فيه 21

الأسرة التى ينتمى إليها الشهيد 22

اشارة 22

بنو أسد 22

بنو فقعس 22

الاختلاف فى اسم الشهيد وكنيته ولقبه 26

اسم الشهيد 26

اسم والد الشهيد مظهّر أم مظاهر 27

مظهِّر هو الأصح 28

نسب الشهيد الكربلائى 29

صحابى جليل أم تابعى قدير؟ 29

اشارة 29

الاتجاه الأوّل 29

اشارة 29

مناقشة رواية معالى السبطين 31

الاتجاه الثانى 32

يوم الفرقان 34

حبیب بن مُظهِّر الأسدی والعصمة 37
حبیب بن مُظهِّر الرجل الفقیه 40
معنی کلمة الفقیه 41
اشارة 41
المعنی الأول الواعی والبصیر 41
المعنی الثانی القَرَّاء للقرآن الکریم 44
المعنی الثالث المفتی 45
حبیب بن مُظهِّر الأسدی وعلم المنایا والبلایا 46
اشارة 46
إشکال وردّه 51
حبیب بن مُظهِّر الأسدی والانسجام مع الشباب 53
حبیب بن مُظهِّر الأسدی والعبادة 56
حبیب بن مُظهِّر مع الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام 61
حبیب بن مُظهِّر من حواریی علی علیه السلام 63
حبیب بن مُظهِّر من شرطة الخمیس 66
حبیب بن مُظهِّر فی الکوفة 69
حبیب والاجتماع الأول للشیعة 71
دور حبیب بن مُظهِّر فی ثورة مسلم بن عقیل 73
تداعیات التفرق عن مسلم بن عقیل 77
اشارة 77
أسئلة مهمة تحتاج إلی جواب 77
وقد یعتذر بعضهم أولاً 78
ردٌّ علی الاعتذار الأول 79
وقد یعتذر بعضهم ثانیاً 79
ردٌّ علی الاعتذار الثانی 79

الأسئلة تترى من جديد إلى الذهن 80
طريق لمعالجة المشكلة 80
الحسين عليه السلام يراسل حبيب بن مُظهِّر الأسدى 90
اشارة 90
كتاب الحسين إلى حبيب 90
النقاط المهمة التى حواها كتاب الحسين 91
وصول حبيب بن مُظهِّر إلى كربلاء 94
زوجة الشهيد حبيب والموقف الإسلامى 95
حبيب بن مُظهِّر الأسدى فى كربلاء 97
اشارة 97
1 - الموقف الأوّل: ويحک ياقرّة أنّى ترجع إلى القوم الظالمين؟ 97
2 - الموقف الثانى: أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم 100
3 - الموقف الثالث: أما والله لبئس القوم عند الله غداً 103
4 - الموقف الرابع: والله إنّى أراک تعبد الله على سبعين حرفاً 104
5 - الموقف الخامس: زعمت أنها لا تقبل من آل الرسول 109
6 - الموقف السادس: عزّ علىّ مصرعک يا مسلم، أبشر بالجنة 116
مسلم بن عوسجة وحبيب بن مُظهِّر 117
اشارة 117
درس كبير الأخوّة والمحبّة فى الله 117
شهادة حبيب بن مُظهِّر الأسدى 119
اشارة 119
شهادة حبيب بعد صلاة الظهر 120
قصة الرأس الشريف 123
الولد يطلب ثأر أبيه 125
الحسين عليه السلام يؤبّن حبيباً 126

مدفن الشهید حبیب بن مُظهِّر الأسدی ----- 127
مدفن رأس حبیب بن مُظهِّر ----- 132
الشهید زاهر مولی عمرو بن الحمق الخزاعی الکندی علیه السلام ----- 134
اشارة ----- 134
أقوال العلماء فیه ----- 136
صحبة الشهید لعمرو بن الحمق الخزاعی ----- 139
عمرو بن الحمق الخزاعی ----- 140
مع الشهید الکربلائی فی روایاته ----- 143
اشارة ----- 143
مزاح رسول الله مع الشهید الکربلائی ----- 144
مزاح رسول الله مع أصحابه ----- 144
مزاح بلا تفریط ولا أفراط ----- 146
الرؤیا الصالحة ----- 146
اشارة ----- 146
سؤال وجواب ----- 149
آداب وسنن التوفیق إلی الرؤیا الصالحة ----- 149
تحریم لحوم الحُمُر ----- 151
جهاده ----- 156
الشهید الکربلائی وبیعة الشجرة (الرضوان) ----- 157
الشهید الکربلائی والثورة علی عثمان ----- 158
أولاده وأحفاده ----- 160
شهادته ----- 165
الشهید یزید بن مَغْفَل المزنی الأزدی علیه السلام ----- 166
أسم الشهید واسم أبیه ونسبه ----- 166
اشارة ----- 166

والد الشهيد ... 167

عمّ الشهيد الكربلائی ... 168

اشارة ... 168

أولاً: عبد الله بن عبد نهم المعروف بذی البجادین ... 168

ثانیاً: خزاعی بن عبد نهم بن عفیف بن سحیم ... 171

إخوة الشهید ... 173

أولاد الشهید ... 176

اشارة ... 176

أ. عبد الله بن یزید بن مَغفَل الأزدی ... 177

ب. سفیان بن یزید بن مَغفَل الأزدی ... 179

حفید الشهید الکربلائی ... 182

الشهید الکربلائی مع علی علیه السلام ... 184

موقف الشهید الکربلائی فی صفین ... 192

الشهید فی کربلاء ... 194

الشهید عبد الله بن بشر الخثعمی علیه السلام ... 196

اشارة ... 196

اسم الشهید ونسبه ... 196

اشارة ... 196

قبیلة الشهید (خثعم) ... 197

والد الشهید ... 200

جبّانة بشر الخثعمی فی الکوفة ... 202

أقوال العلماء فی الشهید الکربلائی ... 203

مع الشهید الکربلائی فی روایاته ... 204

أبناء الشهید وأحفاده ... 224

شهادته ... 226

الشهيد عمرو بن قرظة بن كعب الأنصارى عليه السلام 227
اشارة 227
أقوال العلماء فيه 227
اشارة 227
والد الشهيد 229
والد الشهيد وفتح الرى 234
مع الشهيد الكربلائى 237
الشهيد رسولاً إلى ابن سعد 237
إشارة مهمة 239
رسالة الشهيد إلى المسلمين فى العالم 246
شهادته 247
المحتويات 254
تعريف مركز 262

موسوعه فی ظلال شهداء الطف المجلد 2

اشارة

سرشناسه:صمیانی، حیدر، 1336 -

عنوان و نام پدیدآور:موسوعه فی ظلال شهداء الطف/ تالیف حیدر الصمیانی.

مشخصات نشر: کربلای معلی - قم - العتبة الحسینیة المقدسة، قسم الشؤون الفکریة و الثقافیة 1434

مشخصات ظاهری:4ج.

شابک:978-964-538-250-4

وضعیت فهرست نویسی:فیپا

یادداشت:عربی.

یادداشت:کتابنامه: ص. [359] - 376؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع:حسین بن علی (ع)، امام سوم، 4 - 61ق.

موضوع:واقعه کربلا، 61ق.

رده بندی کنگره:BP41/5/ص8م8 1390

رده بندی دیویی:297/9534

شماره کتابشناسی ملی:2463263

ص :1

هویة الکتاب

موسوعه فی ظلال شهداء الطف

تالیف حیدر الصمیانی.

ص :3

* هوية الكتاب

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق – وزارة الثقافة العراقية لسنة 338:2013

الصميانى، حيدر

موسوعة فى ظلال شـهداء الطف / تأليف حيدر الصـميانى؛ [تقديم اللجنة العلمية فى قسم الشؤون الفكرية والثقافية. محمد على الحلو]. – كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية 1434 ق. 2013 Í م.

4 ج. – (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ 121).

المصادر. ISBN :9789933489694

1. الحسين بن على (عليه السلام)، الإمام الثالث، 61 4 ه –. أصحاب السيرة. 2. الحسين بن على (عليه السلام)، الإمام الثالث، 61 4 ه – . أصـحاب صفات. 3. واقعـة كربلاء، 61 ه –. شـهداء. 4. التاريخ الإسـلامى العصـر الأموى شـبهات وردود. ألف. الحلو، محمد على، 1957 –، مقدم. ب. العنوان

BP 193.13..A3.S269 2013

تمت الفهرسة قبل النشر فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

تأليف

الشيخ حيدر الصميانى

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1435 ه – 2014 م

العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية – هاتف: 326499

الموقع الالكترونى: imamhussain-lib.com

البريد الالكترونى: info@imamhussain-lib.com

مقدّمة الجزء الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

وبعد... فإن كربلاء تحوّلت بفعل العناصر التى امتلكتْها إلى جامعة كبيرة – عبر التاريخ وإلى يومک هذا وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها – ضمّت بين ثناياها أرقى وأكمل وأنبل دروس العز والكرامة والإباء والإيثار والوفاء، وما شاكل ذلک من المعانى النبيلة والقيم الإنسانية.

بل إنّ الإنسان يستطيع أن يقول بأنّ كربلاء أصبحت المعين الزلال الذى لا يظمأ من شربه أبداً، وما ذاک إلا لأجل تلک الوقفة المباركة التى وقفها رجال كربلاء متمثلةً بالحسين عليه السلام، وأهل بيته وأنصاره، أولئک الذين أبوا لأنفسهم إلا أن يخلدوا مع خلود الحسين عليه السلام وثورته المباركة.

لقد جمع صعيد كربلاء بين فئتين من الناس لا يمكن اجتماعهما على وجه الأرض أبداً مادامت السموات والأرض، فقد جمعت بين أولئک الذين كانوا يلهثون وراء الدينار والدرهم، والذهب والفضة، والجاه والمنصب، وبين أولئک الذين طلّقوا الدنيا بكل ما تحمل من زينة وأموال وأولاد، لا لشيءٍ إلاّ حباً

للحسين عليه السلام، وإيماناً به وبحركته المباركة.

فقد تنازل عمر بن سعد عن دينه ومبادئه وقيمه، وكل ما يمت إلى الانسانية بصلة، بل وما يمليه عليه ضميره، حينما خُيِّر بين أن يملك بيده كتاب ولايته للرى بشرط أن يخرج لحرب الحسين عليه السلام، على أن يأخذ فى نفس الوقت وفى نفس اليد كتاب عاره الدنيوى وناره الأخروى، وبين أن يرفض وإذا به يختار العار والنار وهو يقول:

يقولون إنّ الله خالق جنّة ونارٍ وتعذيبٍ وغلِّ يدينِ

وإن صدقوا فيما يقولونَ إنّنى أتوبُ إلى الرحمنِ فى سنتينِ

وإن كذبوا فُزنا بدنيا عظيمةٍ وملك عظيمٍ دائمٍ الحجلينِ

بينما يقف فى الجهة الأخرى أحد أصحاب أبى عبدالله الحسين عليه السلام، ألا وهو زهير بن القين (رض)، وهو صاحب الثروة الطائلة الكبيرة فى الكوفة، فضلاً عن منزلته الاجتماعية المرموقة، فيضع يده على منكب الحسين عليه السلام وهو يقول له: (قد سمعت – هداك الله – مقالتك يابن رسول الله، والله لو كانت الدنيا باقية وكنا فيها مخلدين، إلاّ أن فراقها فى نصرك ومواساتك، لآثرنا النهوض معك على الاقامة فيها).

يا له من موقفٍ عظيم وبعيدٍ عن سابقه بعد المشرق عن المغرب، وبعد الحق عن الباطل؛ وذلك لأنّ المحور الذى كان يدور عمر بن سعد فى رحاه هو (الدنيا) بينما كان فى زهير بن القين هو (الدين)، وكما ورد فى روايات أهل البيت عليهم السلام:

«الدين والدنيا ضرتان، لاتجتمعان فى قلب مؤمن أبداً».

ولقد خلّد الله سبحانه وتعالى هذه المواقف المبدئية وأصحابها فى كتابه الكريم بقوله تعالى:

«لا يَسْتَوِى أَصْحابُ النّارِ وَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفائِزُونَ» .

وحقاً ما تقول الآية الكريمة.... فكما أن أصحاب النار لا يستوون مع أصحاب الجنة فكذا:

لا يستوى أبداً من اختاروا الفقر مع الله على الغنى مع أعداء الله.

ولا يستوى أبداً من فضلوا الموت فى سبيل الله على الحياة مع الظالمين.

ولا يستوى أبداً من رفضوا الجاه والمال والمنصب من أجل الله ودينه وأوليائه حتى لا يعطوا الدنية فى دينهم، وبين من أصبح مطيّة الشيطان الرجيم والسلطان الجائر اللئيم حتى داسوا دينهم تحت أقدامهم من أجلهم.

وكما يقول القرآن الكريم:

«قُلْ لا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَ الطَّيِّبُ وَ لَوْ أَعْجَبَکَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ» .

من هنا، كان كل واحد من أصحاب الحسين يمثل بحقٍ مشروعاً إسلامياً رائعاً بما جسّده فى يوم عاشوراء من قيم الرسالة، ومبادئ الشريعة، ومفاهيم الاسلام.

وعليه... فجدير بنا – نحن المسلمين – ان نسلّط الأضواء عليهم وعلى مشروعهم الإسلامى الذى حملوه بين جنبات نفوسهم الشريفة، حتى يكون عوناً لنا فى الاقتداء بهم والسير على منهجهم رضوان الله تعالى عليهم. من هنا جاءت هذه الموسوعة التى أسميناها «موسوعة فى ظلال شهداء الطف» والتى حاولنا جاهدين

من خلالها إبراز بعض ما يمكن جمعه والتقاطه فى كتب العلماء حولهم (رضى الله عنهم) من معلومات (على قلتها)، من أجل دراستها ثم أخذ العظة والعبرة منها.

وهذا هو الجزء الثانى من هذه الموسوعة والتى مَنَّ الله علىَّ بإكماله وانجازه وقد تضمن الحديث عن خمسة شهداء وهم: (حبيب بن مظهِّر الأسدى وزاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعى ويزيد بن مَغْفَل المزنى الأزدى وعبد الله بن بشر الخثعمى وعمرو بن قرظة بن كعب الأنصارى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ولسوف يرى القارئ بشكل واضح حديثاً موسعاً فى بعضهم ومضيِّقاً ومختصراً فى آخر وما ذاك إلاّ لكثرة المعلومات فى الأول وشحتها فى الثانى.

ولقد بذلت الجهد – بمقدار الاستطاعة – من أجل تتبع أحوالهم منذ نشأتهم صغاراً وحتى شهادتهم (رض)، جامعاً لهم الأقوال والمواقف، فضلاً عن القبيلة التى ينتمون إليها، والبيت الذى يرجعون إليه، والآباء والأمهات والأخوة والأولاد والأعمام وأبنائهم وما شاكل ذلك مما يحيط بهم ويدور فى فلكهم.

وختاماً.. أرجو من الأخوة القرّاء أن لا يبخلوا عنا بالنصيحة والفكرة البنّاءة التى يمكن أن تخدم هذه الثلة من المؤمنين.... فما من كتاب «إلاّ وتجد فيه نقصاً قلَّ هذا النقص أو كثر سوى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد».

سائلاً المولى جل وعلا أن يوفّقنا لإنجاز الأجزاء الباقية لهذه الموسوعة إنه أرحم الراحمين وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله الطاهرين.

حيدر الصميانى

الشهید حبیب بن مُظهِّر الأسدی الفقعسی علیه السلام

دیباجة

الحدیث عن الشهید حبیب بن مُظهِّر الأسدی حدیثٌ عن التفانی والإخلاص فی أعلی صوره وأشکاله، حدیثٌ عن الإیمان والعشق الإلهی، والذی تجده بشکل واضح ممثّلاً بعلاقته بالحسین علیه السلام وانشداده إلیه وانجذابه نحوه، بل والفناء فی فلکه علیه السلام.

لقد کان هذا الشیخ الهَرِم الکبیر - کما سیأتینا خلال الحدیث عنه - رمزاً للعطاء وعنواناً للفداء فی کلّ زمان ومکان، فلم تکن شیبة حبیب وکِبَر سنّه مانعاً له من الوقوف إلی جانب الحق مهما کلّفه الأمر، حتی ولو أدّی ذلک إلی أن یترک أهله بلا ماء وطعام، بل وحتی لو سُفک فی سبیل ذلک دمه الطاهر، وهکذا صنع حبیب بالفعل فاستحق تکریم الحسین علیه السلام له یوم وقف علی جسده الطاهر فی کربلاء مؤبّناً له بقوله:

«عند الله أحتسبُ نفسی وحُماة أصحابی، إنّا لله وإنّا إلیه راجعون، قُتل والله أسدٌ من آساد الله، یذبّ عن حُرَم الله، رحمک الله یا حبیب، لقد کنتَ فاضلاً، تختم القرآن فی لیلةٍ واحدةٍ»(1).

1- (1) مقتل أبی مخنف: ص 147.

أقوال العلماء فيه

1 – قال ابن حجر العسقلانی: «حبیب بن مُظهِّر، روی عن علیّ بن أبی طالب (رض)، ذکره الطوسی فی رجال الشیعة، وقال أبو عمرو الکشی: کان من أصحاب علی، ثمّ کان من أصحاب الحسن والحسین، وذُکرت له قصّة جرتْ له مع میثم التمّار، ویُقال إنّ حبیب بن مُظهِّر قُتل مع الحسین»(1).

2 – قال الشیخ المفید: «ومن أصفیاء أصحابه(2) عمرو بن الحَمِق الخزاعی، عربی، ومیثم التمّار، وهو میثم بن یحیی مولی، ورشید الهجری، وحبیب بن مظهِّر الأسدی، ومحمد بن أبی بکر»(3).

3 – قال الشیخ علی النمازی: «حبیب بن مظاهر الأسدی، من خواص أمیر المؤمنین والحسن والحسین، عَلِمَ المنایا والبلایا، وهو قرین میثم ورشید، فی غایة الجلالة والنبالة»(4).

4 – قال الزرکلی: «حبیب بن مظهِّر أو مظاهر أو مُطهّر... من القوّاد الشجعان، نزل الکوفة وصَحِب علیّ بن أبی طالب فی حروبه کلّها... وعمره خمس وسبعون سنة»(5).

1- (1) لسان المیزان: ج 2، ص 554، 2129، وقد ذکر ابن حجر فی الإصابة: وأنّه أدرک النبی صلی الله علیه و آله و سلم تحت اسم (حتیت) ولیس (حبیب)، الإصابة: ج 1، 1939، وکذلک ابن مطهّر ولیس مظهّر، الإصابة: ج 1، 1939.

2- (2) یقصد الإمام أمیر المؤمنین.

3- (3) الاختصاص للشیخ المفید: ص 3.

4- (4) مستدرک سفینة البحار: ج 2، ص 170.

5- (5) الأعلام للزرکلی: ج 2، ص 166.

5 – قال السـيّد الخوئی: «حبيب بن مظاهر الأسدی، ذكره الشـيخ فی رجاله من أصـحاب علی عليه السلام وعدّه أيضاً من أصحاب الحسن عليه السـلام من غير توصـيف بالأسدی، وذكره البرقی من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن شرطة خميسه ومن أصحاب أبی محمد الحسن بن علی عليه السلام»(1).

الأسرة التی ينتمی إليها الشهيد

اشارة

لقد تميّز حبيب بن مُظهِّر (رض) بخصائص إيمانية عظيمة، إضافةً إلی نشوئه فی بيت توارث البطولة والشـجاعة والوفاء والكرم والجود وإغاثة الملهوف وما شاكل ذلک من صفات العزّ والشرف، وكيف لا يكون كذلک وقد امتلأت كتب التاريخ والأدب بقصص آبائه وأجداده وأعمامه وأقربائه شعراً وأدباً وخُلُقاً وسيرةً تشرأبّ لها الأعناق.

بنو أسد

وهی القبيلـة التی ينتمی إليها هـذا الشـهيد الكربلائی صاحبـة الأمجاد والذكْر الجميل، وقد تقدّم بعض الحديث عنها فی الجزء الأول من هذه الموسوعة فی طيّات الحديث عن الشهيد مسلم بن عوسجة الأسدی (رض).

بنو فقعس

وهو الجدّ الرابع لحبيب بن مُظهِّر الأسدی (رض)(2) ، وفقعس وبنوه هم

1- (1) معجم رجال الحديث: ج 5، ص 2575.

2- (2) قبائل العرب: ج 1، ص 246.

الذين يرجعون إلى الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة(1) ، وقد تحدّث عنهم البلاذرى بشكل يلفت الانتباه إلى أنّ هذه الأسرة لها ميزات خاصة دون بقيّة الأسـر الأخرى، حيث تميّزوا بالشجاعة والفصاحة والشعر والنخوة والكرم وما شاكل ذلک من الصفات الحسنة، حتى وصل الأمر إلى أن يمدح أحد الشعراء فقعس بقوله:

ولكن أبوكم فقعساً قد علمتم ومنصبكم إن صرتم للمناصب(2)

وحتى يكون القـارئ أكثر فهماً وتفهّماً لهـذه الأسـرة التى ينتمى إليها الشـهيد الكربلائى حبيب من مظهِّر الأسـدى، أودّ أن أضع بين يـديه بعض شخصيات هذه الأسرة حتى نعلم أنّ هذا النسب الذى يرجع إليه هذا الشهيد لم يكن نَسَباً عاديّاً، بل جمع الكثير من الخصائص التى يُمتدح ببعضها الشعوب والقبائل.

1 – ربيعـة بن ثعلبـة بن رئـاب بن الأـشتر بن حجـوان والمكنّى «أبـو ثور»، حيث عُرفت فيه الشـجاعة المتميّزة حـتى على شـجعان العرب وذؤبانها، حيث قَتل صخر ابن عمرو (أخا الخنساء).

يقول البلاـذرى وهو يتحـدّث عن شـجاعة أبى ثور: (غزا صـخر بن عمرو بنى أسـد فَأَطْرَدَ إبَلَهم، فركبوا فى طَلَبه حيث أتاهم الصـريخ، فلمّا لحقوه بـذات الأثل اقتتلوا قتالاً شديداً فطعن أبو ثور صـخراً فى جنبه وفات القوم، فكان أهله يمرضونه قريباً من حولٍ حتى ملّوه، فسألتْ امرأةُ سلمى امرأةَ صخرٍ كيف بَعْلُكِ؟ وهو يسمع،

1- (1) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر كحالة، باب الفاء، ص 925.

2- (2) الأنساب للبلاذرى: ج 3، 499.

فقالت: هو لقيٌّ لا حى يُرجى ولا ميت يُنعى، ولقد لقينا الأمرّين. فقال صخر:

أرى أمَّ صخرٍ مَا تَمُلّ عَوَائِدِى وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِى وَمَكَانِى

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أنْ أَكُوْنَ جَنَازَةً عَلَيْكِ وَمَنْ يَغْتَرُّ بِالحَدَثَانِ

قال أبو عبيـدة: فلمّا طال به البلاء ونتأت فى موضع الجراحـة منه قطعـة مثل اللَّبَـد فى جنبه، قالوا له: لو قطعتها وعولـج قطعها رجونا أن تبرأ، فقال: شأنكم، وأشفق عليه بعضهم من ذلك فأبى، فأخذوا شفرة فقطعوا ذلك المكان فيئس من نفسه، فقال:

كَأَنِّى وَقَدْ أَدْنَوا لِحَرِّ شِفَارِهِم مِن الصَّدْرِ دَامِى الصَّفْحَتَيْنِ نَكِيْبُ

فَقُلْتُ لَهُمْ لاَ تَحْرُمُوْنِى فَإِنَّنِى مُقِيْمٌ مَكَانِى مَا أَقَامَ عَسِيْبُ)(1)

2 – ربيعة بن حوط بن رئاب بن الأشتر المُكنّى «أبى المهوش الأسدى»، وهو ابن عمّ الشهيد الكربلائى والقائل:

دَبَبْتُ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُوْنَ قَدْ بَلَغُوْا جَهْدَ النُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُوْنَهُ الأُزُرَا

وقوله:

يَعِيْشُ الفَتَى بِالفَقْرِ يَوْمَاً وَبِالغِنَى وَكُلٌّ كَأَنْ لَمْ يَلْقَ حِيْنَ يُزَايِلُهُ (2)

3 – الكميت بن ثعلبـة بن رئاب بن الأشتر بن حجوان، الشاعر المعروف فى قصّـة «دارة القمر» المشـهورة، ذكرها البلاذرى بقوله: (حدّثنى أحمد بن موسى

1– (1) الأنساب للبلاذرى: ج 4، ص 1.

2– (2) ابن حجر العسقلانى: كتاب الإحابة: الحاء بعدها الواو، حوط بن رئاب وليس ربيعة كما ذكره الكثيرون كالبلاذرى وغيره.

الفزارى، قال: كان سالم بن دارة القمر أحـد بنى عبد الله بن غطفان، ويُقال إنّ دارة القمر أمّه، ويُقال أبوه وأمّه من بنى أسد، هجا رجلاً يُقال له ثابت بن واقع، وكان ثابت فزاريّاً، فقال له:

وَيْحَكَ يَابْنَ وَاقِعٍ فَأَنْتَا أَنْتَ الَّذِى طَلَّقْتَ لَمَّا جِعْتَا

فغضب له رجـل من بنى قومه من بنى فزارة يُقـال له «زميل»، فضـرب ابن دارة بالسـيف فقتله، وكان الكلبى يقول: دارة القمر أبو سالم قيل له ذلک لجماله، واسمه رويبة بن حَب، قال ابن دارة:

أَنَا ابْنُ دَارَةَ مَعْرُوْفٌ بها نَسَبِى وَهَلْ بِدَارَةَ يَا لَلنَّاسِ مِنْ عَارِ

مِنْ فَرْعِ قَيْسٍ وَأَخْوَالِى بَنُو أَسَدٍ مَنْ أَكْرَمِ النَّاسِ زَنْدِى فِيْهِمُ وَارِى

وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام: هجا سالم بن دارة فى فزارة ففتک به بعضهم فضربه، فقال الكميت:

لاَ تُكْثِرُوْا فِيْهِ العُجَاجَ فَإِنَّهُ فِى السَّيْفِ مَا قَالَ ابْنُ دارةَ أُحِبهَا

فمضى كلام الكميت مثلاً(1).

4 – عمرو بن نضـلة الـذى آلى على نفسه أن يطعم رفقـةً كـان بهـا السويق والتمر، فبعث مَن يأتيه بـذلک فأبطأ رسوله فرحلت امرأة من بنى محارب كانت فى الرفقة فاتبعها حتى ردّها، وقال:

يَا رَبَّةَ العِيْرِ رُدِّيْهِ لِمَرْبَعِهِ لاَ تَظْعَنِى فَتُهِيِّجِى النَّاسَ لِلظَّعْنِ (2)

1- (1) الأنساب للبلاذرى: ج 3، ص 500.

2- (2) الأنساب للبلاذرى: ج 3، ص 500.

5 – خالد بن نضلة بن الأشتر المعروف – (خالد المهزول)، وأمّا لماذا اشتهر بالمهزول؟

فلأنّه وكما يقول البلاذرى فى الأنساب:

«رأى خالـد التيس يعتلف، أَنِفَ تتحرك لحيتُه كتحرّك لحيـة التيس، فترك الأكل وعرضت له الخلفة حتى أخرج سَـرْمَه، فجاء غراب فجعل يقول له: يا غراب، جر فلتجرن بسرم رجل كريم، ويقول أبو اليقظان: إنّه ترك الأكل حتى مات»(1).

وفيه يقول أحد أولاده مادحاً له:

وَجَدِّى خَالِدُ المَهْزُوْلُ حَسْبِى بِهِ فِى كُلِّ مَكْرُمَةٍ زَعِيْمَا(2)

وهكذا القائمة تطول بالأبطال والأفذاذ والذى فيهم مَن كان يُعدّ بألف فارس(3).

الاختلاف فى اسم الشهيد وكنيته ولقبه

اسم الشهيد

لقد اختلف العلماء فى اسم الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى (رض) إلى آراء متعدّدة، سوف نذكرها ثمّ نشير إلى المشهور عندهم.

1- (1) الأنساب للبلاذرى: ج 3، ص 500.

2- (2) الأنساب للبلاذرى: ج 3، ص 500.

3- (3) انظر: الأنساب للبلاذرى: ج 3، ص 500، والمقصود به هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضـلة بن الأشتر بن جحوان، وكان يعدل – كما يقولون – ألف فارس.

ورد اسم (حبيب) عنـد الكثير من العلماء من المدرستين، ويبدو أنّه المشـهور عندهم كما ذهب إلى ذلک السـيد الأمين(1) والعلاّمة ابن داود(2) والنمازى الشاهرودى(3) والسيد الخوئى(4) وآخرون.

بينما ذكره آخرون بلفظ (حتيت) كابن حجر فى الإصابة(5).

اسم والد الشهيد مظهّر أم مظاهر

أمّا اسم والـده، فقد ذهب البعض إلى أنّه مُظهِّر، كما مال إلى ذلک الطبرى، وأبو مخنف(6) ، والعلاّمة فى القسم الأول من الخلاصة(7) ، وابن حجر فى لسان الميزان(8) ، والسماوى فى إبصار العين(9).

بينما ذكره جمعٌ مردّداً بين مُظهِّر ومظاهر من دون ترجيح، كالسيد الزنجانى فى وسيلة الدارين(10).

1- (1) الأعيان: ج 4، 553-555.

2- (2) رجال ابن داود، القسم الأول: 374.

3- (3) مستدرک سفينة البحار: ج 2، ص 170.

4- (4) معجم رجال الحديث: ج 5، ص 201-203. لسان الميزان: ج 2، ص 554.

5- (5) الإصابة لابن حجر: ج 2، ص 1954 فى أحد قوليه.

6- (6) الطبرى: ج 3، ص 327.

7- (7) الخلاصة: القسم الأول، الباب 13، حرف الحاء.

8- (8) لسان الميزان: ج 2، ص 554.

9- (9) أبصار العين: ص 56.

10- (10) وسيلة الدارين: ص 119.

مظهّر هو الأصح

ويبدو أنّ (مُظهَّر) هو الصحيح دون (مظاهر) كما ذهب إلى ذلک المحقّقون؛ وذلک لسببين:

أمّا الأول: فهو رجزه كما سيأتينا بعد ذلک فی الحديث عن شهادته (رض)، فقد ذكر العلماء بأنّ حبيب بن مُظهَّر حينما نزل إلى المعركة ارتجز وهو يقول:

أَنَا حَبِيْبٌ وَأَبِی مُظهَّرُ فَارِسُ هَيْجَاءَ وَحَرْبٌ تَسْعَرُ

أَنْتُمْ أَعَدُّ عُدَّةً وَأَكْثَرُ وَنَحْنُ أَرْضَى مِنْكُمُ وَأَصْبَرُ

وَنَحْنُ أَعْلَى صُحْبَةً وَأَظْهَرُ حَقّاً وَأَتْقَى مِنْكُمُ وَأَعْذَرُ(1)

ولم يذكر أحد رجزاً غير هذا منسوباً إلى هذا الشهيد من غير (مظهّر).

وثانياً: أنّ أهل اللغة يقولون: إنّ هناک كلمات ينطق فيها بحروف الألف ولكنّها لا تكتب حين الكتابة، والأمثال على ذلک كثيرة حتى فی القرآن الكريم، حيث تقرأ كلمة (صلاة) بإثبات الألف ولكنّها حين الكتابة لا تثبت، وهكذا كلمة (سموات) (سموت) وكلمة (رحمان) و (رحمن).

ولهذا ربّما كانت كلمة (مظهّر) و (مظاهر) جاءت على وفق هذا السياق، فوقع الاشتباه عند مَن نقل اسم الشهيد الكربلائی، حيث كان ينطق بمظاهر ولكن يكتب (مُظهِّر) (رض).

1- (1) الطبری: ج 3، ص 327.

نسب الشهيد الكربلائی

وأمّا نسبته فلم يختلف أحد على أنّه أسدی، نعم ذكروا فی معرض الحديث عنه أنّه كندی وفقعسی وهذا لا ضمير فيه، إذ الجميع يمثلون جهة واحدة، وأمّا كنيته فالجميع يقولون هو أبو القاسم حبيب بن مُظهِّر الأسدی.

صحابی جليل أم تابعی قدير؟

اشارة

تحت هذا العنوان أو ما هو فی مضمونه وقع العلماء – وخصوصاً الرجاليين منهم – فی بحث ودرس ما إذا كان الشهيد الكربلائی صحابياً من أصحاب رسول الله صلی الله عليه و آله و سلم أم إنّه كان تابعياً قديراً من روّاد الطبقة الأولی؟

من خلال الرجوع إلی كتب العلماء وما تحدّثوا به وذكروه حول شخصية هذا الشهيد وخصوصاً الرجاليين منهم، يخرج الإنسان بالقول إنّ هناک – إجمالاً – رأيين أو اتجاهين فی هذا المجال:

الاتجاه الأوّل

اشارة

يذهب أصحاب هذا الاتجاه أنّ حبيب بن مُظهِّر الأسدی كان صحابياً جليلاً من أصحاب رسول الله صلی الله عليه و آله و سلم، وأصحاب هذا الرأی – وحسب كلماتهم – إمّا أنّهم يقطعون بصحبة هذا الشهيد الكربلائی كما سيأتی، أو أنّهم يميلون إلی هذا الرأی دون غيره، وهذا ما يمكن لنا أن نتلمّسه من خلال ما تحدّثوا به عن هذا الشهيد، وممّن يذهب إلی هذا الرأی:

1 – ابن حجر العسقلانی، حیث یقول فی کتاب (الإصابة)(1): «حتیت(2) بن مُظهِّر بن رئاب بن الأشتر بن جحوان بن فقعس الکندی ثمّ الفقعسی له إدراک، وعمّر حتی قُتل مع الحسین بن علی، ذکره ابن الکلبی مع ابن عمّه ربیعة بن حوط ابن رئاب»(3).

ولا شک ولا ریب أنّ قلیلَ تأمّلٍ فیما ذکره ابن حجر یُظهر – وبشکل واضح – أنّه یتبنّی الرأی القائل بصحبة الشهید لرسول الله صلی الله علیه و آله و سلم، بل ویرسلها إرسال المسلّمات.

2 – السید عبد الحسین شرف الدین فی کتابه القیِّم (الفصول المهمّة)، حیث یقول وهو یتحدّث عن الصحابة الذین عاصروا النبی صلی الله علیه و آله و سلم وعُرفوا فی نفس الوقت بالولاء والتشیّع لعلی علیه السلام وآل علی علیه السلام: «حبیب بن مظاهر بن رئاب... أدرک أیّام النبی صلی الله علیه و آله و سلم، وقد ذکره ابن حجر فی القسم الثالث من إصابته»(4).

3 – السید محسن الأمین نقلاً عن کتاب (مجالس المؤمنین):

«ثمّ حکی عن کتاب (روضة الشهداء) ما ترجمته أنّه تشرّف بخدمة الرسول صلی الله علیه و آله و سلم وسمع منه أحادیث، وکان مُعزّزاً مُکرّماً بملازمة حضرة المرتضی»(5).

1– (1) الإصابة لابن حجر: باب الحاء بعدها التاء (حتیت).

2– (2) یبدو أنّ الاسم فیه تصحیف من حبیب، خصوصاً وقد ذکره نفس ابن حجر فی الإصابة بلفظ حبیب، ج 1، 1939.

3– (3) الإصابة: برقم 1954.

4– (4) الفصول المهمّة: ص 193.

5– (5) أعیان الشیعة: ج 4، ص 554، 291.

4 – الشيخ محمد السماوی: «حبیب بن مُظهِّر... کان صحابیاً، رأی النبی صلی الله علیه و آله و سلم، ذکره ابن الکلبی»(1).

5 – المازندرانی فی (معالم السبطین): «وفی الخبر أنّ رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم کان یوماً مع جماعة من أصحابه فی بعض الطریق وإذا هما بصِبْیَان یلعبون فی ذلک الطریق، فجلس النبی صلی الله علیه و آله و سلم عند صبیّ وجعل یقبّل بین عینَیه ویلاطفه، ثمّ أقعده فی حجره، وکان یُکثر تقبیله، فسُئل عن علّة ذلک فقال: إنّی رأیتُ هذا الصبی یوماً یلعب مع الحسین ورأیتُه یرفع التراب من تحت قدمیه ویمسح به وجهه وعینیه، فأنا أحبّه لحبّه لولدی الحسین، ولقد أخبرنی جبرئیل أنّه یکون من أنصاره فی وقعة کربلاء، وذکر بعض الثقات أنّ ذلک الطفل کان حبیب بن مظاهر الذی فدی الحسین بنفسه ومهجته»(2).

مناقشة روایة معالی السبطین

ومثل هذه الروایة لا یمکن قبولها علی إطلاقها لوجود فاصل زمنی یقدّر – 15 سنة علی الأقل بین الحسین وحبیب بن مُظهِّر، ومن ثم لا یمکن إطلاق لفظ الصبی فضلاً عن الطفل علی حبیب (رض) فی زمن رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم الذی یُفترض أن یکون عُمُره علی أقل التقادیر 15 سنة، ولذلک نحن نمیل إلی استبعاد هذه الروایة کما استبعدها المازندرانی فی معالم السبطین بعد ذکْره لها مباشرة.

6 – ما ذکره الشیخ جعفر السبحانی فی کتابه (حوار مع الشیخ صالح بن عبد

1– (1) إبصار العین: ص 56.

2– (2) معالم السبطین: ج 1، ص 368.

الله الدرويش) وهو يتحدّث معه حول الشيعة الذين كانوا معاصرين لزمن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، حيث يقول: «فها نحن نضع أمام الشيخ قائمة بأسماء لفيف من الصحابة الذين شهدت أعمالهم على أوصافهم وأفعالهم على نيّاتهم، وأثنى أصحاب الرجال والتراجم عليهم، أو على الأقل سكت عنهم التاريخ، ولنكتف بذكر القليل منهم عن الكثير، وهم:... حبيب بن مظاهر الأسدى...»(1).

وكذلك ما ذكره فى كتابه (تاريخ الفقه الإسلامى وأدواره)، حيث تحدّث عن لفظ الفقه والفقيه واستعمالاتها بقوله: «وممّا يدلّ على أنّ الفقيه فى الصدر الأول بمعنى صاحب البصيرة فى الدين، أنّ الحسين عليه السلام بن على عليه السلام وصف حبيب بن مظاهر الأسدى بالفقيه»(2).

وممّا يؤيّد أنّ مراده من الصدر الأول هو عصر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قولُه بعد ذلك: «نعم، غلب استعمالها فى القرن الثالث أو قبله فى العارف بالأحكام الشرعية الذى سبر أغوارها، وقد ذكر ابن خلدون أنّ اسم القرّاء يُطلق على أهل الفتيا والفقه من الصحابة»(3).

الاتجاه الثانى

وهناك مَن يرى أنّ الشهيد الكربلائى كان تابعيّاً كبيراً فى السنّ، جليلاً فى القدر، وذلك اعتماداً على جملة من النقاط، وهى كالتالى:

1- (1) حوار مع الشيخ صالح بن عبد الله الدرويش: ج 2، ص 93.

2- (2) تاريخ الفقه الإسلامى وأدواره: ص 23.

3- (3) تاريخ الفقه الإسلامى وأدواره: ص 24.

النقطـة الأـولى: إنّ كتب الرجـال التى تحـدّثت عن عصـر رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم لـم تتحـدّث عنه، لاسـيّما صاحبا كتابى (الاستيعاب، وأُسْد الغابة) سوى ابن حجر كما تقدّم.

مناقشة النقطة الأولى

ويَرُدّ على هذا الاسـتدلال أنّه متى كانت مثل هذه الكتب مقياساً واقعياً لمعرفة الصـحابى عن غيره؟! وهل يا ترى كل ما ذكروه صـحيح فى كتبهم؟ أم أنّ فيه الغَثّ والسمين والدسّ والتزوير وهذا واضح وجلى لكلّ ذى عينين بصيرتين، نعم، نحن قد نستشهد بها ولكن فى مقام الردّ من حيث المقوله القائلة:

«ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم»(1).

لا أن يُعوَّل عليها فقط، خصوصاً وقد تحدّثتْ كتب أخرى عنه وعن صحبته (رض) كابن حجر فى الإصابة.

النقطة الثانية

ما ذكره الشـيخ الطوسـى فى رجاله عن الشـهيد، حيث عَدّه من أصـحاب الإمام أمير المؤمنين، حيث قال: «أسماء مَن روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام... حبيب بن مظاهر الأسدى»(2)، ممّا يعنى أنّه لـم يكن من أصـحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حسب ظاهر كلامه رحمه الله.

النقطة الثالثة: الزركلى: «حبيب بن مُظهِّر أو مظاهر أو مُطهّر بن رئاب بن

1- (1) مائة قاعدة فقهية، السيّد المصطفوى.

2- (2) رجال الشيخ الطوسى: ص 60، 512.

الأشتر... نزل الكوفة وصحب على بن أبى طالب عليه السلام، تابعىٌّ من القوّاد الشجعان... وعمره خمس وسبعون سنة»(1).

مناقشة رأى الزركلى

ويمكن أن يُقال بأنّ كلام الزركلى من الممكن أن يُقبل فى حال عدم وجود قرائن على وجود الشهيد وصحبته وإدراكه للنبى صلى الله عليه و آله و سلم، أمّا مع وجودها(2) فيمكن أن يكون كلامه - لاسيما فى خصوص عمر الشهيد حبيب بن مظاهر الأسدى وأنه كان 75 سنة - من مؤيّدات الرأى الأول القائل بالصحبة لا الثانى.

يوم الفرقان

لقد تحوّل يوم عاشوراء إلى يوم عظيم من أيام الله، مُخَلَّد فى قلوب وضمائر المؤمنين الأحرار، فهو اليوم الذى تميّز فيه الحق من الباطل والإيمان الصادق من الإيمان الكاذب المنافق، فصار بحقٍ يوم الفرقان، فكما أنّ القرآن الكريم وصف يوم انتصار معركة بدر بيوم الفرقان بقوله:

«وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ» .

حتى تحوّلت بدر إلى مَعْلَم مهمّ من معالم أيام الله، مخلّد فى التاريخ، فكذلک كانت وستبقى معركة كربلاء ويوم عاشوراء كذلک.

فهاهما الجمعان يتميزان بالمواقف، وها هى الشخصيات تُمتحن بالشدائد، فيمكث منها الصالح القوى فى إيمانه، ويذهب جفاءً مَن لا إيمان له ولا صلاح،

1- (1) الزركلى فى الأعلام: ج 2، ص 166.

2- (2) وقد تقدّم قبل قليل ما يؤكّد ذلک، لاسيّما فى الإصابة لابن حجر.

فلقـد عاش حبيب بن مُظهِّر الأسدى (رض) وعاش معه شـمر بن ذى الجوشن وشـبث بن ربعى وعمر بن سـعد وآخرون، ورأى الجميع بأَمِّ أعينهم كيف تعامـل معهم على بن أبى طـالب صاحب المبادئ والقِيَم، حيث فتـح لهم باب التعبير عن الآراء والمعتقـدات بأجمل صورها وأشـكالها حتى مع أعـدائه وهم الخوارج، ورأوا فى نفس الوقت كيف تعامل معهم آل أبى سـفيان بدايةً من معاوية والذى قالها لهم صارخةً واضـحة فى النُخيلـة: «ألاـ وإنّى مـا قاتلتكم لتصوموا ولا لتصـلّوا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، قـد عرفت أنّكم تفعلون ذلک، ولكن إنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، فقد أعطانى الله ذلک وأنتم كارهون»(1).

ونهايةً إلى آخر أموى سفيانى تسلّط عليهم فى الكوفة، ومع ذلک كلّه لم يميّزوا بينهما مع صراحة ووضاحةِ كلٍ من الفريقين، وليس ذلک إلاّ لعمى البصيرة عندهم وسوء السريرة فيهم ونيّة السوء التى كانوا يحملونها فى صدروهم.

نعم، لم ينجوا من ذلـک إلاّـقليلٌ منهم، حيث وقفوا إلى جانب الحق مهما كانت النتائـج، وهؤلاء هم الـذين تحـدّث عنهم القرآن الكريم بقوله:

«أُولئِکَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ 2» .

أولئک الذين أَبَوا أن يحشروا مع الظالمين ومنهم حبيب بن مُظهّر الأسدى (رض)، وكأنّ الله عزّ وجلّ شاءت إرادته أن يفترق الحق والباطل فى هذه الدنيا وفى الآخرة.

1- (1) البداية والنهاية لابن كثير: ج 11، ص 429. سير أعلام النبلاء: ج 3، ص 146.

أمّا فی هذه الدنیا فیقول القرآن الکریم:

«وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ کانَ زَهُوقاً1» .

وکأنّ الآیة ترید أن تقول أن لا وجود للباطل إلاّ مع غیاب الحق.

وأمّا فی الآخرة فیقول القرآن:

«وَ امْتازُوا الْیَوْمَ أَیُّهَا الْمُجْرِمُونَ 2» .

ولمّا کانت إرادة الله متعلّقة بهذا الأمر منذ القِدَم، أبتْ کربلاء إلاّ أن تکون ترجماناً بارزاً ومصداقاً صارخاً لهذا المفهوم القرآنی والربّانی، ویبدو أنّ کربلاء ویوم فرقانها مستمرّ إلی أبد الآبدین ما دامت السماوات والأرض، فهی الفرقان فی کلّ عام بین أولئک المضحّین فی طریق الحسین، نفساً وجهداً ومالاً ووقتاً، وبین أولئک الذین یرکضون ویلهثون وراء یزید وعبید الله بن زیاد وعمر بن سعد من خلال ملذّات هذه الدنیا وأهوائها المُضِلّة، بل إنّها الفرقان حتی بین مَن یستفید من مائدة الحسین لیرقی، وبین مَن یأکل من نفس هذه المائدة ولکنّه لا یعیش الوعی فی فکره ولا البصیرة فی دینه ولا الاستقامة فی سلوکه، فقد جعلها طریقاً للوصول إلی مآربه التی هی أقرب إلی مآرب شمر وشبث وأمثالهما، وهذا فی الواقع درس مهمّ وبلیغ فی نفس الوقت نأخذه من خلال هذا الشهید السعید حبیب بن مُظهِّر الأسدی (رض)، حیث أبی لنفسه أن تُحشر مع مَن انقلب علی وجهه وخسر الدنیا والآخرة.

«ذلِکَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِینُ 1» .

فأراد أن یمیّزها فی هذه الدنیا فضلاً عن الآخرة فیالیتنا نمیز أنفسنا عمّن نعیش معهم ممّن لا یعرفون للدین فی نفوسهم أیّ أثر، من خلال المواقف والأحداث التی تتطلّب منّا وقفة وصرخة وغلظة فی وجه الباطل عن أولئک الذین لا یملکون من الشجاعة ما یؤهّلهم للوقوف معنا، فإذا ما تمیّزنا عنهم فسوف نأتی یوم القیامة متمیزین کذلک، مظلّلین برحمة الله تعالی:

«إِنَّ الَّذِینَ أَجْرَمُوا کانُوا مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا یَضْحَکُونَ * وَ إِذا مَرُّوا بِهِمْ یَتَغامَزُونَ * وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلی أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَکِهِینَ * وَ إِذا رَأَوْهُمْ قالُوا إِنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ * وَ ما أُرْسِلُوا عَلَیْهِمْ حافِظِینَ * فَالْیَوْمَ الَّذِینَ آمَنُوا مِنَ الْکُفّارِ یَضْحَکُونَ * عَلَی الْأَرائِکِ یَنْظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْکُفّارُ ما کانُوا یَفْعَلُونَ 2» .

حبیب بن مُظهّر الأسدی والعصمة

لقد وصل حبیب بن مُظهِّر الأسدی (رض) إلی درجة عالیة من التقوی والعدالة والاتباع لأوامر الشریعة ونواهیها، حتی أنّ الإنسان لیسهل علیه أن یقول وبضرس قاطع إنّ صدور الذنب منه وحاله هذه إمّا أن یکون معدوماً بالکامل، أو أن تکون نسبته بدرجة من القلّة بحیث لا تُعدّ ولا تحسب، وهذه العصمة التی وصل إلیها هذا الشهید الکربلائی لا شک بخلاف تلک العصمة الواجبة التی وصل

إليها أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث تُعدّ عصمة واجبة بخلاف الأخرى التى لا تكون واجبة.

ونعنى بالعصـمة غير الواجبة هى تلك التى لا يكون صاحبها قوله وفعله وتقريره حجّة شـرعية يُسار على أساسـها ويُسـتدلّ على الحكم من خلالها، بينما فى عصـمة المعصوم الواجبـة يكون الأمر كذلک، وبعبارة أخرى: يمكن أن تكون عصـمة أهل البيت عصـمة تكوينية بمعنى تعلّق الإرادة الإلهية تكويناً بعصمتهم كما هو مقتضى قول الله تعالى:

«إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً1» .

يقول الشـيخ جعفر السـبحانى فى كتابه (أهل البيت عليهم السـلام سماتهم وحقوقهم): «والقرائن التى ستمرّ عليک تدلّ على أن الإرادة فى الآيـة تكوينيـة لا تشـريعية، بمعنى أن إرادته التكوينية تعلّقت بتكوين الاشـياء، وإبداعها فى عالم الوجود تعلّقت أيضاً بإذهاب الرجس عن أهل البيت عليهم السلام وتطهيرهم»(1).

وأمّا عصـمة أصـحاب الأئمة عليهم السـلام لا سـيّما الشهيد الكربلائى فيمكن أن تكون عصمة اكتسابية، وهذه العصمة لا تختصّ بفرد من هذه الأمّة دون فرد آخر، وإنّما هى لجميع عباده المخلصين؛ لأنّ الجميع مأمور بها من قِبل الله تبارک وتعالى كما فى قول الله تعالى:

1- (2) أهل البيت سماتهم وحقوقهم: ص 83.

«فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَ مَنْ تابَ مَعَكَ 1» .

ومتى علم الله سبحانه وتعالى باستعداد العبد للاعتصام بحبل الله عزّوجل والابتعاد عن معصيته، أفاض عليه سبل الوصول إلى ذلك، ومن ثم يمكن أن يكون مشمولاً حتى بآيات الاصطفاء التى تحدّث عنها القرآن الكريم فى أكثر من آية، كقوله:

«ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا2» .

خصوصاً إذا أخذنا الاصطفاء بمعنى التصفية(1) ، وبما أنّهم تحرّكوا فى طريق تصفية نفوسهم من الأكدار والأقذار وممّا عَلِقَ بها من شهوات هذه الدنيا ورذائلها، فقد أعانهم الله على هذا بأن أعطاهم القدرة عليه ومنحهم سهولة الوصول إليه، فضلاً منه ورحمة، وهو القائل:

«وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَ إِنَّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ 4» .

ولقد تحدّث السيد الشهيد الصدر الثانى فى كتابه القيّم (أضواء على الثورة الحسينية) حول هذا الموضوع بما لا مزيد له، حيث ذكر جملة من الأدلّة العقلية والنقلية، والتى تؤكّد على أنّ بعض أصحاب الحسين معصومون بما فيهم الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى (رض).

1- (3) التفسير الكبير للرازى: ج 4 ص 23، دار الفكر - بيروت.

يقول الشهيد الصدر: «إنّ أمثال هؤلاء الأصحاب والمقرّبين للأئمة عليهم السلام قد ربّاهم المعصومون عليهم السلام وكانوا تحت رعايتهم وتوجيههم وأمرهم ونهيهم ردحاً طويلاً من الزمن، إلى حدٍّ يُستطاع القول إنّهم فهموا الاتجاه المعمّق والارتكازى - لو صحّ التعبير للمعصومين، ومن هنا كان باستطاعتهم أن يطبّقوا هذا الاتجاه فى كلّ أقوالهم وأفعالهم، كما يُستطاع القول إنّ الأصحاب (رض) تلقّوا من الأئمة عليهم السلام توجيهات وقواعد عامّة فى السلوك والتصرف أكثر ممّا هو معلن بين الناس بكثير، بحيث استطاعوا أن يطبّقوا هذه القواعد طِيلة حياتهم»(1).

حبيب بن مُظهِّر الرجل الفقيه

ذكر السيد الزنجانى فى (وسيلة الدارين فى أنصار الحسين) كتاباً من الحسين عليه السلام أرسله إلى حبيب بن مُظهِّر الأسدى (رض)، وهذا نصّه: «مِن الحسين ابن على إلى الرجل الفقيه حبيب بن مظاهر، أمّا بعد يا حبيب، فأنت تعلم قرابتنا من رسول الله، وأنت أعرف بنا من غيرك، وأنت ذو شيمة وغيرة، فلا تبخل علينا بنفسك، يجازيک جدّى رسول الله يوم القيامة»(2).

إنّ هذا الكتاب الذى بَعث به الحسين عليه السلام إلى حبيب بن مُظهِّر ليحمل فى طيّاته وكلماته الكثير من النقاط المهمة، والتى سوف نتعرّض إليها إن شاء الله تعالى فى وقت لاحق فى طيّات هذه الدراسة حول شخصية حبيب، ولكنّنا نريد

1- (1) أضواء على الثورة الحسينية: ص 43-44.

2- (2) وسيلة الدارين فى أنصار الحسين: ص 120-121.

أن نسلّط الأضواء فی هذا الوقت حول معنی کلمة (الفقیه) والتی وردت فی کتاب الحسین وعلاقتها مع الشهید الکربلائی (رض)، فنقول:

معنی کلمة الفقیه

اشارة

کلمة الفقیه یمکن أن تُحمل علی أحد معانٍ ثلاثة لا رابع لها، وفی کلّ هذه المعانی الخیر کلّ الخیر إلی الشهید حبیب بن مُظهِّر الأسدی.

المعنی الأول الواعی والبصیر

إنّ المراد من الفقیه: الواعی والبصیر وصاحب البیّنة من دینه، فقد وردت هذه الکلمة (فقیه) ومشتقّاتها فی معاجم اللغة وفی القرآن الکریم وفی السنّة النبویة المُطهَّرة بمعنی الواعی والفَطِن والبصیر والعالم وما شاکل ذلک.

یقول ابن منظور:

(الفقیه: العالم بالشیء والفهم له... وفی حدیث سلمان أنّه نزل علی نبطیّة بالعراق، فقال لها: هل هنا مکان نظیف أصلّی فیه؟ فقالت طهّر قلبک وصلّ حیث شئتَ، فقال سلمان: فقهتِ: أی فهمتِ وفطنتِ... ویقول الفقه: الفطنة، وفی المثل: خیر الفقه ما حاضرت به، وشرّ الرأی الدّبری)(1).

أمّا القرآن الکریم فقد تحدّث وعلی نفس الشاکلة وفی آیات کثیرة عن هذه المفردة (الفقه)، وفی جمیعها أراد معنی الفهم الدقیق للدین والعمیق للشریعة وإدراک المعنی والغایة والسر، یقول القرآن الکریم وهو یتحدّث عن موسی علیه السلام

1- (1) لسان العرب: ج 5 ص 3450، (مادّة فقه).

فی طلبه لله عزّ وجلّ:

«وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِی * یَفْقَهُوا قَوْلِی1» .

وعندما دعا شعیب قومه إلی عبادة الله سبحانه وتعالی والالتزام بأوامره ونواهیه، قالوا له:

«یا شُعَیْبُ ما نَفْقَهُ کَثِیراً مِمّا تَقُولُ 2» .

أی لا نفهم کثیراً ممّا تقول وتتحدّث، وقوله:

«قَدْ فَصَّلْنَا الآیاتِ لِقَوْمٍ یَفْقَهُونَ 3» .

أی یعلمون ویفهمون، وقوله:

«لَعَلَّهُمْ یَفْقَهُونَ 4» .

أی یفهمون، وقوله:

«وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ کَثِیراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا یَفْقَهُونَ بِها5» .

أی لا یعون بها ولا یفهمون، وهکذا آیات کثیرة کلّها تُشیر إلی نفس هذا المعنی أو ما یقارب منه.

أمّا السنّة النبویة المُطهَّرة، فقد ورد فیها هذا المعنی کثیراً لقوله صلی الله علیه و آله و سلم:

«نظر الله عبداً سمع منّا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فرُبّ حامل فقهٍ إلى مَن هو أفقه منه، ورُبّ حامل فقه ليس فقيهاً»(1).

والمتأمّل فی حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم المتقدّم يخرج بنتيجة مفادها: أنّ الفقيه المراد به هنا هو صاحب البصيرة فی دينه الذی خلص إلى معانی النصوص واستطاع أن يخلص تبعاً لذلک إلى العبر والفوائد التی حوتْها، ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «ربّ حامل فقهٍ إلى مَن هو أفقه منه» أی أقدر منه على التعرّف على مراد الله سبحانه وتعالى، وقوله: «ليس بفقيه» يعنی ليس عنده قدرة على استخلاص الدروس والمواعظ والعبر التی تضمّنتْها هذه النصوص. ويقول صلى الله عليه و آله و سلم فی حديث آخر:

«مِن فقه الرجل أن يقول لِمَا لا علم به: الله أعلم»(2).

وقوله صلى الله عليه و آله و سلم:

«إنّ طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنّة من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، وإنّ من البيان لسحراً»(3).

ويقول الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام:

«ألا أنبئكم بالفقيه كلّ الفقيه؟ مَن لم يؤس عباد الله من روح الله ولم يؤمنهم من مكره»(4).

1- (1) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج 5، ص 183.

2- (2) شرح النووی على صحيح مسلم: مسألة 2798.

3- (3) صحيح مسلم: ح 869.

4- (4) معانی الأخبار: ص 47.

ويقول ابن القيّم فى كتابه (مفتاح دار السعادة): (بل لم يكن السلف يطلقون اسم الفقيه إلاّ على العالم الذى يصحبه العمل كما سئل سعد بن إبراهيم عن أفقه أهل المدينة فقال: أتقاهم)(1). وربّما من هنا جاء الحديث عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم:

«مَن يُرِد الله به خيراً يفقّهه فى الدين»(2).

والفقه فى الدين المراد به حتماً ليس هو معرفة الأحكام لوحدها والقدرة على استخلاصها، وإنّما المراد بالفقه فى هذا الحديث وفى غيره كما تقدّم هو الوعى والبصيرة والفهم العميق للدين الملازم بالضرورة للتقوى والورع والزهد والخوف من الله سبحانه وتعالى.

المعنى الثانى القَرَّاء للقرآن الكريم

ورد فى بعض الأخبار وفى كتب العلماء ما يوحى أنّ المراد بالفقهاء فى الصدر الأول للإسلام هم القُرّاء للقرآن الكريم والحَمَلَة له حفظاً وتفسيراً وتلاوةً وتدبّراً، فقد ورد فى حقّ هؤلاء أنّهم كانوا إذا قرأوا عشر آيات من القرآن الكريم لا ينتقلون إلى غيرها حتى يحفظوها ويفهموا معناها ويعملوا بها، وللتدليل أكثر أنّ الفقهاء هم القرّاء أو العكس فى الصدر الأول للإسلام أذكر هنا مثالاً، وهو شخصية معاذ بن جبل (رض)، حيث عُدّ فقيهاً وقارئاً للقرآن فى آنٍ واحد، يقول المصنف فى كتاب (فضائل القرآن الكريم) فى مسألة مَن قرأ فى عهد النبى صلى الله عليه و آله و سلم: (حدّثنا ابن إدريس عن شعبة عن قتادة، قال: سمعتُ أنساً يقول: قرأ معاذ وأبى

1- (1) مفتاح دار السعادة: ج 1، ص 89.

2- (2) فتح البارى شرح صحيح البخارى: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقّهه فى الدين.

وسعد وأبو زيد، قال: قلتُ: ومَن أبو زيد؟ قال أحد عمومتى)(1).

ويذكر البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمر قال: سمعتُ النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقول:

«ستقرئوا القرآن عند أربعة... ومعاذ بن جبل»(2).

وقد ذكر ابن حجر العسقلانى فى شرحه فتح البارى على صحيح البخارى: (وقد أخرج ابن حبّان والترمذى من حديث أبى هريرة رفعه: نعم الرجل معاذ بن جبل، كان عقبياً بدرياً من فقهاء الصحابة... وقد صحّ عن عمر أنّه قال مَن أراد الفقه فلْيأتِ معاذاً»(3).

المعنى الثالث المفتى

أن يكون المراد من صفة (الفقه) التى تمتّع بها الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى، هو قدرته على فهم النصوص والإفتاء كما هو حال الفقيه فى عصرنا هذا، نعم ربّما كانت المسألة فى عصر الصحابة ليست بتلك الدرجة الكبيرة من الإمعان والنظر والدراسة كما هو حال الفقيه فى عصرنا هذا، وممّا يؤّيد ما ذهبنا إليه هو ما ذكره الشيخ جعفر السبحانى فى كتابه (تاريخ الفقه الإسلامى وأدواره)، حيث يقول:

(كان الافتاء هو الإجابة على السؤال، فالكلمة جاءت بمعنى واحد فى فتوى

1- (1) المصنّف لابن أبى شيبة: ج 4، مسألة 4389، ص 24.
2- (2) صحيح البخارى: باب مناقب معاذ بن جبل: ح 3595.
3- (3) فتح البارى فى صحيح البخارى: ح 3595، حاشية رقم 1.

الصـحابة والتابعين والفقهاء، والجميع يجيبون عن السؤال ويفتون بالحكم، بَيْد أنّ إجابة الطائفتين الأوليين كانت تقتصر على الكتاب والسنّة غالباً خلافاً لفتوى الفقهاء، حيث يطعمونها بالإمعان والنظر فى مصادر التشريع أكثر ممّا عليه الصحابة والتابعون)(1).

حبيب بن مُظهِّر الأسدى وعلم المنايا والبلايا

اشارة

ذكر العلاّمة الشـيخ على النمازى الشاهرودى قدس سـره فى كتابه القيّم (مستدركات علم الرجال): (حبيب بن مظاهر الأسدى من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، عَلِمَ المنايا والبلايا، وهو قرين ميثم ورشيد، فى غاية الجلالة والنبالة»(2).

لقد عشق حبيب بن مُظهِّر الإسـلام عشـقاً عظيماً وذاب فى قادته، حتى لم يكن ليرى لنفسه وجوداً مع وجودهم، ابتداءً من رسول الله صلى الله عليه و آله و سـلم ثمّ من بعـده أمير المؤمنين والحسن والحسـين عليهم السـلام، ولقد تميّزت علاقة الشـهيد مع أمير المؤمنين بشـكل خاص؛ وذلک لطول المدة التى صـحبه بها، حتى صار له موضع خاصة لديه، فكان الإمام يسـرّه بعلوم وأسرار لم يُسرّ بها إلاّ القلّة القليلة من أصـحابه الثقات والتى يراهم الإمام يحملون اسـتعداداً كبيراً لقبولها؛ وذلک لأنّ العلوم لا يمكن إعطاؤها إلى الناس بدرجـة واحدة، بل لابدّ من النظر إلى الجهة المخاطبة بهذه العلوم، حتى ورد عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قوله:

1- (1) تاريخ الفقه الإسلامى وأدواره: ص 25-26.

2- (2) مستدركات علم الرجال: ج 2، ص 170.

«نحن معاشر الأنبياء أُمرِنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم»(1).

وقوله صلى الله عليه و آله و سلم:

«ما حدّث أحدٌ قوماً بحديث لم تبلغه عقولهم إلاّ كان فتنة عليهم»(2).

ولهـذا ينبغى أن تقـدم العلوم بشـكل تـدريجى حالها حال الوصـفة الطبية التى يقدمها الطبيب إلى مريضه فى أن يأخذ الدواء الفلانى على شكل جرعات، لعلم الطبيب أنّ أخْـذ الدواء دفعةً واحدةً يعنى الموت والهلاک، وما أجمل تلک الأبيات التى نُسـبت فى كتب العلماء إلى حفيد الإمام أمير المؤمنين على بن الحسين عليه السلام وهو يشير إلى هذه الحقيقة الإيمانية:

إنّى لأكتمُ مِن عِلْمِى جَوَاهِرَهُ كَىْ لاَ يَرَى العِلْمَ ذُو جَهْلٍ فيَفْتَتِنَا

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِى هَذَا أَبُوْ حَسَنٍ إِلَى الحُسَيْنِ وَأَوْصَى قَبْلَهُ الحَسَنَا

فَرُبَّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أَبُوْحُ بِهِ لَقِيْلَ لِى: نْتَ ممّنْ يَعبدُ الوَثَنَا

ولاسْتَحَلَّ رِجَالٌ مُسْلِمُوْنَ دَمِى يَرَوْنَ أقبحَ مَا يَأتونَهُ حَسَنَا(3)

وهـذه باعتقادى واحـدة من جملـة الأدلّة على أحقّية الإمام أمير المؤمنين وولايته الإلهية، فها هو القائد الإلهى يربّى الناس مِن حوله ويرفع درجاتهم ويلتقطهم التقاط الطير للحَبّ الجيّد من الحبّ الردىء، إنّه يلتقطهم إذا رأى عندهم مثل هذا الاسـتعداد، حتى ولو كانوا فى بيوت مَن يختلف معهم فى الرأى كمحمد بن أبى بكر وغيره، فقد أخذهم الإمام وربّاهم وأودعهم علوماً عالية

1- (1) الآداب الشرعية، فصل مخاطبة الناس على قدر عقولهم: ج 2، ص 155.

2- (2) المصنّف لابن أبى شيبة: ج 11، ص 286.

3- (3) تفسير الآلوسى: ج 6، ص 190.

المستوى كعلوم البلايا والمنايا، حتى صار بعضهم يفوق حتى عبد الله بن عباس فى علمه، وإليک نموذجاً يبيّن أهمّية هذا العلم وتميّز مَن أوتيه على الآخرين، فيُنقل: (أنّ ابن عباس جلس يوماً بين يدى ميثم التمار كالتلميذ بين يدىّ معلّمه، فقال له ميثم: يا بن عباس، سلنى ما شئتَ من تفسير القرآن، فلقد تعلّمت تنزيله من أمير المؤمنين وعلّمنى تأويله)(1).

ويظهر من خلال قراءة الروايات – وكما سوف يأتينا بعد ذلک – أنّ الشهيد الكربلائى حبيب بن مُظهِّر الأسدى كان من الذين حظوا بهذه المنزلة الرفيعة عند الإمام أمير المؤمنين، حتى خصّهم بعلم المنايا والبلايا.

وأعظم علم البلايا والمنايا بتقديرى أن يخبِر الإنسان بموته متى وكيف، خصوصاً إذا كان هذا الموت سيأتى بأقسى أشكاله وعلى يد شرّ البرية طغياناً وكفراً، مع صدق القائل ويقين الخبر.

ولا شک أنّ مثل هذا الأمر سيترک أثره فى نفس المخاطب به والذى سيجرى عليه مضمون الخبر، ومن ثم فمن الممكن أن يصدر منه ما يعكس مثل هذا الأثر من كلمة تضجّر أو قلق أو خوف أو ما شاكل ذلک، ولكنّنا نجد مثل هؤلاء الأبدال يتلقّون مثل هذه الأخبار بنفوس مطمئنّة وراضية بقضاء الله بدرجة عالية جداً، بل إنّ بعضهم ليتحدّث بما سوف يجرى عليه بالشكل الذى ربّما يُفهم السامع، كأنّ مثل هذا الأمر سيجرى على غيره لا عليه، وما ذاک إلاّ لعظيم إيمانهم وسموّ أنفسهم وعلاقتهم المتميزة بالله سبحانه وتعالى وبالإمام

1- (1) بحار الأنوار: ج 4، ص 128، ح 11، نقلاً عن معرفة اختيار الرجال للطوسى.

أمير المؤمنين عليه السلام.

ينقل العلاّمة آية الله الحاج سيد محمد حسين الحسينى الطهرانى قدس سره فى كتابه (معرفة الإمام) فى القسم المتعلّق بالإمام أمير المؤمنين وإخباره بالمغيّبات: «لقد أخبر الإمام أمير المؤمنين بمقتل ثلّة من أصحابه، منهم حجر بن عدى، ورشيد الهجرى، وكميل بن زياد النخعى، وميثم التمّار، ومحمد بن أكتم، وخالد ابن مسعود، وحبيب بن مظاهر، وجويرية بن مسهر، وعمرو بن الحَمِق، وقنبر، ومزرّع وغيرهم، ووصف قاتليهم وكيفية قتلهم»(1).

وهكذا نرى أنّ الشهيد الكربلائى حبيب بن مُظهِّر قد تقدّم إليه من الإمام كما تقدّم إلى غيره وقت وفاته وكيفيّتها، ولقد جرى عليهم جميعاً ما ذكره لهم أمير المؤمنين لفظاً ومعنى، فها هو حجر يخرج من الدنيا شهيداً ويُدفن فى مرج عذراء(2) ، ورشيد الهجرى تُقطّع يداه ورجلاه ثمّ لسانه ويُصلب(3) ، وهذا ميثم التمّار يطعن فى خاصرته حتى انبعث الدم من منخريه(4) ، وذاك قنبر يُذبح بيد الحجّاج، وهكذا الآخرون.

ولقد كان من بين هؤلاء الذين أخبروا بما يجرى عليهم حبيب بن مُظهِّر حيث ينقل الكشى رواية يؤكّد فيها على هذه الحقيقة، وفى نفس الوقت يتبيّن لنا من خلالها متى الاستعداد الكبير الذى كان يحمله هذا الشهيد (رض)

1- (1) كتاب معرفة الإمام: ج 12، القسم الخامس، أخباره بمقتل بعض أصحابه.

2- (2) الطبقات لابن سعد: ج 6، ص 217 - ص 220.

3- (3) رجال الكشى: ص 51-52.

4- (4) بحار الأنوار: ج 42، ص 128 - ص 129.

للقاء نهايته، روى الكشى عن فضيل بن الزبير(1) ، قال: (مرّ ميثم التمّار على فرس له، فاستقبله حبيب بن مظاهر الأسدى عند مجلس بنى أسد، فتحادثا حتى اختلف عنقا فرسيهما، ثمّ قال حبيب: لكأنّى بشيخ أصلع، ضخم البطن، يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صلب فى حبّ أهل بيت نبيّه، فتُبقَر بطنه على الخشبة، فقال ميثم: وإنّى لأعرف رجلاً أحمر، له خفيرتان، يخرج لنصرة ابن بنت نبيّه، فيقتل ويُجال برأسه فى الكوفة، ثمّ افترقا، فقال أهل المجلس: ما رأينا أكذب من هذين، قال: فلم يفترق المجلس حتى أقبل رشيد الهجرى فطلبهما، فقالوا: افترقا، وسمعناهما يقولان كذا وكذا، فقال رشيد: رحم الله ميثماً، نسى ويُزاد فى عطاء الذى يجىء بالرأس مائة درهم، ثمّ أدبر، فقال القوم: هذا والله أكذبهم، قال: فمَا ذهبت الليالى والأيام حتى رأينا ميثماً مصلوباً على باب عمرو بن حريث، وجىء برأس حبيب وقد قُتل، ورأينا كلّ ما قالوا)(2).

ولا شك ولا ريب أنّ مَن يقرأ هذه الرواية ويتدبّر فيها، يخرج بنتيجة أنّ هؤلاء الرجال كانوا على يقين من ربّهم ونبيّهم وإمامهم أمير المؤمنين، حتى أنّهم كانوا ينقلون أدقّ التفاصيل فيما يجرى عليهم، وكأنّ الأمر سينزل بهم ويحلّ عليهم الآن، وهذا لعمرك يقين لا يمكن أن يوجد إلاّ عند هؤلاء وأمثال هؤلاء (رض).

1- (1) صاحب مقتل للحسين يُعرف بمقتل: (الفضيل بن الزبير)، ذكره صاحب نقد الرجال أنّه كوفى أسدى، من أصحاب الصادق عليه السلام، نقد الرجال: ج 4، ص 27.

2- (2) رجال الكشى: ص 78، الرقم 133. منتهى المقال: ج 2، ص 328.

إشكال وردّه

وربّما يرد فى ذهن البعض وهو يقرأ سيرة هذا الشهيد – لاسيّما فيما يتعلّق بإخبار أمير المؤمنين له فى وقت مقتله وطريقتها – أنّ هذا يتعارض مع ما ينقل فى القرآن الكريم:

«وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ ما مَسَّنِيَ السُّوءُ1» !

لا شک أنّ علم الغيب من مختصات الله سبحانه وتعالى، وليس لغيره – حتى الأنبياء والأئمة – أن يعلم ذلک، ولكن هذا لا يعنى إغلاق أبواب علم الغيب بالكامل، بل إنّ اطلاع الأنبياء على بعض المغيبات جزء من الفيض الذى ذكره لنا القرآن الكريم.

حيث يقول:

«عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ 2» .

وقوله:

«وَ ما كانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَ لكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ3» .

وقوله:

«إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» ...«وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ 1» .

وهـذه الآيات وغيرها تؤكّـد على هذه الحقيقة القرآنية، وهى أنّ هناک نوعاً من الارتباط بين الرسل والأنبياء وبين عالم الغيب، نعم هناک ما يُعرف ب - (علم الغيب الذى استأثر الله به)، وهذا لا يطّلع عليه أحد، لا نبىّ مرسل ولا ملک مقرّب وهو المقصود بقوله:

«وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاّ هُوَ2» .

ولـذلک نحن نعتقد أنّ كلّ العلوم التى علّمها رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم سواء فيما يتعلّق بعلم الغيب أو غيره، أَطْلَعَ بها أهل بيته لاسـيما ابن عمّه ووصـيه أمير المؤمنين على ابن أبى طالب عليه السـلام، وهم بدورهم أطلعوا خُلّص أصـحابهم عليها، إذ فى ذلک مصلحة يرونها راجحـة، بل إنّنا لنجـد أنّ النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم قـد أطلع عموم أمّته على إخبار الغيب كالإخبار المتعلّق بالإمام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف والدجّال ونزول السيد المسيح، والإخبار بأشراط الساعة، وما شاكل ذلک.

وعليه فلا مشـكلة فى وجود علم المنايا والبلايا عند أئمة أهل البيت التى أخذوها عن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم، وهذا ما يتوافق مع القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهّرة.

حبيب بن مُظهِّر الأسدى والانسجام مع الشباب

ربّما تكون ظاهرة الانسجام بين مكوّنات الحركة الحسينية أمراً يلفت النظر ويستحق الدرس والبحث، لاسيّما فيما يتعلّق بالفوارق العُمرية التى كانت موجودة بين أنصار أبى عبد الله الحسين عليه السلام، فلم ينقل لنا التأريخ ما يمكن أن يعكّر صفو هذا الانسجام، فكان الكبير إلى جانب الصغير، وكان الشيخ إلى جانب الشاب كلّ منهم يرى نفسه جندياً عند الحسين عليه السلام ولا فرق فى ذلک، وهذه نقطة ملفتة للنظر وتستحق الاهتمام؛ لأنّ الفوارق العُمرية لابدّ أن تؤتى أكلها وأثرها فى الواقع الخارجى، لاسيّما فى أوضاع صعبة كالذى مرّ فيها أنصار الحسين عليه السلام.

فلابدّ من أفكار وفهْم مختلف للأحداث والطريقة فى معالجتها، كما حصل فى معركة أُحُد حينما استشار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم المسلمين فى القتال، فكان رأى كبار السنّ أن يقاتلوهم فى داخل المدينة ويتحصّنوا فى البيوت وينقضّوا عليهم، وأمّا الشباب فكان رأيهم أن يقاتلوهم خارج المدينة قائلين يا رسول الله ما قوتل قوم فى عقر دارهم إلاّ ذلّوا، فقدّر لهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هذا الاندفاع ونزل على رأيهم(1).

ومثل هذا الأمر لا يُعدّ مثلبة أو منقصة لهم، ولهذا نجد أنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم أخذ برأيهم كما تقدّم، ومن ثم يمكن أن يجرى نفس هذا الأمر مع أصحاب أبى عبد الله فى طريقة المواجهة وأسلوبها، ولكنّنا مع ذلک كلّه لم نجد شيئاً من هذا القبيل مطلقاً فى كربلاء، فكلّ واحد منهم كان يشعر أنّه جندىّ فى جيش الإمام الحسين

1- (1) انظر: المغازى للواقدى: ص 208-214.

ومَن معه، لا ـ فرق بين كبيرهم وصـغيرهم، وإنّى لعلى يقين أنّ حبيب بن مُظهِّر وأمثـاله من شـيوخ الأنصـار لـم يكونوا يتعاملون مع شـباب الأنصار تعاملاً فوقياً، فلا يتحدّثون معهم ولا يجلسون إليهم ولا يشاركونهم فيما يمكن أن يجرى عليهم كما هو حاصل ومعمول به فى كثير من الحروب والمعارك، حيث تجتمع قيادات الحرب وتتّخذ القرارات ثمّ على الآخرين أن يسمعوا ويطيعوا.

وإنّى لعلى يقين أنّ مثل هـذا لـم يحصل، فإنّ المنقول عنهم (رض) هو مشاركتهم لهم فى كلّ صـغيرة وكبيرة، حتى أنّ الحوراء زينب عليها السـلام نقلتْ لنا فى روايات كثيرة عن أحداث ليلة العاشـر من المحرم(1) أنّ حبيباً جلس مع أنصار الحسـين كلّهم - كهولهم وشـبابهم - وحثّهم على القتال وإلى بذل المُهَج والأرواح قبل الحسين وأهل بيته، وكان يخاطب فى ذلك مسلم بن عوسجة الأسدى الذى بلغ من الكبر عتيّاً، وعمرو بن جنادة الأنصارى الذى لم يبلغ الحلم، خطاباً واحداً لا يفرّق فيه بينهما، وهذا بتقديرى درس مهمّ وأساس من دروس الحركة الحسينية نأخذها من خلال هذا التلاؤم والتلاحم والانسجام بين مكوّنات ما يمكن أن يصطلح عليه بكوادر الحركة الحسينية.

فكل الشـرائح قـد انتظمت فى بوتقة واحدة من أجل أن تواجه الظلم والبغى والعدوان؛ ولهذا نجحوا فى ثورتهم وانتصـروا فى ثَباتهم وأعطوا كـلّ هـذا العطاء عبر التاريـخ للأحرار وللثوار فى العالم، ولسان حالهم يقول إلينا: إذا ما أردتم النصـر والحظوة عنـد الله والناس، عليكم أن تكونوا أمّة واحدة، وليس هذا بين

1- (1) ليلة عاشوراء فى الحديث والآداب للشيخ عبد الله الحسن: ص 51.

مكوناتها المذهبية فقط، بل أن تكونوا أمّة واحدة حتى فيما يتعلّق بالفوارق العُمرية.

وعلى شيوخ الأمّة وكهولها أن يعيشوا المسؤولية فى أنفسهم أوّلاً، وثانياً أن لا ينسوا أنّ فى المجتمع طاقات شبابية مهمّة عليهم أن يسلّطوا الأضواء عليها، وأن يكملوا معها ثورة التغيير الحقيقى، والتى يمكن أن تترك أثرها وآثارها فى الحياة الخاصة والعامّة، وأنّ ما يجرى فى هذه الأيام من انتفاضة عارمة هزّت عروش الظالمين الذين تسلّطوا على صدر الأمة الإسلامية مدة طويلة من الزمن، ابتداءً من تونس ومصر وليبيا واليمن والأردن، وانتهاءً بما لا يعلم نهايته إلاّ الله سبحانه وتعالى.

إنّ مثل هذه الثورات والتى عبّر عنها ب - (تسونامى المنطقة العربية أو الشرق الأوسط) لم يكن ليعطى كلّ هذا الأثر لولا تعاضد الشباب مع الشيوخ والشيوخ مع الشباب فى حركة لا تجد لها مثيلاً إلاّ فى خط الإسلام الأصيل فى حركة الحسين عليه السلام فى كربلاء.

لقد وقف حبيب بن مُظهِّر يضرب أروع أمثلة البطولة والفداء والتضحية والعطاء إلى جانب الثلّة الشبابية المؤمنة، والتى قامت بدورها بجهاد قلّ مثيله وتفنّنٍ فى الدفاع عن الإسلام ملفتٍ للنظر، فكأنّه الطوفان الذى ابتلع عروش الظالمين، حيث اشترك فيه ماء السماء وعيون الأرض، ثمّ التقى الماء على أمر قد قُدِر(1).

1- (1) سورة القمر: 11-12:«فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ * وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ».

حبيب بن مُظهِّر الأسدى والعبادة

ربّمـا لاـ يبالغ الإنسان إذا ما قال إنّ عبادة أصـحاب الحسـين عليه السـلام إمّا هى معدومـة النظير أو – لا أقل – نادرة الوجود، حيث تميّزوا جميعاً بعبادة وعشق مُميَّز لله سـبحانه وتعالى، فكلّ مَن ترجم وتحدّث عن واحد من أصـحاب الحسـين عليه السـلام كان يصـفه بالناسك العابـد الزاهـد القـارئ للقرآن وما شاكل ذلک من هـذه الكلمات، ولعلّ ما ذكره العلماء بالتواتر عنهم ليلـة العاشـر من المحرم ليكشف – وبشـكل لا يقبل الشک – أنّهم بلغوا مرتبـة عاليـة جدّاً من السـموّ الروحى، حيث باتوا تلک الليلة بين داعٍ ومصلٍّ وقارئ للقرآن ومسـتغفرٍ، فكان لهم دوى كدوىّ النحل(1).

كل ذلک اسـتعداداً للقاء الله سـبحانه وتعالى، بل إنّ درجة العشق والحب للعبادة تبلغ أعلى مسـتوياتها عند أصحاب الحسين عليه السلام حينما لا ينسون حتى وقت فضـيلة الصـلاة فضـلاً عن الصـلاة نفسـها، وهو الوقت الـذى ربّما لا يلتفت إليه الكثير من المؤمنين فى أوقات الرخاء لا البلاء، ولكنّ الأمر يختلف مع أنصار سـيد الشـهداء، فالمهم عنـدهم أن يتشـبّعوا ويمتلئوا من عبادة الله سـبحانه، وهـذا الأمر لا يمكن أن يكون بأعلى مستوياته إلاّ فى وقت فضيلة الصلاة، كلّ هذا وهم يعيشون فى ظرف خطير ووقت عسير، فهم قلّة وحولهم جيش من الأعداء لا يعرف الله ولا رسوله مُحدِق بهم من كل جانب.

يقول المجلسى: (جاء أبو ثمامة الصيداوى وقال للإمام الحسين عليه السلام: نفسى

1- (1) الطبرى: ج 6، ص 241.

لک الفـداء، إنّی أری هؤلاء القوم قـد اقتربوا منک، لا والله، لا تُقتل حتی أقتل دونک، وأحب أن ألقی الله وقد صـلّیت هذه الصـلاة التی دنا وقتها، فرفع الحسین علیه السلام رأسه إلی السماء وقال:

ذکرت الصلاة، جعلک الله من المصلین، نعم هذا أول وقتها)(1).

ثمّ یقف الحسـین لیصـلّی بأصـحابه المتبقین معه صـلاة الجماعـة، فأیّ حبّ للعبادة هـذا؟! وأیّ شوق للوقوف بین یدی الله؟! لا شکّ أنّها العبادة المتمیّزة فی کربلاء، ویقول الشاعر:

سِمَةُ العبیدِ مِنَ الخشوعِ عَلَیْهِمُ للهِ إنْ ضَمَّتْهُمُ الأَسْحَارُ

وَإِذَا تَرَجَّلَتْ الضُّحَی شَهِدَتَ لهم بِیْضُ القواضب أَنَّهُمْ أَحْرَارُ(2)

وربّما کانت هذه العبادة التی تحلّی بها أصـحاب الحسـین علیه السلام فی کربلاء هی أحد الأسباب الرئیسیة التی جعلت بعض الجماعات فی جیش عمر بن سعد ینتقلون إلی صفّ معسکر الحسین علیه السلام، یقول السید ابن طاووس:

(وبات الحسـین وأصـحابه تلک اللیلة ولهم دویّ کدویّ النحل، ما بین راکع وساجد وقائم وقاعد، فعبر إلیهم فی تلک اللیلة من عسکر عمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلاً»(3).

وکانت من بین عبادة هؤلاء المتمیّزة عبادةٌ أعظم تمیّزاً، أَلاَ وهی عبادة حبیب بن مُظهِّر الأسدی (رض)، هذا الرجل الذی ارتقت عبادته إلی مدارج

1- (1) بحار الأنوار: ج 45، ص 21.

2- (2) دیوان السید حیدر الحلّی: القسم الحسینی، ص 36.

3- (3) بحار الأنوار: ص 394.

الكمال العالية حتى وصلت إلى درجة أن خصّ ها الحسين عليه السلام بكلمات بيّنت قيمتها وعظمتها، وذلک حينما وقف عليه الحسين عليه السلام وقال:

«لله دَرّک يا حبيب، لقد كنتَ فاضلاً تختمُ القرآن فى ليلة واحدة»(1).

وقد أشار إلى هذه الحقيقة السيد الأمين حينما قال:

«كان يحفَظ القرآن كلّه، وكان يختمه فى كلّ ليلة من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر»(2).

وأمّا عن معنى هذه العلاقة الخاصّة والمتميّزة لحبيب مع القرآن الكريم التى ذكرها له الحسين عليه السلام، فقد تحدّث عنها السيد محمد حسين الحسينى الطهرانى بقوله: (ولقد كان حبيب بن مظاهر الأسدى الكوفى، الشيخ الكبير المتداعى، قارئ القرآن، وفقيه أهل البيت عليهم السلام، حينما سقط على الأرض فى معركة كربلاء فى سبيل إعلاء القرآن قال الإمام الحسين: «لله درک يا حبيب...»، ولقد كان هؤلاء - بلا شكّ - من واجدى المراتب القرآنية العالية، ومن الذين لمسوا حقائقه، قال سيد الشهداء عليه السلام:

«كتاب الله على أربعة أشياء، على العبادة، والإشارة، واللطائف، والحقائق، فالعبادة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»)(3).

1- (1) حبيب بن مظاهر للمظفّرى: ص 11.

2- (2) أعيان الشيعة: ج 20، ص 69.

3- (3) معرفة الإمام للسيد محمد حسين الطهرانى: ج 3، القسم العاشر، معنى القرآن وأصحاب الحسين عليه السلام.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ هذه العبادة التى تمتّع بها حبيب (رض) لم تكن عبادة مجرّدة عن الوعى والبصيرة كما هو حال الكثير من أبناء هذه الأمّة، حيث تراهم يسجدون الليل كلّه لله ولكنّهم يتحوّلون فى النهار من حيث يشعرون أو لا يشعرون إلى مطيّة الشيطان والسلطان، إنّ عبادة حبيب كانت من نوع وسنخ عبادة الأحرار، والتى وصفها سيد الشهداء عليه السلام بقوله:

«إنّ العباد ثلاثة، قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلک عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارک وتعالى طلب الثواب فتلک عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حبّاً فتلک عبادة الأحرار وهى أفضل العبادة»(1).

وإنّما أصبحت هذه العبادة هى أفضل من غيرها؛ وذلک لأنّ صاحبها إنّما يقوم بتكليفه وأداء ما عليه لأنّه يرى الله أهلاً لهذا التكليف وهذا الأداء، وهناک فرق كبير وواسع بين مَن يعبد الله عزّ وجلّ من أجل أن يدفع عن نفسه الضُّرّ والبأس - كذاک الذى لا يترک الصلاة خوفاً مِن أن تناله عقوبة تارک الصلاة - وبين مَن يعبد الله حبّاً وشوقاً نتيجة معرفته به وبعظمة آلائه ونِعَمِه عليه، فمثل هذا الإنسان لا يبقى فى دائرة أداء الواجب فقط، وإنّما يتعدّاها إلى غيرها من المستحبّات، ومع كلّ هذا لا يرى نفسه قد وفّت حق الله أو استوعبت استحقاقه عليها.

وما أجمل كلمة القرآن الكريم وهو يتحدّث عن هذه النخبة من

1- (1) وسائل الشيعة: ج 1، ص 62.

المؤمنين، والـذى أقطعُ أنّ منها هذا الشـهيد الكربلائى حبيب بن مُظهِّر الأسدى، ما أجمل القرآن وهو يخبرنا بوجود جماعة من الأولياء لا ينامون كما ينام الناس على فراشهم، حيث منعهم حبّ الله وشوقه ووَلَهُ الوقوف بين يديه من أن يناموا، يقول القرآن:

«تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً1» .

يقول الطبرسـى فى تفسـير هذه الآية: (أى ترتفع جنوبهم عن مواضع اضـطجاعهم لصلاة الليل، وهـم المتهجّدون بالليل الذين يقومون عن فرشهم للصلاة، عن الحسن ومجاهد وعطاء، وهو المروى عن أبى جعفر وأبى عبد الله)(1).

ويقول الإمام أمير المؤمنين:

«إلهى، ما عبدتُکَ خوفاً من ناركَ ولا طمعاً فى جنّتکِ ولكن رأيتک أهلاً للعبادة فعبدتُکَ»(2).

وهذا الذى عاشه على بن أبى طالب ومِن بعده الحسن والحسـين عليهم السـلام فى طريقة التعامل مع الله، قد تأثر فيه كلُّ مَن تبعهم صادقاً فى اتّبـاعه ومخلصـاً فى ولائـه، حيث كـانوا يُقبِلون – كـأئمّتهم وقـادتهم عليهم السـلام – على العبـادة وهـم مشـتاقون إليهـا، وكـأنّهم هـم المقصودون فى دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام:

«ولا تشغلهم عن تسبيحک الشهوات، ولا يقطعهم عن عظمتک

1- (2) مجمع البيان: تفسير آية 16 من سورة السجدة.

2- (3) بحار الأنوار: ج 41، ص 14.

سهوُ الغفلات، الخُشّع الأبصار، فلا يرومون النظر إليک، النواکس الأذقان، الـذين طالت رغبتهم فيما لـديک، المسـتهترون بـذکر آلائک، والمتواضـعون دون عظمتـک وجلالـل کبريائک، والـذين يقولون إذا نظروا إلى جهنّم تزفر على أهل معصـيتک: سـبحانک ما عبـدناک حقّ عبادتک»(1).

حبيب بن مُظهِّر مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

کلّ مَن تحدّث عن الشـهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى ذکر أنّه کان من خُلَّص أصـحاب أمير المؤمنين عليه السـلام وخاصّته وحامل علومه، لاسـيّما عِلْم المنايـا والبلايا، وأنّه نزل الکوفـة وصـحب عليّاً فى حروبه الثلاث(2) ، ولقـد کانت صـحبة الشـهيد للإمام أمير المؤمنين عليه السلام طويلة جدّاً، حيث امتدّت منذ زمن ما قبل وفاة ورحيل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى آخر يوم من أيّام على عليه السلام، حتى عدّه علماء الرجال من أصحابه عليه السلام(3) ، فضـلاً عن محبّته للحسن والحسين صلى الله عليه و آله، وعدّته الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السـلام من الأصـفياء، حيث ينقل الشيخ المفيد وهو يتحدّث عن أصحاب الإمام على عليه السلام: (ومن أصحابه عمرو بن الحَمِق الخزاعى، وميثم التمّار، ورشيد الهجرى، وحبيب بن مظاهر الأسدى، ومحمد بن أبى بکر)(4).

1- (1) الصحيفة السجادية: ص 11، دعاؤه فى الصلاة على حملة العرش وکلّ ملک مقرّب.

2- (2) إبصار العين فى أنصار الحسين: ص 100-106.

3- (3) معجم رجال الحديث: ج 5، ص 201-203.

4- (4) الاختصاص: ص 2.

ولقد تحمّل فيها الشـهيد الكربلائى الكثير الكثير من المآسى والمِحَن والأكدار والإحن وهو إلى جانب إمامه وسيّده أمير المؤمنين، لاسيّما فى تلك الحقبـة الحَرِجـة التى أعقبت وفاة رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم، وهى الحقبة التى تنازلت فيها الأمّة عن وصـيّة نبيّها فى خصوص الإمامة والخلافة والوصاية له عليه السلام من بعده، فى تلك المرحلة ظلّ علىّ جليس البيت، يعيش الألم والحسرة وهو يرى تراثه نهباً، وما أعظم تلك الكلمة التى قالها على عليه السلام وهو يتحدّث عن ذاک الظرف الخاص الذى مرّ به عليه السلام، وكذلک مَن كان معه من المخلصين:

«وطفقتُ أرتأى بين أن أصول بيدٍ جذّاء أو أصبرُ على طخية عمياء، يَهرم بها الكبيرُ ويشـيبُ فيها الصغيرُ، ويكدح فيها مؤمنٌ حتى يلقى ربَّه، فرأيتُ أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرتُ وفى العين قذى وفى الحلقِ شجى، أرى تراثى نهباً»(1).

ولقد بانت معالم صـعوبة تلك الحقبة أكثر حينما وصل على عليه السـلام إلى سِدّة الحكم، لا برغبة شخصية منه، وإنّما بعد أن أقبل الناس من كلّ حدب وصوب يسألونه أن يتسـلّم زمام السـلطة والحكم، بعد أن رأوا بأمّ أعينهم ظلمَ مَن مضـى، وكيف تسـلّط الأدعياء والطلقاء من خلالهم على مقدّرات هذه الأُمّة ومقدّساتها، ولكن ما إن وصل إلى سِدّة الحكم حتى خرجت عليه أصحاب المطامع والمصالح والأهداف الدنيوية وسائر قبائل قريش؛ لأنّها كانت تعلم أنّ علياً سـيتعامل وفق منهج رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم فى تعامله معهم، حينما وقف أمام جشعهم

1- (1) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج 1، ص 31.

وظلمهم وحاربهم فى كلّ ما كانوا يتمتّعون به من صفات دنيّة قائمة على الباطل.

ولمّا رأت كلّ هذه المجاميع ذلک من علىٍّ وتيقّنتْ به، أشعلتْ عليه حروباً ثلاثاً ما أنزل الله بها من سلطان، ابتداءً من واقعة الجمل وانتهاءً بالنهروان، فضلاً عن الإرهاب الأموى المتمثّل بالنهب والقتل والترويع الذى كان يصنعه معاوية وعصابات الإجرام التابعة له.

ولا شک ولا ريب أنّ وقوف الناس إلى جانب على بن أبى طالب عليه السلام فى تلک المرحلة الصعبة تمثّل مكرمة وفخراً للإنسان، حيث يعنى الوقوف إلى جانب على عليه السلام تعريض المال والنفس والأهل إلى الضرر الحقيقى، ومع ذلک كلّه فقد ثبتتْ معه فئة من المؤمنين من حوله، وفدتْه بالغالى والنفيس وحافظت عليه كما يحافظ الإنسان على عينَيه، حتى وُصِفوا تارةً بالحواريين وأخرى بالأصفياء وأخرى بالمخلصين، وما شاكل ذلک من هذه الصفات التى تكشف كلّ واحدة منها معدن هؤلاء وأصالتهم، وكان من بين هؤلاء حبيب بن مُظهِّر الأسدى (رض)، هذا الرجل الذى لازم عليّاً ملازمة الظلّ للشخص، فلم يكن يفارقه لا فى صغيرة ولا فى كبيرة، فكان معه فى حلّه وترحاله.

حبيب بن مُظهِّر من حوارىى على عليه السلام

أَطلقتْ بعضُ الروايات على جماعة خاصة من أصحاب على عليه السلام أنّهم كانوا من الحواريين، ومن هذه الروايات ما ذكره المجلسى عن الإمام أبى الحسن موسى عليه السلام، حيث يقول:

«إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين حوارى محمّد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر، ثمّ ينادى أين حوارى علىّ بن أبى طالب وصىّ محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعى ومحمد بن أبى بكر وميثم التمّار مولى بنى أسد وإدريس القرنى»(1).

صحيح أنّ هذه الرواية وأمثالها لم تُدخل الشهيد الكربلائى حبيب بن مُظهِّر الأسدى معهم، ولكن من خلال ملاحظة جملة من النقاط يتبيّن لنا أنّ الشهيد يُعدّ من حوارى أمير المؤمنين عليه السلام، بل ومن ساداتهم.

1 - يقول ابن منظور: (الحواريون صفوة الأنبياء عليهم السلام، وقال الزجاج: الحواريون خُلصانُ الأنبياء عليهم السلام وصفوتهم). ويقول: (وتأويل الحواريين فى اللغة: الذين أخلصوا ونقّوا من كلّ عيب). ويقول: (قيل لناصر نبيّه حوارى إذا بالغ فى نصرته، تشبيهاً بأولئک، والحواريون الأنصار: وهم خاصة أصحابه). ويقول (الحوارىّ: الناصح، وأصله الشىء الخالص، وكلّ شىء خلص لونه فهو حوارىّ)(2).

وإلى نفس هذا المعنى أشار الشيخ الطبرسى فى مجمعه بقوله: (وقال الكلينى وأبو روق: الحواريون أصفياء عيسى، وكانوا اثنى عشر رجلاً، وقال عبد

1- (1) بحار الأنوار: ج 22، ص 342.

2- (2) لسان العرب لابن منظور: ج 2، ص 1044، مادّة (حور).

الله بن المبارک: سُمّو حواريين لأنّهم كانوا نورانيين، عليهم آثار العبادة ونورها وحسنها، كما قال تعالى:

«سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ1» .

وربّما هذا المعنى هو المروى عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام حينما سُئل: مِمَ سُمّى الحواريون الحواريين؟ قال:

«أمّا عند الناس فإنّهم سُمّو الحواريين لأنّهم كانوا يقصّرون الثياب من الوسخ بالغسل، وأمّا عندنا فإنّهم كانوا مخلصين فى أنفسهم ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب»(1).

فتبيّن فيما سبق أنّ لفظة الحواريين إنّما تُطلق على أتباع الأنبياء ومَن لهم صفات خاصة مِن تقوى وزهد وعبادة، وخلوص وإخلاص فى درجاته العالية، وهذا المعنى - لا ريب ولا شكّ - قد تمثّل فى أصحاب الإمام أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام بشكل عام، لاسيّما الأبدال منهم، أمثال حجر وعمرو بن الحَمِق وحبيب بن مُظهِّر وسلمان وأبى ذر والمقداد وآخرين.

ومن ثم يكونون أولى من غيرهم فى هذا اللفظ، بل يكون الشهيد حبيب بن مُظهِّر أعظمهم منزلةً وأفضلهم مكانةً؛ وذلک لأنّه اشترک معهم فى كلّ هذه الصفات وزاد عليها الشهادة بين يدى ريحانة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه الحقيقة من خلال الرواية التى تروى عنه عليه السلام

1- (2) مستدرک سفينة البحار: ج 2، ص 464.

حينما سأل حبيباً قائلاً: يا حبيب، ما يزين الرجل؟ فقال: العلم والحلم والشـجاعة، فقال له الإمام: أحسنتَ يا حبيب، وكلّها مجموعة فيک، وكذا بقيت فضيلة رابعة وسوف تنالها إن شاء الله، فقال حبيب: وما هی؟ قال: هی الشهادة.

2 – ورد فی بعض المصادر اللغوية والتفسيرية أنّ المراد من الحواريين هم الصفوة من أتباع الأنبياء(1) ، وهذا المعنى بالنص ورد فی كتاب الاختصاص للشـيخ المفيد، حيث قال: (ومن أصـفياء أصحابه – يقصد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام – عمرو بن الحَمِق الخزاعی عربی وميثم التمّار... وحبيب بن مظاهر الأسدی...)(2).

إنّ نفس لفظة الحواريين قد أُطلقت على جماعةٍ ذُكروا فی رواية الاختصاص للشـيخ المفيد، أمثال محمد بن أبی بكر، وميثم التمّار، كما فی الرواية المتقدّمة عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام(3) ، فهم الصـفوة فی الاختصاص، وهم الحواريون فی البحار، ممّا يعنی أنّ الذين أُطلق عليهم هذا اللفظ إنّما ذُكروا للمثال وليس للحصر، فيكون حبيب بن مُظهِّر الأسدی داخلاً معهم.

حبيب بن مُظهِّر من شرطة الخميس

ورد فی كثير من المصادر التاريخيـة لاسـيّما الرجالية منها أنّ حبيب بن مُظهِّر كان من شـرطة الإمام أمير المؤمنين، بل وفی بعضـها أنّ أقلّ درجاته أنّه من شرطة الخميس، وهی تكفی لوحدها لإثبات جلالته ووثاقته، يقول السيد الخوئی وهو

1- (1) التفسير الكبير للرازی: تفسير الآية 52 من آل عمران. لسان العرب: ج 2، ص 1044، (مادّة حور).

2- (2) الاختصاص للشيخ المفيد: ص 3.

3- (3) وقد تقدّمت قبل قليل فلتراجع.

يتحدّث عنه (رض): «وذكره البرقى من أصحاب أمير المؤمنين ومن شرطة خميسه»(1).

ويقول أهل اللغة: إنّ (الشرطة جمع شرط، سّمّوا بذلک لأنّهم أُعدّوا لذلک، وأعلموا أنفسهم بعلامات، وقيل هم أوّل كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت، وفى حديث بن مسعود: «تشرط شرطة للموت لا يرجعون إلاّ غالبين، هم أوّل طائفة من الجيش تشهد الواقعة»)(2).

والخميس كما يقول أهل اللغة هو الجيش: (والخميس: الجيش، وقيل: الجيش الجرّار، وقيل: الجيش الخشن، وفى المحكم: الجيش يخمس ما وجده، وسُمّى بذلک لأنّه خمسة فِرَق: المقدّمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة، أَلاَ ترى قول الشاعر:

قد يضربُ الجيشُ الخميسُ الأزدرا)(3)

وإنّما لقّبهم وأطلق عليهم مثل هذا الاسم الإمامُ أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه شارطهم وشارطوه كما فى الرواية التى ذكرها الشيخ المفيد فى كتاب الاختصاص: (محمد بن الحسين عن محمد بن جعفر عن أحمد بن أبى عبد الله قال: قال على بن الحكم: أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين قال لهم:

«تشرّطوا فأنا أشارطكم على الجنّة، ولستُ أشارطكم على ذهب

1- (1) معجم رجال الحديث: ج 4، ص 2236، مادّة (شرط).
2- (2) لسان العرب: ج 2، ص 1264، مادة (خمس).
3- (3) لسان العرب: ج 2، ص 1264، مادّة (خمس).

وفضة، إنّ نبيّنا صلى الله عليه و آله و سلم قال لأصحابه: تشرّطوا فإنّى لست أشارطكم إلاّ على الجنّة، وهم سلمان والمقداد...»)(1).

فيظهر من كلّ ما تقـدّم دور هـذه الفئة وعظمة المسؤولية المناطة بها، فهى أشـبه بالقوّات الخاصة التى تحتفظ بها الدولة فى أوقات الشدّة أو عند بداية الحروب لحسـمها، إضافة إلى المسؤوليات الداخلية للبلاد كحفظ النظام والاسـتقرار وإقامة الأحكام والقوانين الإسلامية، لاسيّما فى المسائل الحساسة والمهمّة.

وإذا كان الأمر كذلک فإنّ المنخرط فى قوات عسكرية كهذه فى ظلّ حكومة الإمام أمير المؤمنين لا شكّ أنّه يُعدّ من خيار المؤمنين وثقات الإمـام فضـلاً عن شـجاعته وبسالته، ولقـد أشار الإمام أمير المؤمنين إلى فضل هـذه الجماعـة فى أكثر من مناسـبة، لاسـيّما حينما أراد أن يتحدّث مع عبد الله بن يحيى الحضرمى:

«أبشـر يا بن يحيى، فإنّک وأباک من شـرطة الخميس حقّاً، أخبرنى رسول الله باسـمک واسم أبيک فى شـرطة الخميس، والله سمّاكم شرطة الخميس على لسان نبيه صلى الله عليه و آله و سلم»(2).

ولقد كان للشهيد الكربلائى دور مهمّ فى هذه الشرطة وهذه القوّة الضاربة، والتى كانت تمثّل بالنسبة إليه عليه السلام بمثابة اليد التى يحمل بها السيف.

فهنيئاً للشهيد هذا الفضل الكبير من الله تعالى، والذى وصل إلى درجة أن

1- (1) الاختصاص: ص 2-3.

2- (2) رجال الكشى: ص 4.

يسجّل اسمه فى سجلّ شرطة الإمام أمير المؤمنين وسِجل الشهداء مع ولده الحسين عليه السلام فى كربلاء(1).

حبيب بن مُظهِّر فى الكوفة

بعد شهادة الإمام أمير المؤمنين ظلّ حبيب إلى جانب ولده الإمام الحسن لاسيّما فيما مرّ عليه من مآسٍ كبيرة وفتن متعدّدة وتخاذل غير مسبوق من قِبل الأمّة، والتى انتهت آخر الأمر بقبول الإمام الحسن عليه السلام للصلح مرغماً، وكان حبيب بن مُظهِّر إلى جانب الإمام فى كلّ هذه الشدائد التى مرّت عليه فادياً له بنفسه ومهجته.

وبعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام وتسلّط معاوية على رقاب الأمّة ظلماً وجوراً، وتسلّط أمثال زياد بن أبيه على الكوفة، فقد تمّت تصفية الكثير من قيادات على بن أبى طالب عليه السلام وشيعته بشكل لم يعهد من قبل، قتلاً وسجناً وتشريداً، حتى أنّ الإنسان ليأخذه العجب كيف استطاع هذا الشيخ الهرم – حبيب ابن مُظهِّر – أن يفلت من أيدى هؤلاء الظلمة، الذين تتبّعوهم تحت كلّ حجر ومدر، ولكنّ الله إذا أراد شيئاً هيّأ له أسبابه، فالله سبحانه وتعالى أراد لهذا الشيخ الذى أفنى كلّ عمره من أجل الإسلام أن تنتهى حياته بنهاية تشرئبّ لها الأعناق وتخفق لها القلوب وتتمنّاها كلّ النفوس الصادقة والمخلصة لله سبحانه وتعالى.

بقى حبيب بن مُظهِّر (رض) فى الكوفة مختفياً بين هذا البيت وذاك، وربّما

1- (1) وسيأتينا مزيد من الحديث عن هذه القوّة الضاربة ونحن نتحدّث عن الشهيد القائد الحلاّس بن عمرو الراسبى (رض).

كان من جملة أسباب بقائه هو قوّة وهيبة وسلطان عشيرته التى ينتمى إليها وهم بنو أسد، حيث كان لهم وجود واضح وبارز فى الكوفة، وكان حبيب زعيم هذه القبيلة وسيّدها بلا منازع.

ظلّ حبيب على هذا الحال مراقباً للأحداث ومتّبعاً لأوامر إمامه الحسين عليه السلام الذى أمرهم بالصبر والسكوت ولزوم البيوت مادام معاوية على قيد الحياة، فقد روى البلاذرى: (لمّا تُوفّى الحسن بن على عليه السلام اجتمعت الشيعة ومعهم بنو جعدة بن هبيرة ابن أبى وهب المخزومى وأمّ جعدة هى أم هانئ بنت أبى طالب فى دار سليمان بن صرد، فكتبوا للحسين كتاباً بالتعزية، وقالوا فى كتابهم: إنّ الله قد جعل فيک أعظم الخلف ممّن مضى ونحن شيعتک المصابة بمصيبتک المحزونة بحزنک المسرورة بسرورک المنتظرة لأمرک، وكتب إليه بنو جعدة يخبرونه بحسن حال رأى الكوفة فيه وحبّهم لقدومه وتطلّعهم إليه، وإن قد لقوا من أنصاره وأخوانه مَن يرضى هَدْيَه ويطمئنّ إلى قوله ويُعرف نجدته وبأسه، فأفضوا إليه ما هم عليه من شنآن ابن أبى سفيان والبراءة منه، ويسألونه الكتابة إليهم، فكتب الحسين عليه السلام إليهم:

«أنّى لأرجو أن يكون رأى أخى عليه السلام فى الموادعة ورأيى فى جهاد الظالمين رشداً وسداداً، فالصقوا بالأرض واخفوا الشخص واكتموا الهوى واحترسوا من الأضناء ما دام ابن هند حيّاً، فإن يحدث به حدث وأنا حى يأتيكم رأيى إن شاء الله»)(1).

وفى رواية أخرى وهو يتحدّث مع محمد بن بشر الهمدانى:

1- (1) أنساب الأشراف: ج 3، ص 151-152. الأخبار الطوال للدينورى، ص 222.

«ليكن كلّ امرئ منكم حِلساً من أحلاس بيته ما دام هـذا الرجل حيّاً، فإن يهلك ونحن وأنتم أحياء رجونا أن يخير الله لنا ويؤتينا رشـدنا ولا يكلنا إلى أنفسنا، فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»(1).

حبيب والاجتماع الأول للشيعة

بمجرّد أن هلك معاوية ووصـلت الأخبار إلى مسامع شـيعة أهل البيت عليهم السلام فرحوا واستبشروا خيراً بموته وهلاكه، فاجتمعت كبار شخصياتها فى الكوفة على وجه السرعة، وكان الاجتماع فى بيت سليمان بن صرد الخزاعى (رض).

روى أبو مخنف عن الحجاج بن على عن محمد بن بشـر الهمدانى قال: (اجتمعت الشـيعة فى منزل سليمان بن صرد فذكرنا هلاكه فحمدنا الله عليه، فقال لنا سـليمان بن صـرد: إنّ معاوية قد هلك وإنّ حسـيناً قد تقبّض على القوم ببيعته وقد خرج إلى مكة وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فـإن كنتم تعلمون أنّكم ناصـروه ومجاهـدو عـدوّه فـاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهل والفشل فلا تغروا الرجل، قالوا: لا، بل نقاتل عـدوّه ونقتل أنفسنا دونه، قال: فاكتبوا إليه، فكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، للحسـين بن على من سليمان بن صرد والمُسَيَّب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مُظهِّر وشيعته من المؤمنين والمسـلمين من أهل الكوفـة، سـلام عليك، فإنّا نحمـد الله إليك الـذى لا إله إلاّ هو، أمّا بعد، فالحمد لله الذى قصم عدوّك الجبّار العنيد الذى انتزى على هذه الأمّة فابتزّها وغصبها فَيْأَهَا

1- (1) أنساب الأشراف: ج 3، ص 150، تحقيق المحمودى.

وتأمّر عليها بغير رضا منها، ثمّ قَتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دُوْلَةً بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود، إنّه ليس علينا إمام فأقْبِلْ لعلّ الله أن يجمعنا بک على الحقّ، والنعمان بن بشر فى قصر الإمارة لسنا نجتمع معه فى جمعة ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّک قد أقبلتَ إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله والسلام ورحمة الله عليک)(1).

ثمّ سرَّحوا الكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمدانى وعبد الله بن وال وأمروهما بالنجاء، فخرجا مسرعَين حتى قَدِمَا على الحسين عليه السلام بمكة لعشر مضينَ من شهر رمضان.

ثمّ بدأت بعد ذلک الرسائل والكتب تترى إلى الحسين من أهل الكوفة، فورد عليه فى يوم واحد ست مائة كتاب، وتواترت الكتب حتى اجتمع عدّة منها فى نوب متفرّقة اثنا عشر ألف كتاب(2).

ومن خلال هذه الوثائق وغيرها يتبيّن لنا أنّ الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى كان من أوّل الداعين إلى هذا الاجتماع والمنظّرين إليه والمبادرين إلى عقده مع ثلة من أصحاب السوابق الإيمانية، وهذا إذا دلّ على شىء فإنّما يدلّ على أنّ هذا الرجل لم يتزعزع إيمانه ولم يقلق تمسّكه بأئمّته رغم كلّ الظروف الصعبة التى مرّ بها، وما زالت قائمة آنذاک فى الكوفة والتى يمكن أن يتعرّض من خلالها إلى الموت الحقيقى، ومع كلّ هذا نجد الشهيد علماً بارزاً من أعلام هذا الاجتماع، بل وكان من سادات العمل بعد ذلک كما سيأتى فى حركة مسلم بن عقيل عليه السلام.

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 3، ص 277. الإرشاد: ص 203.

2- (2) انظر: اللهوف فى قتلى الطفوف: ص 105.

دور حبيب بن مُظهّر فی ثورة مسلم بن عقيل

ما إن وصلت رسائل أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام حتى بعث إليهم سفيره وثقته من أهل بيته مسلم بن عقيل، التی كانت مهمّته تعبئة الأمّة إيمانياً وروحياً من أجل الوقوف بقوة أمام ما يمكن أن تواجهه الأمّة الآن وفی المستقبل من ويلات مع بنی أميّة، لاسيّما حكومة يزيد بن معاوية، والمهمّة الأخرى هی دراسة الوضع العام فی داخل الكوفة من قِبل مسلم بن عقيل وإرسال التقرير إلى الإمام الحسين عليه السلام لاتخاذ الموقف اللازم والمناسب فی تلك المرحلة الخطرة.

وفعلاً جاء مسلم إلى الكوفة واختار دار المختار بن أبی عبيد الثقفی محلاً ومكاناً له، وبدأت تُعقد الاجتماعات السياسية والاجتماعية، وكانت على مستويين: مستوى عام لكلّ الناس أو ما يمكن أن نعبّر عنه بالمستوى الشعبی، خصوصاً عندما كانت الدعوة غير سرّية ومكان مسلم بن عقيل مُشَخَّصاً ومعروفاً.

وهناك مستوى آخر من الاجتماع وهو الخاص، حيث كان يخصّ النخب الاجتماعية والسياسية والعشائرية فی داخل الكوفة، ولقد نقل لنا التاريخ صوراً لبعض الجوانب التی حصلت فی هذه الاجتماعات التی تؤكّد بشكلّ واضح وصريح عظمة تلك الشخصيات المجتمعة وحِنْكتها وشوقها إلى الشهادة بين يدی أبی عبد الله الحسين عليه السلام ومسلم بن عقيل عليه السلام.

ومن هذه الصور ما يذكره المقرّم فی كتابه القيّم: (ووافت الشيعة مسلماً فی دار المختار بالترحيب وأظهروا له من الطاعة والانقياد ما زاد فی سروره وابتهاجه، فعندما قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام قام عابس بن شبيب الشاكری وقال: إنّی لا

أخبرک عن الناس ولا أعلم ما فی نفوسهم، ولا أغرک بهم، والله، إنّی أحدّثک عمّا أنا مُوَطِّن علیه نفسی، والله لأجیبنکم إذا دعوتم، ولأقاتلنّ معکم عدوّکم، ولأضربنّ بسیفی دونکم حتی ألقی الله، لا أرید بذلک إلاّ ما عند الله، ثمّ قال حبیب ابن مظاهر: قد مضیت ما فی نفسک بواجز من القول، وأنا - والله الذی لا إله إلاّ هو - علی مثل ما أنت علیه، وقال سعید بن عبد الله الحنفی مثل قولهما)(1).

ویضیف الطبری نصاً مُکَمِّلاً لهذا النص عن علی بن الحجاج حینما یقول: «سألت محمد بن بشیر الهمدانی هل کان منک قول أنت (یعنی بعد قول عابس وحبیب وسعید هل تکلمت أنت؟) فقال له: إنّی کنتُ أحبُّ أن یُعزَّ أصحابی بالظفر، وما کنتُ لأحب أن أقتل وکرهت أن أکذب»(2).

ولا شکّ أنّ مثل هذه الاجتماعات کانت تضمّ فیما بینها حتی الشخصیات المختلفة فی درجة الولاء والإیمان والمبدئیة والقِیَم، کان أتباع أهل البیت قد شخّصوها وعرفوها أنّها لم تکن - لا فی الماضی ولا فی الیوم - محلّ ثقة واعتناء من قِبلهم، ولکنّهم مع ذلک قرّروا عدم إثارتها ومواجهتها، لاسیّما فی هذه المرحلة الحساسة من حرکة مسلم بن عقیل علیه السلام علی أن یعالج مثل هذا الأمر فیما بعد، بشکل یضمن أن یُعطی کل ذی حقٍ حقه، وفی هذه الدائرة یمکن أن نمثل بمحمد بن بشیر الهمدانی صاحب النص الثانی الذی ذکره الطبری، حیث کان حاضراً فی هذا الاجتماع ولکنّه کان أشبه وأقرب إلی قول الفرزدق للإمام

1- (1) مقتل الحسین للمقرّم: ص 147.

2- (2) الطبری: ج 1، ص 199.

الحسين عليه السلام حينما سأله عن أهل الكوفة: إنّ قلوبهم معک وسيوفهم عليک، فكان يريد النصر لأهل البيت ولأتباعهم، ولكنّه فى نفس الوقت كان لا يريد مثل هذا النصر أن يتمّ من خلال قتْل نفسه أو تعريضها للأذى.

ولقد لفتت انتباهى فقرة من فقرات كلامه حينما قال: (كرهت أن أكذب)، والتى تصبّ فى صالح ما نريد أن نتحدّث عنه فى ذلک الاجتماع، حيث أراد لكلامه – والله العالم – الإشارة إلى حديث بعض تلک الشخصيات المتلوّنة بتلوّن الهوى والدنيا، حينما كانت تتحدّث بقوة فى داخل هذا المجلس وتدعو إلى الوقوف والقتال، وما شاكل ذلک من تلک الكلمات التى كانت مُشَخَّصة ومعروفة من قِبل مَن عاش مثل هذه النفوس وكيفية تعاملها مع على عليه السلام وولده الحسن عليه السلام.

ومن هنا نعرف ونقيّم فى نفس الوقت كلمة الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى (رض) حينما أكّد على ما ذكره عابس، سواء فى جانب التصميم على الشهادة أو التخوّف وضرورة الحذر من قِبل أمثال هؤلاء الأدعياء، ومن هذه النقطة بالذات لم نجد أحداً ممّن ذكره التاريخ وقف إلى جانب مسلم بن عقيل ثمّ من بعده سيد الشهداء ثمّ وُفّق للشهادة بين يديه، لم نجد أحداً من هؤلاء إلاّ وقد أُسندت إليه مهمّة كبيرة، وهى أخذ البيعة للإمام الحسين من قِبل أهل الكوفة، وكان على رأس أولئک الجماعات شخصية حبيب بن مُظهِّر الأسدى (رض)، الذى كان له دور كبير فى هذه الحركة المباركة. مما يعنى أنّ مسلماً كان قد شَخّص هذه العناصر الولائية دون الآخرين.

ولئن كان التاريخ قد أغفل عن جهل أو عمد بنود هذه البيعة التى أخذها مسلم بن عقيل عليه السلام وأركان ثورته من الناس للإمام الحسين عليه السلام، فيمكن للإنسان أن يقطع أنّها لم تكن غير تلك البيعة التى أخذها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من الأنصار فى العقبة الأولى والثانية، تلك البيعة التى غيّرت مجرى التاريخ وأعطت للنبى صلى الله عليه و آله و سلم زخماً كبيراً وواسعاً فى الوقوف أمام طغاة قريش وكفّارها، وما أجمل البيعة إذا كانت لله ولرسوله و إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإصلاح فى أمّة رسول الله، كما هى فى الواقع الشعارات الحسينية التى خرج بها الإمام الحسين ودعا الناس إلى الوقوف إلى جانبه من أجل الدعوة إليها والعمل بها.

ولقد قرأتُ فى بيعة الأنصار لرسول الله مبدأً عظيماً كشف فى الواقع مدى الإيمان العميق الذى كان يكنّه الأنصار له صلى الله عليه و آله و سلم، وذلك حينما قال لهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

«تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل، والنفقة فى العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن تقولوا فى الله، لا تخافون فى الله لومة لائم، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذ قدمت عليكم ممّا تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم»، ثمّ قال صلى الله عليه و آله و سلم وهى النقطة المهمّة: «ولكم الجنّة»(1).

وهكذا كانت البيعة من قِبل المؤمنين لمسلم بن عقيل فى الكوفة، إنّها بيعة

1- (1) البداية والنهاية: ج 3، ص 157.

الموت من أجل الله عزّ وجلّ والجنّة، ثبت عليها مَن كان خائفاً من الله ورسوله، معروفاً بالولاء لأهل بيت نبيّه صـلى الله عليه و آله و سلم، ونكل عنها وتراجع مَن غَرّتْه الدنيا وباع آخرته بالثمن الأوكس الأدنى.

إشارة لابدّ منها:

تداعيات التفرق عن مسلم بن عقيل

اشارة

وهنا ونحن نتحـدّث عن هـذه النقطة بالذات فقد تتوارد إلى الذهن مجموعة من الأسـئلة المهمّة، والتى ترتبط بنفس هذه البيعة التى أخذها مسـلم بن عقيل من أهل الكوفة، وكيفية انكفاء الناس عنه وعدم بقائهم معه إلى آخر نفس، لاسـيّما وهم بايعوه على السمع والطاعة والجهاد بين يديه.

وإذا كان هناك مَن يـذكر ويـدّعى وجود أسـباب ومبررات لهـذا النكول والتراجع – ككون الكوفـة ليست كلّها من جنس الموالين، بل هى عبارة عن خليط غير متجانس من الأفكار والتيارات والإيديولوجيات الدينية والمذهبية والقومية والعشائرية – فإنّ مثل هذه الأسباب والأعذار يمكن أن تُقبل فى دائرة عامّـة المبايعين، ولا شك فيهم الصالـح والطالـح والسـليم والسـقيم، أمّا فى دائرة القمم الإيمانية العالية وأصـحاب السوابق الجهادية والذائبين فى خط أهل البيت عليهم السلام، فلا يمكن أن تُقبل بأىّ حال من الأحوال.

أسئلة مهمة تحتاج إلى جواب

ربما لا يملك الإنسان نفسه وهو يقرأ ويسمع ما جرى وحصل مع مسلم بن

عقيل فى الكوفة إلا وتتجمع فى ذهنه الأسـئلة تلو الأسئلة عن ذلک فكيف يمكن أن نقبل أن يعيش مسلم بن عقيل لوحده فى الكوفة بشكل غير مسبوق، حتى أنّ الرواة ينقلون أنّه صلّى صلاة المغرب والعشاء وبعد انتهائها خرج من باب كندة فلم يجد أحداً يدله على الطريق؟(1)، كيف يمكن لعاقل أن يقبل مثل هـذه النتيجـة؟! أين ذهب عابس وحبيب وأمثالهما ممّن لا تأخذه فى الله لومة لائم؟ أين كانوا حينما وصـل الأمر إلى أن يُقتل ويُجرّ مسـلم وهانى فى شوارع الكوفـة وأزقّتها؟ لاسـيّما ونحن نقطع أنّ حبيباً وأمثاله من الشـهداء بين يدى الحسـين عليه السـلام لم يكونوا قـد اعتقلوا قبل هذا اليوم، ولـم يكونوا قد قُتلوا قبل ذلک اليوم، ولـم يكونوا قد التحقوا وتوجّهوا إلى الحسـين قبل ذلک اليوم، كيف ذاک وهم لم يعلموا بوقت خروج الحسـين عليه السـلام من مكّة والذى صادف فى نفس اليوم الذى استشـهد فيه مسلم بن عقيل عليه السلام فى الكوفة، وهو يوم 8 ذى الحجة سنة 60 ه -.

وهنا يزداد الأمر تعقيداً وتكبر الحيرة أكثر فأكثر، حتى كأنّها تريد أن تأخذ بمجامع العقل كلّه.

وقد يعتذر بعضهم أولاً

وقـد يعتذر البعض بأنّ هؤلاء الشـهداء الأبطال قد هيّأوا أنفسـهم واسـتعدّوا للخروج من أجل الشـهادة بين يدى أبى عبد الله الحسـين عليه السلام، ومن ثم خرجوا إليه مبكرين أو متخفّين بعد ذلک(2).

1- (1) انظر: أعلام الورى بإعلام الهدى: ص 244.

2- (2) انظر: أضواء على الثورة الحسينية: ص 222.

ردٌّ على الاعتذار الأول

وهذا العذر لا شكّ فيه ما فيه من الشبهات التى إذا أردنا أن نقبلها فإنّما تُقبل مع غير هؤلاء الأبدال، وأمّا معهم فلا وألف لا، فهؤلاء يعلمون قبل غيرهم أنّ امتثال أمر الحسين عليه السلام فى الوقوف إلى جانب مسلم بن عقيل هو بمثابة الوقوف إلى جانب شخص الحسين عليه السلام والشهادة بين يديه، فالمهم عندهم هو أداء التكليف الملقى على عاتقهم من قِبل الحسين، سواء أكان هذا التكليف معه عليه السلام أم مع غيره، وسواء أكان فى الكوفة أم فى كربلاء أم فى غيرهما من المناطق، ولذا يصعب علينا أن نقبل مثل هذا العذر مع هؤلاء الثلّة من المؤمنين.

وقد يعتذر بعضهم ثانياً

وقد يعتذر البعض الآخر عن مثل فعل هذا النكول والتراجع عن مسلم بن عقيل من قِبل الناس، بأنّ هؤلاء الأبطال قدّروا أنّ الأمر قد انتهى وأنّ القتل هو المصير الحتمى والنهائى لمثل هذه الثورة، ومن ثم حاولوا أن ينقذوا أنفسهم من القتل، فلربّما الحياة تحتاج إليهم بعد ذلك، ومن ثم يمكن أن يخسروا هذه النفوس فى جهاد الظالمين فى أماكن أكثر تأثيراً من هذه الثورة التى جرت فى الكوفة وبانت علائم فشلها، فقرّروا الخروج من أتون هذه الثورة التى انتهت بنظرهم(1).

ردٌّ على الاعتذار الثانى

وهذه كذلك لا يمكن قبولها بأىّ حال من الأحوال، فإنّ انتهاء هذه الثورة وبيان فشلها أمامهم لا يمكن أن يكون مبرراً لهذه الفئة المؤمنة الواعية فى أن

1- (1) انظر: أضواء على الثورة الحسينية: ص 222.

تترک مسلم بن عقیل فریسةً سهلة یفعل به ابن زیاد ما یشاء، إذاً أین ذهب عابس الذی قال وهو بین یدی مسلم بن عقیل: (والله لأجیبنکم إذا دعوتم ولأقاتلنّ معکم عدوّکم ولأضربنّ بسیفی دونکم الخ...)؟!

الأسئلة تتری من جدید إلی الذهن

وهکذا یتری بعد السؤال، أین ذهب قول الشهید حبیب بن مُظهِّر وهو یؤکّد علی نفس مقالة الشهید عابس؟ أین ذهب وعی حبیب وبصیرته وهو صاحب هذه الأرجوزة التی تکشف عن مدی یقینه بقضیته العادلة حیث یقول:

أنتم أعدُّ عدّةً وأکثرُ ونحنُ أعلی حجّةً وأصبرُ

أین ذهب کل هذا الصبر إذاً؟ وأین ذهبت کل هذه البصیرة الواسعة التی کانت تُمیّز فی مثل ذلک الموقف بین جیش جرار یحمل کل إمکانیات القمع والقتل، وبین جیش صغیر لا یحوی معه إلاّ أسلحة سهلة صغیرة بسیطة، ولکنّهم کانوا یحملون أعلی درجات الإیمان والیقین بالله عزّ وجلّ، کما هو معنی أرجوزة حبیب المتقدّمة.

طریق لمعالجة المشکلة

وحتی یمکن أن نعالج کل هذه الأسئلة والإشکالات التی تقدّمت، ویمکن أن یُجاب علیها بشکل صحیح ومقبولٍ عقلاً وعرفاً، لابدّ من التعامل مع ما ذکره المؤرخون حول قصّة مسلم بن عقیل - لاسیّما فی خصوص انکفاء الناس عنه بشکل کلّی لا جزئی - بشیء من التأمّل والتفکّر والنظر، فإنّ المسألة باعتقادی تستحق النظر والبحث، آخذین فی الوقت نفسه فی نظر الاعتبار أنّنا مهما ذکرنا

من نقاط فإنّنا لا يمكن أن نصل إلى مرحلة القطع فيما نذهب إليه؛ لأنّ البحث فى المسألة التأريخية لا يمكن القطع بها، لاسيّما إذا تعلّق الأمر فى تفاصيلها، إلاّ فى مجموعة قليلة منها ثبتت فى التواتر، وأمّا فيما عداها فمن حقّ الإنسان الباحث أن يُعمل فِكره ونظره فيها، مستنداً فى ذلک إلى مجموعة من الوسائل والآليات العلمية التى يمكن أن يستعين بها فى هذا الإطار.

ومن هنا – وحتى لا أترک القارئ فى مجموعة من الإشكالات والأسئلة حول ما تقدّم – أودّ أن أذكر مجموعة من النقاط، أرى من اللازم الإشارة إليها والتأمّل فيها، ثمّ يُترک الأمر إلى القارئ ليحكم بعد ذلک ويرى هل يمكن قبول أو عدم قبول ما نقل عن هذه المرحلة من صور وأحداث، لاسيّما عن شخصيات هذه المرحلة من المؤمنين الموالين دون غيرهم؟

نقاط لابدّ منها:

1 – لابدّ من افتراض أنّ هناک صوراً مفقودة فى قصة مسلم بن عقيل عليه السلام يمكن من خلالها أن نجمع بين الصور المتناقضة، وهذا الافتراض الذى نذكره تستدعيه طبيعة الأحداث التى نُقلت إلينا، وقد أشار إلى هذا الافتراض أو لنقل بعبارة أخرى مفتاح هذا اللغز مجموعةٌ من العلماء الباحثين فى هذا المجال، منهم السيد محمد صادق الصدر فى كتابه (أضواء على الثورة الحسينية)، حيث يقول:

(ولعلّ السؤال الأخير الذى يمكن عرضه فى هذا الصدد ما قاله بعض الأذكياء لبعض العلماء عمّا روى فى التأريخ من أنّ مسلم بن عقيل تفرّق عنه أصحابه كلّهم فى يوم واحد أو عشية واحدة، حتى أصبح يتلبّد فى أزقّة الكوفة

فی ظلاـم اللیـل لاـ یجـد مَن یؤویه، مع العلم أنّ من الکوفیین مَن هم علی درجـة عالیـة من الإخلاص للحق المتمثّل فی مسـلم بن عقیل والحسـین علیه السـلام، أمثال حبیب ابن مظاهر ومسـلم بن عوسجة وآخرین، بدلیل أنّ هذین المذکورین استُشهدا مع الحسین فی کربلاء، إذاً فإخلاصهم محرز، فلماذا تفرّقوا عن مسلم فی تلک اللیلة وترکوه وحیداً حائراً؟!)(1).

وإن کنّا غیر موافقین علی ما أجاب به السـید الشـهید رحمه الله علی مثل هذا التساؤل(2) ، ولکنّه أجاد فی عرض هذه القضـیة التی تحتاج إلی دراسة معمّقة للخروج بنتائج مرضیة ومتناسبة مع عظمة الشخصیات المتحدَّث عنها فی هذه الواقعة.

2 - من الواضح أنّ مثل هذه الصور المفقودة فی حرکة مسلم بن عقیل والتی غابت أو - بتعبیر أدق - غُیّبت لأسباب ترجع برمّتها إلی صالح السـلطة الحاکمـة، المتمثّلـة ببنی أمیـة ویزیـد بن معاویـة، حیث کان الجمیع یبحث دائماً عمّا یؤدّی إلی تشویه صورة الکوفة إجمالاً وهی عاصمة الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام.

وکذلک تشویه صورة الموالین لأهل البیت علیهم السـلام من خلال تشویه صورتهم، وهم بشکل بعید عن الخُلُق والإنسانیة، وقد لا یحتاج الإنسان أن یسـهب فی بیان مـدی الحدیث الذی وضـعه بنو أمیة علی الکوفة وأهلها من خلال وعّاظ السـلاطین وعلماء الجور ومَن لا حظّ لهم بالعلم فضلاً عن الدین، حیث کتبوا کثیراً فی

1- (1) أضواء علی الثورة الحسینیة: ص 222.

2- (2) انظر: أضواء علی الثورة الحسینیة: ص 222.

غدرهم لعليّ ثمّ من بعده الحسن ثمّ من بعده مسلم بن عقيل ثمّ من بعده الحسين، وهكذا مع أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وأنا لا أريد هنا أن أردّ على هذه الأراجيف الباطلة والأكاذيب الكالحة، ولكنّني أريد - فقط - أن أنوّه إلى أمرٍ مهمّ، وهو أنّ كلّ مَن يطالع وقائع حرب صفّين وعظمتها وما جرى فيها سيخرج بنتيجة مفادها عظمة تضحيات أهل العراق الموالين منهم، وهم يدافعون عن خطّ الإمامة، فضلاً عن عشرات الأحاديث التي وردت في مدح أهل الكوفة، كقول على عليه السلام:

«يا أهل الكوفة، جزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيّكم أحسن ما يجزى العاملين بطاعته، سمعتم فأطعتم ودعيتم فأجبتم»(1).

وقوله:

«لا تسبّوا أهل الكوفة، فوالله إنّ فيهم لمصابيح الهدى»(2).

و «الكوفة جمجمة الإسلام وكنز الإيمان»(3).

أمّا تشويه صورة الموالين فيها فقد اتّخذ أشكالاً متعدّدة، منها ما ذكرناه قبل قليل، ومنها قصّة معقل الجاسوس، حيث يذهب بعض المحققين إلى أنّها قصّة مفتعلة لا وجود لها، والغاية الأساس من ذلك هو إظهار ضعف شخصيات

1- (1) نهج البلاغة للشريف الرضى: ص 583، من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة.
2- (2) تاريخ دمشق لابن عساكر: رقم الحديث 445.
3- (3) الطبقات لابن سعد: ج 6، ص 1-6.

الموالين، وأنّها بسيطة إلى درجة كبيرة بحيث لا تستطيع أن تصمد أمام شخص جاسوس كهذا، حيث استطاع خلال مدة وجيزة أن يصل إلى القلب، ومن ثم ينهى كلّ هذه التنظميات التى مضى على ترتيبها مدة طويلة من الزمن، وفى نفس الوقت تُظهر هذه القصة قوّة بنى أمية ومَن يتبعهم من وُلاة، ومن ثم سيكونون هم أقدر على الحفاظ على دقّة العباد والبلاد.

وباعتقادى أنّ هذه الرواية التى تريد أن تشير إلى انكفاء الناس بالكامل عن مسلم بن عقيل فى الكوفة جاءت ضمن هذا السياق وهذا الهدف، حيث تريد أن تقول ولمَن يهمّه الأمر، سواء أكان ذلك فى زمن يزيد وبنى أمية أم بعدهم: إنّكم إذا دافعتم عن الكوفة بأنّها ليست شيعية، ومن ثم حصل الذى حصل وابتعد الناس عن مسلم بن عقيل، إذاً فماذا تقولون عن الموالين وأصحاب السوابق الإيمانية من أتباع أهل البيت عليهم السلام؟ ومن ثم يحاولون خلال هذه الأكاذيب تسقيط هذه الشخصيات التى ما فتئتْ تدافع عن أهل البيت بكلّ ما تملك من مال وجهد ونفس.

3 – إنّ سيرة هؤلاء الشهداء لاسيّما حبيب بن مُظهِّر ومسلم بن عوسجة وعابس وأمثالهم قبل يوم ورود مسلم بن عقيل، بل وفى يوم وروده واجتماعه بهم، ليؤكّد حرص هذه الجماعات على الشهادة، وأنّها على استعداد للقتل بين يديه بلا أدنى ريبة أو شك فى ذلك، والذى يراجع كلماتهم (رض) يكتشف مثل هذه الحقيقة بشكل سريع، هذا من جانب.

ويوجد جانب آخر هناك وصورة أخرى وموقف آخر ينقله لنا التاريخ

ص:73

عنهم، أنّهم قُتلوا بين يدى إمامهم وسيّدهم الحسين عليه السلام وبشكل ملفت للنظر، حيث استبسلوا جميعاً فى الدفاع عنه، بل وتفنّنوا فى مثل هذه الشهادة، فإذا كان الأمر كذلک فلابدّ أن نفترض وجود صور أخرى وموقف آخر غير هذا الذى ذكر مع مسلم بن عقيل فى صلاة المغرب والعشاء الأخيرة التى صلاّها مع الناس فى الكوفة، ومثل هذا الأمر يدعو إليه العقل من خلال المقدّمات التى ذكرناها سابقاً، وبخلاف هذه النتيجة نكون قد وضعنا العقل جانباً فى قضية ما كان ينبغى للعقل أن يتجنّبها.

4 – وأمّا الاعتماد على ما ذكره المؤرخون فى هذا الموضوع فلا يمكن قبوله مطلقاً؛ لكونه لا ينسجم مع طبيعة الأحداث والأشخاص، وما يدريک لعلّها كانت من جملة الموضوعات التى ذكرها بعضهم وأخذها عنهم الآخرون؛ لأنّها كانت تصبّ إمّا فى صالح النظام الحاكم آنذاک أو لأنّها تصبّ فى صالح حقد هذا المؤرّخ على أهل البيت عليهم السلام وعلى شيعتهم، وكم ذكر لنا التاريخ صوراً لا وجود لها، وربّما الواقع الذى نعيش فيه يكشف لنا سرّ ما كتبه الأوائل، حيث ما زالت الحناجر الطائفية والأيادى والأقلام الحاقدة تأخذ معينها ومراد حديثها من خلال ما كتبه هؤلاء المؤرّخون.

وعليه لا يمكن أن نأخذ بكل ما ورد فى تاريخ الطبرى مثلاً، لا لشىء إلاّ لأجل أنّ الطبرى قد روى مثل هذا الأمر، وإلاّ إذا كان الأمر كذلک فإنّ الإنسان ربّما يصل إلى درجة لا يستطيع معها حتى أن يدافع عن نفسه، نعم نحن ننقل عن الطبرى وغيره إذا كان يتماشى مع عقيدتنا بأهل البيت عليهم السلام وبأشياعهم وأتباعهم

وما ورد عنهم فيهم عليهم السلام حقّاً وصدقاً، وإنّ ما يتنافى مع ذلک نضرب به عرض الجدار، غير مأسوفٍ عليه؛ لأنّ هذه الكتب مهما علتْ وغلتْ فلا يمكن أن تكون قرآن هذه الأمّة ودستورها الذى لا يناقش ويجب العمل به بشكل تعبّدى، حتى وإن لم تُفهَم بعض الأمور فيه.

5 – ثم ما الداعى إلى أداء مسلم بن عقيل عليه السلام لصلاة الجماعة هذه وفى مثل هذه الليلة الصعبة، والتى لاحت بها علامات سيطرة عبيد الله بن زياد على الأوضاع فى الكوفة؟

ما معنى أن تقام مثل هذه الصلاة فى هذا الظرف الخاص؟ لاسيما ونحن نعلم يقيناً أن مسلم بن عقيل، سوف يقيمها مع خُلّص أصحابه المؤمنين بحركته وقيامه فى الكوفة بل والذين يمثلون أركان هذه الحركة المباركة.

ومن ثم إقامة الصلاة جماعة تعنى بشكل ضمنى تجمعاً لكل هذه العناصر أو أغلبها ومن ثم سيتحولون إلى لقمة سائغة بيد عبيد الله بن زياد الذى يريد هو ومن يدور فى فلكه الانقضاض عليهم وبأسرع فرصة.

وقد يقال بأن مسلم بن عقيل أراد بهذه الصلاة تحصيل الثواب الأكثر فالصلاة جماعة خير من الصلاة بشكل فردى والصلاة فى المسجد خير من الصلاة فى البيت.

أقول إن مسلم بن عقيل عليه السلام الذى خاض الحروب والغزوات وخبرها عَلِمَ وبشكل قاطع ان الحرب خدعة لاسيما إذا كان عدوه لا يحمل من القيم الإنسانية فضلاً عن الإسلامية شيئاً كبنى أمية وعليه لا يمكن له أن يكون بتلک الدرجة من

السذاجة بحيث يجعل هذه الصلاة طريقاً سهلاً لابن زياد فى الحصول عليه بل والمؤيدين له.

بل إننا نرى أن الشريعة الإسلامية التى فرضت صلاة الخوف بشكل معين وفى ظل شروط خاصة، لم تترك حتى مسألة الحذر من العدو بشكل كامل، بل وضعت لذلك ضمانات تحفظ من خلالها هذه الأعداد المصلّية، يقول القرآن الكريم:

«وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً 1» .

ولا شك ولا ريب أن مسلم بن عقيل هو ابن الشريعة والمتربى على يدىّ أئمتها ولا بد أن يكون مطّلعاً على هذه النقطة بشكل كامل، ولذلك أعتقد أن صلاة الجماعة هذه غير موجودة أصلاً ولم يكن قد صلاّها مسلم بن عقيل عليه السلام، وإنّما هى كذبة وفرية افتراها بنو أمية ومن لف ودار فى فلكهم والغاية الأساس منها هو تشويه صورة الموالين أمثال حبيب ومسلم بن عوسجة وغيرهما من الأبدال، بأنهم أهل غدر وختل وخديعة.

فإذا كنتم تدافعون عن مجمل الانقلاب فى الكوفة سابقاً وإن الشيعة والموالين لم يكونوا فى جملة الانقلابيين إن صح التعبير، حيث امتلأت بهم السجون والقبور والبرارى سجناً وقتلاً وتشريداً، فماذا تقولون فيمن ترك مسلم بن عقيل لوحده فى آخر ساعات حياته فريسة لابن زياد بعد ما فرّ عنه ولم يقف

خلفه حتى فى آخر صلاة صلاها والتى لا يقف خلفه فيها مصلياً فى ذلک الظرف الخاص إلا من كان موالياً شيعياً مخلصاً؟

ومن ثم أُريدَ من خلال هذه الصلاة إرسال هذه الرسالة المهمة عبر العصور وهى الرسالة التى سعت الماكنة الأموية بكل ما أوتيت من قوة للترويج إليها وتثقيف الأمة على أساسها ابتداءً من اليوم الأول بعد واقعة كربلاء والى يومک هذا حتى سرت هذه الأكذوبة فيما بين أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وللأسف الشديد.

6 - ثمّ كيف يمكن أن يتناسب ما حصل وجرى فى صلاة الجماعة هذه - على فرض وجودها تنزلاً - من تفرّق الموالين والمخلصين وفيهم على أقلّ تقدير 70 شهيداً من شهداء كربلاء كانوا قد التحقوا بعد ذلک بالحسين وقتلوا بين يديه.

أقول كيف يمكن أن يتناسب كل ذلک الغدر والخذلان منهم مع قول الحسين عليه السلام بعد ذلک بمدّة وجيزة من الزمن لم تستغرق أكثر من شهر حينما جمعهم ليلة العاشر من المحرّم وقال:

«ما رأيت أصحاباً أوفى وأبّر من أصحابى».

حيث مدحهم الحسين عليه السلام بصفة مهمة وأساسية ألا وهى الوفاء بل الأوفى على وفق قوله عليه السلام؟

أفيمكن أن يمدح الغادر والخاذل للحق بالوفاء؟

أم يمكن أن يحابى الحسين عليه السلام ويجامل فى دين الله ويشوه الحقائق على الناس وهو الذى أعطى دمه من أجل الدين والدفاع عنه؟

7 – وبغض النظر عن كل ما تقـدم، فإن مثل هـذا الأمر لـم يحصل مع من تقـدم ومن تأخر من أئمـة أهل البيت فى الكوفـة، حيث لـم ينقل التأريـخ ان الناس كانت قـد انكفأت عن أمير المؤمنين عليه السـلام فى الكوفـة بشـكل كامل بحيث لـم يبقَ خلفه أو معه أحـد من أصـحابه وشيعته، مع شدة المأساة والظلامة التى مر بها الإمام أمير المؤمنين سواء أكان مثل هذا الأمر فى حرب الجمل أم صفين أم مع الخوارج بل حتى حينما رفعت المصاحف وضـغط الكثير من جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السـلام عليه فى ضرورة القبول بقى إلى جانبه جماعة من المخلصين والموالين أمثال مالک الأشتر.

ومثل هذا الأمر كذلک لـم يجرِ مع الإمام الحسن عليه السـلام مع شدة الخذلان الذى لاقاه من أهل الكوفة بل ومن المقربين له أمثال عبيد الله بن العباس – إن صـحت الروايـة عنه بـذلک – ومع كل ما مرّ وحصل من مظلوميـة نجد أن هناک من المخلصـين من وقف إلى جانبه وبقى مدافعاً عنه أمثال عبد الله بن العباس وقيس ابن سعد بن عبادة وأمثالهما.

بـل إننـا نرى أن مثل هـذا الأمر لـم يجرِ حتى مع الحسـين عليه السـلام، حيث لـم تخـذل الأمـة بكاملها سـيد الشـهداء بل وقف إلى جانبه مجموعة من الناس فدوه بالغالى والنفيس.

وهكـذا مع بقيـة أئمة أهل البيت عليهم السـلام، فإذا كان الأمر كذلک فَلِمَ يجرى مثل هذا الأمر مع مسـلم بن عقيل فقط فى داخل الكوفة ومن ثم يُترک وحيداً فريداً لا يجد أحداً يدلّه على الطريق؟

الحسين عليه السلام يراسل حبيب بن مُظهّر الأسدى

اشارة

ربّما تكون رسالة الإمام الحسين عليه السلام – التى سوف نذكرها بعد قليل – إلى حبيب بن مُظهِّر الأسدى من جملة مميزات هذا الشهيد على غيره، حيث لم يحدّثنا التاريخ الموجود بين أيدينا أنّ الحسين عليه السلام راسل جماعة أو أشخاصاً بشكل منفرد فى الكوفة غير هذا الشهيد رضى الله عنه وغير أولئک الذين كانوا فى البصرة من أصحاب الأخماس فيها، وها نحن نذكر هنا نصّ هذا الكتاب محاولين تسليط الأضواء عليه وعلى أهمّ النقاط المهمّة فيه.

كتاب الحسين إلى حبيب

روى الفاضل الدربندى فى كتابه (أسرار الشهادة) كتاباً من الحسين عليه السلام إلى حبيب بن مُظهِّر، هذا نصّه:

«من الحسين بن على بن أبى طالب إلى الرجل الفقيه حبيب بن مظاهر

أمّا بعد..

فأنت تعلم قرابتنا من رسول الله، وأنت أعرف بنا من غيرک، وأنت ذو شيمة وغَيرة، فلا تبخل علينّا بنفسک، يجازيک جدّى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يوم القيامة»(1).

1- (1) أسرار الشهادة: ص 390.

النقاط المهمة التى حواها كتاب الحسين

وقد حمل هذا الكتاب الحسينى إلى الشهيد الحسينى - إذا صح التعبير - مجموعة من النقاط، أرى من اللازم الإشارة إليها:

1 - لا ـ شكّ أنّ هذا الكتاب يكشف - وبشكل كبير - مدى الاحترام العالى والتأثير المُميّز الذى تضمّنته هذه الشخصية فى الواقع الإسلامى والاجتماعى، وسيأتينا بعد ذلك دور حبيب فى دعوة بنى أسد للالتحاق بركب الحسين عليه السلام.

2 - أشار الحسين عليه السلام فى كتابه بكلمة «الرجل» إلى معنى الثبات وعدم الانجرار وراء الفتن مهما عظمت وجلّت، وهذا مفهوم قرآنى عظيم أشار إليه القرآن الكريم فى أكثر من آية، لاسيّما فى سورة الأحزاب بقوله:

«مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ 1» .

وقوله:

«فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا2» .

فليس كل مَن حمل الذكورة رجلاً فى نظر القرآن، فهناك الرجل وهناك مَن لا يمكن تشبيهه إلاّ بعقول ربّات الحجال كما يقول الإمام على عليه السلام:

«يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال»(1).

1- (3) بحار الأنوار: ج 8، ص 680.

3 – كلمـة «الفقيه» التى وردت فى هذا الكتاب لا شكّ أنّ فيها منقبة للشـهيد حبيب، تزيده فخراً وكرامة فوق ما يحمله من فخر وكرامة، وقد تقدّمت معانى هذه الكلمة فيما سبق فراجع(1).

4 – الإيمـان بـالله عزّ وجلّ وبرسوله وبهـذا الـدين يُحَتِّم على الإنسان أن ينصـر الله ورسوله، ما فى ذلک من ريب، ولكن ممّا يزيـد الأمر مسؤوليـة أكبر وتكليفـاً أعظم فى هـذه النصـرة على الإنسان، هو قربه من رسول الله واطلاعه وبشـكل مكثّف على حياته وعلاقاته وأحاديثه وأحكامه، وهذا كذلک معنى قرآنى اتّبعه القرآن مع نساء النبى صلى الله عليه و آله و سلم بقوله:

«يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ 2» .

وربّما يكون هذا المعنى هو الذى أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام مع الشقرانى بقوله:

«الحسنُ من كلّ أحدٍ حَسَنٌ ومنکَ أحسنُ لقربِکَ منّا، والقبيحُ من كلّ أحدٍ قبيحٌ ومنکَ أقبح؛ لمكانک منّا»(2).

وعلى نفس هذا السـياق خاطب الحسـين عليه السلام حبيب بن مُظهِّر بهذه اللهجة، فهو الأعرف والأدرى برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وبأهل بيته ومدى احترامه (رض) لهم عليهم السلام ودعوة الأمّة إلى نصرتهم عليهم السلام.

1- (1) فى طيّات الحديث عن علاقة حبيب بالفقه.

2- (3) سفينة البحار: ج 1، ص 708.

5 – ذكر الإمام فی كتابه ما يحمله حبيب وأسرته من خُلُق رفيع وشيمة نبيلة إضافة إلى الغَيرة على هذا الدين، خصوصاً وأنّه يعلم أنّ صاحب الغيرة لا ـ يمكن أن يصبر وهو يرى بأمّ عينه انتهاك حرمات الله ومقـدّساته، فهـذا هدهـد سـليمان – وهو لم يكن بشـراً بل كان حيواناً – قد غضب وتألّم يوم رأى بلقيس وقومها يسـجدون للشـمس من دون الله، حتى جاء وأعلن غضـبه أمام سليمان عليه السلام، ولم يقل حين رأى ذلک: مالی ولهم، فـذنبهم على جنبهم كما يقولون، فإذا كان حال الهدهـد هكـذا على دين الله، فما بالک بالأولياء والصـلحاء، ولهذا نجد الحسين عليه السلام أراد أن يشير إلى هذا المفهوم المكنون فی نفس الشهيد (رض) من أجل أن يُحفّزه على الجهاد أكثر فأكثر.

6 – فی قبال كلّ هذه التی سوف يقدّمها حبيب من بذلٍ للغالی والنفيس فإنّ هناک ثمناً عظيماً ينتظره، ألا وهو مجازاة رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم له بنفسه (رض)، هذا الرسول الذی يقول عنه القرآن إنّه سيعطی منزلة عظيمة:

«وَ لَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضی 1» .

حتى ليغبطه على ذلک الأوّلون والآخرون، هذا كلّه والنداء يسمعه الجميع:

«يا محمّد، ارفع رأسک، سل تُعْطَه، اشفع تُشَفّع»(1).

فما بالک بمَن تكون مجازاته فی ذلک اليوم عند هذا الإنسان؟ كيف سيكون حاله؟ وكيف ستكون كرامته ومنزلته؟

1– (2) كتاب الخصائص الكبرى للسيوطی: ج 2، ص 327.

7 – أودّ الإشارة هنا إلى نقطة أراها مهمّة حول مجمل هذا الكتاب الذى أرسله الحسين عليه السلام إلى حبيب (رض)، حيث إنّه لم يرسل إليه بشكل مبكّر، بل أرسل إليه متأخّراً جدّاً، بل وبعد خروج الحسين من مكّة باتجاه الكوفة، ممّا يعنى أنّ أصل النصرة حاصلة وثابتة من خلال إرسال حبيب الكتب إلى الحسين ودعوته للحضور إلى الكوفة، والتعهّد له ببذل المال والنفس بين يديه، أو بعد ذلك من خلال حركة مسلم بن عقيل عليه السلام، حيث تحوّل حبيب إلى ركن مهمّ من أركان هذه الثورة المباركة.

وعليه فإنّ هذا الكتاب لا يعنى مطلقاً طلب النصرة من حبيب ابتداءً، وإنّما هو من باب شحذ الهمّة أكثر، وربّما كان موجّهاً بالدرجة الأولى إلى مجمل الموالين فى الكوفة لأجل إيصال رسالة، مفادها: إذا كان هذا الشيخ الهرم مطلوباً للنصرة، فإنّكم ستكونون مطلوبين من باب أولى.

وصول حبيب بن مُظهِّر إلى كربلاء

يذهب الكثير من المؤرّخين والمحققين إلى أنّ وقت وصول الشهيد حبيب ابن مُظهِّر الأسدى إلى الحسين فى كربلاء كان فى اليوم السادس من المحرم عام 61 ه –، وذلک بعد أن تسلّم رسالة الحسين عليه السلام وفهم ما يريده فيها، وبعبارة أخرى: إنّ وصول الشهيد إلى كربلاء كان على إثْر وصول الرسالة إليه.

وبما أنّنا نُقدّر أنّ الرسالة لم تُرسل إلى حبيب إلاّ فى منطقة قريبة من كربلاء أو ربّما بعد وصول الحسين إليها فى 2 محرم، فلابدّ أن يكون وصول الشهيد إليه فى ما يمكن أن يقدّر بالسادس من محرم أو ربّما قبله بقليل، وهذا

المعنى يمكن للإنسان أن يتلمّسه فى قول الخوارزمى فى مقتله حيث يقول: (والْتَأَمَتْ العساكر عند عمر لستّ أيام مضينَ من محرم، فلمّا رأى ذلک حبيب بن مظاهر الأسدى جاء إلى الحسين عليه السلام فقال له...)(1)، ممّا يعنى أنّ الشهيد كان فى كربلاء اليوم السادس من محرم قطعاً، فلربّما كان التحاقه بالحسين فى اليوم السادس من محرم أو قبله بقليل على أقل التقادير.

زوجة الشهيد حبيب والموقف الإسلامى

إن كان القرآن الكريم قد تحدث عن مواقف بعض النساء فى طريق الجهاد والدعوة إلى الله عزّ وجلّ أمثال أم موسى، والتى يقول عنها القرآن:

«وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي إِنّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ 2» .

حيث تحمّلت التكليف والمسؤولية الإلهية وصنعت مع ولدها ما لم تصنع أم برضيعها.

أو تلک المرأة الصالحة - زوجة فرعون - التى تركت كلّ شىء بعد أن آمنت بالله وصدّقت رسلَه، ومن ثم خرجت من كلّ ما يمكن أن تفكّر به كلّ امرأة من عزّ ومال وجاه، وتحمّلت أشدّ الآلام فى هذا الطريق وهى تقول:

«رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَکَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي

1- (1) مقتل الحسين للخوارزمى: ج 1، ص 345.

مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ 1» .

وهكذا صور أخرى من البطولة والشجاعة قلّ نظيرها.

أقول إذا كـان القرآن قـد ذكر كـلّ هـذا، فلقـد خلّفت كربلاء وما قبلها وما بعـدها صوراً من المواقف الإسـلامية والإنسانيـة للنساء تقف لها البشرية إجلالاً وإكباراً، حيث وقفنَ مواقفَ قلّ أن يقفها الكثير من الرجال، ولقد كان من بين هذه النسوة زوجة هذا الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى، التى كانت تقول بعد أن وصلت رسالة الحسين عليه السلام له: (بالله عليک يا حبيب، لا تقصّر عن نصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم)(1).

ولكنّ الشهيد أراد أن يختبرها ليكشف عن عظمة معدنها وإيمانها، ولتبقى أسوةً حسنةً تشرئبّ لها الأعناق عبر الزمن، فقال لها: (أخاف على أطفـالى من اليتم وأخشـى أن تُرمّلى بعـدى، فقـالت: ولنا التأسّـى بالهاشـميات والبُنَيّات والأيتام من آل رسول الله، والله تعالى كفيلنا وهو حسـبنا ونعم الوكيـل. فلمّـا عرف حبيب منهـا حقيقـة الأـمر دعا لها وجزّاها خيراً وأخبرها بما هو فى نفسه وأنّه عازم على المسـير والرواح، فقالت: لى إليک حاجة، فقال: وما هى؟ قالت: بالله عليک يا حبيب، إذا قدمتَ على الحسـين عليه السلام قبّل يديه ورجليه نيابةً عنّى، واقرأه عنّى السلام، فقال: حبّاً وكرامةً)(2).

1- (2) معالى السبطين: ج 1، ص 370.

2- (3) المصدر نفسه: ج 1، ص 370.

حبيب بن مُظهِّر الأسدى فى كربلاء

اشارة

إنّ كان التأريخ قد سجّل للشهيد حبيب بن مُظهِّر مواقف كثيرةً قبل يوم عاشوراء، فإنّ يوم عاشوراء قد حمل فى طيّاته الكثير من المواقف مع قصر المدّة الزمنية، وها نحن مُسجِّلون بعض هذه المواقف والتى يفتخر الإنسان ويرفع رأسه عالياً بها:

1 - الموقف الأوّل: ويحک ياقرّة أنّى ترجع إلى القوم الظالمين؟

ينقل الطبرى فى تاريخه: (بعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام عزرة بن قيس الأخمسى(1) فقال: ائتِهِ فسلْه ما الذى جاء به وماذا يريد؟

وكان عزرة ممّن كتب إلى الحسين فاستحيا منه أن يأتيه، فعرض ذلک على الرؤساء الذين كاتبوه، فكلّهم أبى وكرهه، وقام إليه كثير بن عبد الله الشعبى - وكان فارساً شجاعاً ليس يردّ وجهه شىء - فقال: أنا أذهب إليه، والله لئن شئت لافتكنّ به؟

فقال عمر بن سعد: ما أريد أن تفتک به، ولكن ائتِهِ فسلْه ما الذى جاء به؟

فأقبل إليه، فلمّا رآه أبو ثمامة الصائدى قال للحسين: أصلحک الله أبا عبد الله، قد جاءک شرّ أهل الأرض وأجرأه على دم وأفتكه، فقام إليه فقال: ضع سيفک، قال: لا ولا كرامة، إنّما أنا رسول، فإن سمعتم منّى أُبلغكم ما أُرسلتُ به

1- (1) هو ممّن كتب إلى الحسين عليه السلام ثمّ كان مع عمر بن سعد، وكان رئيساً على الخيل، مستدركات علم الرجال للنمازى: ج 5، 234. ولكن انظر ماذا يقول عنه ابن حبّان: (ثقة، يروى عنه أحمد فى مسنده)، ابن حبّان: ج 5، 279.

إليكم، وإن أبيتم انصرفتُ عنكم، فقال له: فإنّى آخذ بقائم سيفک ثمّ تكلّم، قال: لا والله، لا تمسّه، فقال له: أخبرنى ما جئتَ به وأنا أبلغه عنک، ولا أدعک تدنو منه فإنّک فاجر، فاستبّا ثمّ انصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر، فدعا قرّة بن قيس، فلمّا رآه الحسين مُقبِلاً قال: أتعرفون هذا؟

فقال حبيب بن مُظهِّر: هذا رجل من حنظلة تميم، وهو ابن أختنا، ولقد كنتُ أعرفه بحسن الرأى، وما كنتُ أراه يشهد هذا المشهد)(1).

وهنا لابدّ لنا من الإشارة إلى نقطة مهمّة قبل أن نسترسل فى الحديث الذى رواه الطبرى، وهذه النقطة متعلّقة بما ذكره الشهيد حبيب بن مُظهِّر عن قرّة، حيث وصفه بأنّه حسن الرأى، وكان يعتقد أنّه لا يقف مثل هذا الموقف، وهنا ينقدح فى الذهن سؤال مهم مفاده: هل يمكن يا ترى لإنسان (عاقل) معروف بين الناس بحسن السيرة والسلوک أن يقف أمام الحسين عليه السلام؟

باعتقادى أنّ هذه المسألة لا دخل لها بما يحمل الإنسان من فكر ومعرفة، وإنّما لها علاقة مباشرة بقدرة ذلک الإنسان على الصبر وتحمّل نوَب الزمان والشدائد التى تترتّب على المواقف، وإلاّ فهناک الكثير ممّن يحملون القرآن والسنّة حفظاً وتلاوةً وربّما تفسيراً وفهماً، ولكنّهم مع ذلک وقفوا يوم النهروان يقاتلون مَن شهد القرآن بصدقه وجهاده وإيمانه وسابقته.

وهكذا نجد أمثال هؤلاء يسيرون دائماً فى ركاب الظلمة والسلاطين، حتى عُرفوا ب - (وعّاظ السلاطين)، ويبدو أنّ قرة بن قيس وإن كان معروفاً فى داخل

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 6، ص 234.

الكوفـة بحسن الرأى والسـيرة، ولكن يبدو أنّ كلّ هذا ما دام الأمن والأمان على المال والنفس والأهل والولد موجودَينِ، أمّا مع عدمهما فإنّ الموقف هو ما يطلبه الظالمون، وهذا ما حصل، فحينما بعث عمر بن سـعد قرّة بن قيس إلى الحسـين عليه السـلام وهو العارف بكلّ منهما، لبّى هذه الدعوة من دون أن يتّخذ الموقف الذى يقتضيه حُسن الرأى الذى يحمله.

والـذى يـدلّ على ما ذكرناه هو تكملـة الحـديث الـذى ذكره الطبرى، حيث يتبيّن فيه أنّه وبعد الحديث مع حبيب وتحذيره إيّاه من بقائه فى رِكَابِ الظَّلَمَة ووعْد قُرّةَ له بأن يرجع إلى عمر بن سعد وإخباره الخبر ثمّ يرى رأيه بعد ذلك، ولكنّه لم يفكّر فى الأمر ولم يرجع، وربما يكون قد فكّر ولكنه فضّل دنياه على آخرته.

يقول الطبرى: «فجاء حتى سـلّم على الحسـين عليه السـلام وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه، فقال له الحسين: كتب إلىّ أهل مصركم هذا أن أَقْـدِمْ، فأمّـا إذا كرهتمونى فأنـا أنصـرف عنهم، ثمّ قـال له حبيب بن مُظهِّر: ويحک يا قرّة بن قيس، أنّى ترجع إلى القوم الظالمين، انصـر هـذا الرجل الذى بآبائه أيّدک الله بالكرامة وإيّانا معک، فقال له قرّة: أرجع إلى صاحبى بجواب رسالته وأرى رأيى»(1).

وهـذا درس لابـدّ للإنسان أن يتفهّمه فى حياة هـذا الشـهيد وموعظته لقرّة بن قيس، فكم عندنا مثل قرّة فى حياتنا، كلّ إنسان يدعوه التكليف الإسلامى إلى اتخاذ موقف ما، وهو يرى أنّ هذه القضية يمكن أن يقفها ولكن من دون أن تترتّب خسائر مادية أو معنوية، فإنّه يؤدّيها، أمّا مع هذه الخسارة فهو لا يعرف

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 6، ص 234.

التكليف ولا المسؤولية الإسلامية، بل يكون مَثَله مَثَل أولئک الذين تحدّث عنهم الحسين بقوله:

«الناسُ عبيدُ الدنيا، والدينُ لَعِقٌ على ألسنتِهِمْ يَحوطونَهُ ما دَرَّتْ معائشُهمْ، فإذا مُحّصوا بالبلاءِ قَلَّ الديَّانونَ»(1).

2 - الموقف الثانی: أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم

حبيب بن مُظهِّر وبنى أسد

ربّما يكون حبيب بن مُظهِّر الأسدى قد تميّز عن الآخرين من شهداء كربلاء بأنّه الشهيد الوحيد الذى لم يكتفِ بدعوة قومه للوقوف معه لنصرة الحسين حتى وصل إلى كربلاء، فقد ورد فى كتب التأريخ والمقاتل:

(وأقبل حبيب بن مظاهر إلى الحسين عليه السلام فقال: يابن رسول الله، ههنا حى من بنى أسد، أتأذن لى فى المصير إليهم فأدعوهم إلى نصرتک فعسى الله أن يدفع بهم عنک؟ قال: قد أذنت لک، فخرج حبيب إليهم فى جوف الليل متنكّراً حتى أتى إليهم فعرفوه أنّه من بنى أسد، فقالوا: ما حاجتک؟ فقال: إنى قد أتيتُكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم، أتيتُكم أدعوكم إلى نصر ابن بنت نبيّكم، فإنّه فى عصابة من المؤمنين، الرجل منهم خير من ألف رجل، لن يخذلوه ولن يسلموه أبداً، وهذا عمر بن سعد قد أحاط به وأنتم قومى وعشيرتى، وقد أتيتُكم بهذه النصيحة فأطيعونى اليوم فى نصرته تنالوا بها شرف الدنيا والآخرة، فإنّى أقسم بالله لا يُقتل

1- (1) بحار الأنوار: ج 44، ص 386-387.

أحد منكم فی سبیل الله مع ابن بنت رسول الله صابراً محتسباً، إلاّ کان رفیقاً لمحمد صلی الله علیه و آله و سلم فی علّیین، قال: فوثب إلیه رجل من بنی أسد یُقال له عبد الله بن بشر فقال: أنا أوّل مجیب إلی هذه الدعوة، ثمّ جعل یرتجز ویقول:

قَدْ عَلِمَ القَوْمُ إذ تَوَاکَلُوْا وَأَحْجَمَ الفُرْسَانُ إذْ تَنَاقَلُوْا

أنّیْ شُجَاعٌ بَطَلٌ مُقَاتِلُ کَأَنَّنِی لَیْثُ عرینٍ بَاسِلُ

ثمّ تبادر رجال الحی حتی الْتَأَمَ منهم تسعون رجلاً(1) ، فأقبلوا یریدون الحسین علیه السلام، وخرج رجل فی ذلک الوقت من الحی حتی صار إلی عمر بن سعد فخبّره بالحال، فدعا ابن سعد برجل من أصحابه یُقال له الأزرق، فضمّ إلیه أربعمائة فارس وجّهه نحو حی بنی أسد، فبینما أولئک القوم قد أقبلوا یریدون عسکر الحسین علیه السلام فی جوف اللیل إذ استقبلتهم خیل ابن سعد علی شاطئ الفرات وبینهم وبین عسکر الحسین الیسیر، فناوش القوم بعضهم بعضاً واقتتلوا قتالاً شدیداً وصاح حبیب بن مظاهر بالأزرق: ویلک، مالک ومالنا، انصرف عنّا ودعنا یشقی بنا غیرک، فأبی الأزرق أن یرجع، وعلمتْ بنو أسد أنّه لا طاقة لهم بالقوم فانهزموا راجعین إلی حیِّهم، ثمّ إنّهم ارتحلوا فی جوف اللیل خوفاً من ابن سعد أن یبیتهم، ورجع حبیب بن مظاهر إلی الحسین فأخبره بذلک فقال علیه السلام: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله)(2).

والملفت للنظر فی هذا النص المتقدّم أنّ الشهید حبیب بن مُظهِّر الأسدی

1- (1) انظر: قصّة کربلاء لعلی نظری، ص 225.

2- (2) أنصار الحسین للشیخ محمد مهدی شمس الدین: ص 67.

لم ينطلق فی دعوة قومه لنصـرة الحسـين عليه السـلام من منطلق أنّه سـيد قبيلته وزعيم كبير من زعمائها، ومن ثم يحرّک فيهم الروح القبلية والعشائريـة، ولكنّه أبی إلاّ أن يـدعوهم دعوة الإسـلام والإيمـان، دعوة قائمـة على أساس الـدين والعقيـدة وما يتطلّبه الإيمان بالله ورسوله والوقوف أمام الظالمين من آثار؛ ولهذا تراه ذكر مفردات كثيرة تؤكّد هذا المعنى فی كلمته مع قومه: (أدعوكم إلى نصـر بن بنت رسول الله... كان رفيقاً لمحمد صلى الله عليه و آله و سلم فی علّيين).

كما أنّ النص المتقـدّم يبين فی نفس الوقت - كما هو واضـح - مدى الاسـتجابة السـريعة لهذا الحی فی نصـرة الحسـين عليه السـلام، بل وعقيـدتهم فيه عليه السـلام، وربّما يتلمّس الإنسان مثل هـذا المعنى فی حديث عبد الله بن بشـر وأرجوزته التی بادرت الرجال بعدها حتى وصل العـدد إلى تسـعين فارساً من هـذا الحی الصـغير، وهذا الرقم بتقديری يكشف مقدار الاسـتجابة الكبيرة التی حصـلت فی هذا الحی لحركة الحسين عليه السلام.

وأغلب الظنّ أنّهم كانوا صادقين فی مشاعرهم تجاه نصـرة الحسـين عليه السـلام، ولكنّ وجود أحـد أفراد هذه القبيلة فی جوّ وهوى عمر بن سعـد وإخباره بما جری وحصل، جعلت المعادلـة تنقلب وتـذهب باتجاه آخر ربّما لم يكن مقصوداً منـذ البدء، والدليل على ذلک قتالهم الشديـد مع جيش ابن الأزرق الذی انتهى بانسـحابهم خوفاً على أنفسـهم من القتل بعد أن رأوا أن لا طاقة لهم بهم، وهذا المعنى ليس عيباً يمكن أن يسجل عليهم من قِبل البعض كما يحلو له، فبقاؤهم يقاتلون ربّما يعنی فناءهم عن آخرهم.

ص:91

نعم، ربّما تأتی هنا مسألة ارتحالهم لیلاً بکامل قبیلتهم إلی مکان آخر غیر المکان الذی کان یعیشون فیه، فیتمسک بها البعض فی الحدیث عنهم، ولکنّی اعتقد أنّ عملیة الارتحال کانت تنسجم مع الخوف من ابن سعد وابن زیاد ومسألة انتهاک حرمات هذه القبیلة، من خلال تعریض نسائها وشیوخها إلی السجن والتعذیب.

3 - الموقف الثالث: أما والله لبئس القوم عند الله غداً

یقول المُقرَّم فی مقتله: (نهض ابن سعد عشیّة الخمیس لتسعٍ خَلَوْنَ من المحرم، ونادی فی عسکره بالزحف نحو الحسین، وکان علیه السلام جالساً أمام بیته محتبیاً بسیفه وخفق برأسه، فرأی رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم یقول: إنّک صائر إلینا عن قریب، وسمعتْ زینب أصوات الرجال وقالت لأخیها: قد اقترب العدو منک، فقال لأخیه العبّاس: ارکب بنفسی أنت حتی تلقاهم واسألهم عمّا جاء بهم وما الذی یریدون، فرکب العباس فی عشرین فارساً فیهم زهیر وحبیب وسألهم عن ذلک، قالوا: جاء أمر الأمیر أن نعرض علیکم النزول علی حکمه أو ننازلکم الحرب، فانصرف العباس یخبر الحسین بذلک، ووقف أصحابه یعظون القوم، فقال حبیب بن مُظهِّر:

مَا واللهِ، لبئس القوم عند الله غداً قوم یُقدمون علیه وقد قتلوا ذرّیة نبیّه وعترته وأهل بیته وعُباد أهل هذا المصر المتهجّدین بالأسحار الذاکرین الله کثیراً، فقال عزرة بن قیس: إنّک تزکّی نفسک ما استطعت؟ فقال زهیر: یا عزرة، إنّ الله قد زکّاها وهداها، فاتّقِ الله یا عزرة فإنّی لک من الناصحین)(1).

1- (1) مقتل الحسین علیه السلام للمقرّم: ص 256.

وفی هذا النص نجد أنّ أصحاب الحسین علیه السلام لا یألون جهداً من أجل هدایة مَن یستطیعون هدایته؛ ولهذا نجد أنّ الشهید حبیب بن مُظهِّر یبادر هو من أجل بیان عظمة ما یمکن أن یُرتکب فی حقّ الدین، من خلال قتل هذه الثلّة المؤمنة التی عرفت عند أهل الکوفة جمیعاً بأنّهم المتهجدون بالأسحار والعُبّاد والذاکرون الله کثیراً.

وبدل أن یقبل عزرة مثل هذا الکلام ویتّخذ الموقف الذی یملیه علیه دینه وإنسانیّته، وإذا به یخرج حتی عن حدّ الاعتدال فی کلامه لیتّهم حبیب بأنّه ممّن یرید أن یشیر إلی نفسه وصلاحها وقربها من الله سبحانه وتعالی، ولا یرید بذلک إلاّ الریاء (معاذ الله)، مع أنّ عزرة هو أعرف به من غیره، فقد خَبِرَه هو وخَبِرَه غیره، فکان الإیمان المتجسّد فی الخارج عقیدة وسلوکاً منذ أن کان یافعاً وإلی أن صار شیخاً هرماً کبیراً، ولکنّ الله عزّ وجلّ أراد لهذا الرجل - بسبب تمسّکه بالباطل مع علمه به وعدم نصرته للحق مع معرفته له - أن یختم علی قلبه ویجعل علیه غشاوة، ومن ثم یکون مصداقاً للآیة الکریمة:

«خَتَمَ اللّهُ عَلی قُلُوبِهِمْ وَ عَلی سَمْعِهِمْ وَ عَلی أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ 1» .

4 - الموقف الرابع: والله إنّی أراک تعبد الله علی سبعین حرفاً

روی أبو مخنف فی مقتله أنّ الحسین علیه السلام خطب فی کربلاء خطبةً، وفی أثناء کلامه وحدیثه الذی کان یوجّهه إلی أهل الکوفة ومَن وقف أمامه قائلاً لهم

أن يسألوا جابراً الأنصارى وأبا سعيد الخدرى وغيرهما أنّهم سمعوا رسول الله يقول له ولأخيه:

«هذان سيّدا شباب أهل الجنّة»(1).

اعترضه شـمرٌ فقال له: (هو يعبد الله على حرف إن كان يدرى ما تقول، فقال له حبيب: والله، إنّى أراک تعبد الله على سـبعين حرفاً، وأشهد أنّک صادق ما تدرى ما يقول، قد طبع الله على قلبک)(2).

ماذا يريد أن يقول شمر بقوله: (هو يعبدُ الله على حرف إن كان يدرى ما تقول).

هل يريد أن يُكذِّب الحسينَ عليه السلام بقوله وهو يعلم أنّه الصادق ابن الصادقين؟

أم هل يريد أن يُكذِّب الحسينَ عليه السلام فى نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

أم إنّه يريـد أن يبطـل دعوة الحسـين عليه السـلام إلى سؤال مَن إذا سألوه أخبرهم بمقالـة رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم له ولأخيه الحسن عليه السلام: هذان سيدا شباب أهل الجنّة؟

أم يريد أن يقطع حديث الحسين عليه السلام من الاسترسال خوفاً من الفضيحة أكثر أمام الناس؟

أم إنّه البغض والحقد والكراهة لعلى عليه السلام وآل على عليه السلام؟

1- (1) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج 2، ص 438، رقم الحديث 797.

2- (2) إبصار العين: ص 68، نقلاً عن أبى مخنف.

وأراها قد اجتمعت فی شـخص هذا الصلف النطف، هذا الذی له السوابق والمآثر فی کلّ خسّةٍ ورذیلة، فهو الذی جلس علی صدر الحسین علیه السـلام لحزّ رأسه، وهو الـذی هجم علی خیام بنات رسول الله لترویعهنّ، وهو الـذی جاء بکتاب الأمان لأبی الفضل العباس فأبی إلاّ الـدفاع عن الحسـین علیه السـلام، ولکن ماذا یقول الإنسان فیمَن لا یعرف التاریخ أجراً منه علی حزب الحق ولا أقسـی ولا أشدّ غلظةً منه، وکأنّ الله نزع الرحمة من قلبه کاملاً، إضافة إلی دناءة المولد(1) ، وسوء الحضن أباً وأمّاً.

ولمّا رأی الشـهید حبیب بن مُظهِّر الأسدی کلّ هذه الصـلافة مع الحسـین علیه السـلام فی اعتراض الشمر علیه، ناداه برفیع صوته غیر آبه به وبمَن معه من الجُنْد: (والله، إنّی أراک تعبد الله علی سـبعین حرفاً)، یعنی إذا کنتَ باعتراضک هذا ترید أن تدافع عن موقف الکفر والضلال الذی تَقِفه أمام الحسـین علیه السـلام، فإنّ مثل هذا الأمر یمکن أن تُموّهه علی مَن أعمی الله بصـره من الرؤیة وسـمعه من الفهم وقلبه من التفقّه، أمّا مَن کان علی بیّنة من ربّه فلا یمکن أن یُخدع، بل إنّی أشهد علی أعظم من العبادة علی حرف واحد،

حیث أوصـلتْک مطامعک الشخصیة وهواک الذی أضلّک إلی العبادة علی سبعین حرفاً، ومثل هذا الأمر أنت لا تعیه ولا تعرفه؛ لأنّ الله قد طبع علی قلبک، ومَن یطبع الله علی قلبه فهو محجوب عن رحمة الله ورضوانه:

1- (1) راجع مستدرکات علم الرجال: ج 4، ص 220: (وهناک قصّة ذکرها فی أمّ الشمر وزناها، وأنّ شمراً تولّد بعد ذلک من الزنا).

«بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ» ...«إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ 1» .

ومن ثم أنا أشهد أنّک صادق فی دعواک، وأنّک لا تفهم ما يقول لا بمعنى أنّ مقالة الحسين عليه السلام لا تُفهم، أو لا يمكن فهمها، بل لأنّ قلبک قد أُغلق عن كلّ هداية.

معنى العبادة على حرف

يقول ابن منظور: (الحرف فی الأصل: الطرف والجانب، وبه سُمّی الحرف من حروف الهجاء... وحرف الشیء ناحيته، وفلان على حرف من أمره أی ناحيةٍ منه، كأنّه ينتظر ويتوقّع، فإن رأى من ناحيةٍ ما يُحب وإلاّ مال إلى غيرها)(1).

ويقول السيد الطباطبائی فی تفسير هذه الآية الكريمة:

«وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ عَلى حَرْفٍ 3» .

(وهذا صنف آخر من الناس غير المؤمنين الصالحين، وهو الذی يعبد الله سبحانه بانياً عبادته على جانب واحد دون كل جانب، وعلى تقدير دون كلّ تقدير، وهو جانب الخير، ولازمة استخدام الدين للدنيا، فإن أصابه خيرٌ استقرّ بسبب ذلک الخير على عبادة الله واطمأنّ إليها، وإن أصابتْه فتنة ومحنة انقلب ورجع على وجهه من غير أن يلتفت يميناً وشمالاً، وارتدّ عن دينه تشؤّماً أو رجاء

1- (2) لسان العرب: ج 2، ص 838، مادّة (حرف).

أن ينجو بذلک من المحنة والمهلکة)(1).

وهذا هو الدرس الذی ینبغی علینا أن نَعِیَه ونحن نقرأ هذا الموقف للشهید حبیب بن مُظهِّر (رض) مع شمر بن ذی الجوشن، حیث یرید منّا الشهید أن نعیش العبادة مع الله ولکن لا علی حرف، ومن ثم نکون مطیّة للشیطان والسلطان یفعل بنا ما یشاء، بل لابدّ أن تکون هذه العبادة متمکّنة منّا تمکّناً کبیراً من خلال وعینا بها وفهمنا الصحیح لها، وإذا ما تمکّنت العبادة من قلب إنسان فلا یمکن أن تهزّه الفتن مهما علتْ وعظمت.

ومن هنا نجد أنّ مضمون العبادة عند الشمر یختلف عن مضمون العبادة عند الحسین علیه السلام وأصحابه، فذاک جعل الدین والعبادة لَعِقاً علی لسانه، یحوطه ویحفظه ما دام عائداً له بالعوائد المادیة المعنویة، أمّا إذا انعدمت هذه العوائد فلا إله یُعبد ولا نبی یُطاع ولا دین یُتّبع، بینما أصحاب الحسین عرفوا من الحسین علیه السلام أنّ العبادة لله یجب أن تکون فی کلّ حالاتها وأوضاعها، ففی السراء والرخاء عبادة، وفی الضراء والبأساء عبادة، وحین البأس عبادة، وفی الغنی عبادة، وفی الفقر عبادة، وفی السلامة عبادة، وفی السقم عبادة وهکذا، وهذه هی العبادة التی ینبغی علی کلّ مؤمن أن یعیشها لله عزّوجل.

وأخیراً علینا أن نتأمّل فی کلام الحسین علیه السلام الذی قاله عند وصوله إلی کربلاء فی شهر محرم عام 61 ه -، والذی أرسله إلی کلّ مَن یهمّه الأمر، لاسیما أتباع الحسین علیه السلام ومحبّیه والمتعلّقین به.

1- (1) تفسیر المیزان: ج 14، ص 351.

«الناس عبيد الدنيا والدين لَعِقٌ على ألسنتهم، يحوطونه ما دَرّتْ معائشُهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديانون»(1).

5 - الموقف الخامس: زعمت أنها لا تقبل من آل الرسول

ذكر المؤرّخون أنّ الحسين عليه السلام صلّى بأصحابه صلاة الخوف يوم العاشر من المحرّم، وبينما هم يريدون الصلاة وإذا برجل من جيش عمر بن سعد - واسمه الحصين بن تميم - يقول: (إنّها لا تقبل)، فقال له حبيب بن مُظهِّر: (زعمت أنّ الصلاة من آل الرسول لا تقبل وتقبل منک يا حمار، ثمّ حمل عليهم حصين بن تميم فخرج إليه حبيب بن مظاهر فضرب وجه فرسه بالسيف، فشبّ ووقع عنه وحمله أصحابه)(2).

وأنا أقرأ هذا النص المتقدّم لأسلط الأضواء عليه - لاسيما فيما يتعلق بموقف الشهيد حبيب (رض) - قادنى فكرى راغماً إلى حيث النصوص الكثيرة فى حقّ عبادة الحسين عليه السلام وصلاته، لاسيّما قول الإمام الصادق عليه السلام فى زيارة وارث:

«أشهد أنک قد أقمت الصلاة»(3).

فقلتُ فى نفسى: يا سبحان الله! هل يمكن أن يكون هناک مسلم عاقل يحترم دينه وعقله يقول بمقالة هذا الإنسان؟!

1- (1) بحار الأنوار: ج 44، ص 382.

2- (2) تاريخ الطبرى: ج 3، ص 326.

3- (3) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمّى: زيارة وارث.

وهل يمكن أن يقول أحـد: أنا مسـلم، لی ما للمسـلمين، وعلیّ ما عليهم، وهو يقف أمام نصوص قرآنيـة واضـحة وصـريحة فی مـدح سـيد الشهداء كآية التطهير وآية المودّة وآية المباهلة وآية الإطعام وما شاكل ذلک من الآيات التی اتفق الفريقان على نزولها به عليه السلام؟!

هل يمكن أن تصل الجرأة بأحـدٍ من الناس حتى يخاطب ابن بنت رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم بهذا الشـكل من الخطاب، وهو الذی قال له رسول الله:

«إمام قام أو قعد»؟![(1)](#).

من هنا نجد أنّ ردّة فعل الشـهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدی كانت شديدةً تجاه ذلک الإنسان، حتى خاطبه يقول: (زعمتَ أنّها لا تُقبل من آل الرسول وتقبل منک يا حمار).

وكأنّه يريـد أن يقول له: لقـد أعمى الله بصـرک وأصمَّ سـمعک وأقفل فؤادک عن كلّ هدى وصـلاح، حتى ما عدتَ لتميّز بين الأشـياء مهما كانت واضـحة وجليّة أمامک، حتى أوصـلک هذا الضلال والسقوط فی وادی المعاصی والذنوب إلى أن تقبل يزيد بن معاوية خليفة وإماماً، معتقداً بصلاته وتقتدی بها، بل وتتّبعه حتى يوصلک فی نهاية هذا الطريق إلى جهنّم وساءت مصيراً.

1- (1) هو مضـمون حـديث للنبی يقول فيه: (الحسن والحسـين إمامان إن قاما وإن قعـدا)، رواه الصـفوری فی نزهة المجالس: ج 2، ص 184. والصدّيق القنوجی فی شرح صحيح مسلم فی باب المناقب وآخرون.

وفی الوقت نفسه تنکّرتَ بأشد الوسائل قمعیةً ووحشیة إمامةَ الحسین علیه السلام وخلافته علیک! وهو الذی قال عنه رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم:

«حسین منّی وأنا من حسین»(1) ، و «أحبّ الله مَن أحبّ حسیناً»(2) ، و «حسین سبطٌ من الأسباط»(3).

ومن ثم تنکر حتی صلاة الحسین علیه السلام وعبادته، فتقولها وبضرس قاطع غیر آبه بها ولا خائف منها: (إنّ صلاة الحسین علیه السلام لا تقبل)! یا لها من جرأة عظیمة تکاد السموات یتفطرنَ منها وتتدکدک علی الأرض وتخرّ الجبال هدّاً!

فیا تری، إذا لم تُقبل صلاة الحسین علیه السلام، فأیّ صلاة سوف تُقبل وتُرفع بعده علیه السلام؟

شتّان بین موقفک وموقف الحر بن یزید الریاحی، ذاک الذی بُعث للجعجعة بالحسین وبمَن معه، وإذا به من حیث یشعر أو لا یشعر ینجذب إلی صلاة الحسین علیه السلام فیقف خلفه یصلّی جماعة ومعه جنده، وما ذاک إلاّ لأنّه عرف قدر صلاة الحسین علیه السلام وقیمتها، وعرف أنّ عروج صلاة الحسین علیه السلام إلی الله سبحانه وتعالی سوف یترک أثراً إیجابیاً فی عروج صلاة مَن یصلّی خلفه.

بل إنّک - والحدیث ما زال فی لسان حال الشهید الکربلائی - لم تصل حتی إلی تلک الدرجة التی وصل إلیها کبار المجرمین فی کربلاء، أمثال خولی

1- (1) مسند أحمد: ج 4، ص 172، ح 14.
2- (2) السلسلة الصحیحة: رقم 1227.
3- (3) صحیح الترمذی: رقم 2970.

ابن یزید الأصبحی، هذا الذی اشترک فی قتل الحسین علیه السلام وحمل رأسه، ولکنّه فی نفس الوقت کان یعرف قدر الحسین ومنزلته، بل ومنزلة أمّه وأبیه، حیث یقول:

امْلأْ رِکابِی فِضّةً أو ذَهَباً إنّی قَتَلْتُ السیّدَ المُحَجِّبا

قَتَلْتُ خیرَ النَّاسِ أُمّاً وَأَباً(1)

وبتقدیری لقد کشف الحسین علیه السلام بصلاته وصلاة أصحابه زیفَ مَن یدّعی الإسلام کذباً وزوراً ممّن وقف أمامه، حیث فضح هویتهم اللادینیة وبیّن إلحادهم وکفرهم، لاسیّما بعد أن صاروا یرمونهم بالسهام والنبال وهم واقفون للصلاة بین یدی الله سبحانه وتعالی، حتی سقط جماعة من أصحاب الحسین علیه السلام بین شهید وجریح.

فبانت بذلک طبیعة المعسکرین اللذَین وقفا یوم العاشر من المحرم، فمعسکر الحسین یقاتل من أجل الدین، والمعسکر الآخر یقاتل الدین متمثلاً بتلک الصفوة من الأمّة ویحارب شعیرة الإسلام الأولی.

من هنا نفهم سبب موقف الشهید الصارم والحازم مع هذا الضال المنحرف، حیث لم یکتف بالرد القولی، بل رأی أنّ أمثال هؤلاء یجب أن یُقتلوا حتی لا تلوّث الحیاة بلوثهم؛ لهذا (خرج إلیه حبیب بن مُظهِّر وضرب وجه فرس الحصین بالسیف، فشبّ به الفرس ووقع عنه، فحمله أصحابه واستُنقذ)(2).

1- (1) معالم المدرستین: ج 3، ص 317.

2- (2) معالی السبطین: ج 1، ص 372.

إشكال وردّه:

وقد يستشكل بعضهم وهو يقرأ قول حبيب لهذا الرجل: (حمار)، فيقول: هل يناسب مثلاً مقام حبيب أن يتلفّظ بهذا الكلام؟ لاسيما وقد وردت فى بعض الروايات بدل كلمة (حمار) (خمار)(1) ، فيكون الأمر أكثر استغراباً واستنكاراً وعدم ملاءمة مع شخصيته (رض)؟ أفلا يكون ذلک داخلاً فى باب السباب وقد ورد أنّ «سباب المؤمن فسوق»(2) ؟

أمّا بالنسبة إلى الاعتراض القائل بأنّ هذه الكلمة لا تتناسب مع مقام حبيب، فنقول: إنّ القرآن الكريم قد تلفّظ بها وبغيرها قبل ذلک فى مواضع متعدّدة، منها على نحو المثال لا الحصر حديثُهُ عن أهل الكتاب، وهم الجماعة الذين أُعطُوا العلم والمعرفة ولكنّهم لم يعملوا بها ولم يستفيدوا منها، يقول القرآن الكريم:

«مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللّهِ وَ اللّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمِينَ 3» .

وكذلک فى معرض حديثه عن ذلک الذى آتاه الله الكتاب والحكمة ولكنّه

1- (1) كما وردت هذه اللفظة فى جملة من الكتب، منها: أعيان الشيعة: ج 1، ص 606. لواعج الأشجان: ص 156.

2- (2) سنن الترمذى: حديث 2634، باب ما جاء سباب المؤمن فسوق.

لم يهتدِ بهما، حيث يقول:

«فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ 1» .

وأُطلق لفظ الأنعام على كلّ مَن لم يستفد من الأجهزة العظيمة التى زوّده الله بها، وهى السمع والبصر والفؤاد، يقول القرآن:

«وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِکَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِکَ هُمُ الْغافِلُونَ 2» .

ويبدو أنّ مثل هذا الأمر كان جارياً فى لغة العرب ومستعملاً عندهم بشكل واسع، حيث كانوا يشبِّهون بعضهم ببعض الحيوانات لوجود صفات مشتركة من جانب، ومن جانب آخر لِمَا للبيئة التى يعيشونها من أثر كبير عليهم، لاسيّما فيما يرتبط بالحيوان ودوره الكبير فى حياتهم، وللمثال أذكر هنا شاهدين على ما ذكرناه:

1 - قال طرفة العبد:

كُلُّ خَلِيْلٍ كُنْتُ خَالَلْتُهُ لاَ تَرَکَ اللهُ لَهُ وَاضِحَة

كُلُّهُمْ أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبٍ مَا أَشْبَه اللَّيْلَة بِالبارِحَة(1)

1- (3) مجمع الأمثال للميدانى: ج 2، ص 275، رقم 3831، وقد تمثّل به الإمام الحسن المجتبى فى بعض كلامه للناس.

2 – وقال مروان بن محمد:

يَمْشِي رُوَيْدَاً يُرِيْدُ خَتْلَكُمْ كَمَشْيِ خِنْزِيْرَةٍ إِلَى عَذْرَه(1)

هـذا كلّه على روايـة (حمار)، وأمّا على روايـة (خمّار) كما وردت فى بعض المصادر، فنقول: إنّ هـذا محمول على أنّ الطرف المقابل كان فاسقاً فاجراً معلناً بالفسق والفجور، ومن ثم جاز نعتُه بمثل هذه الصفة التى كانت فيه، وكيف لا يكون شارباً للخمر ومعلناً به وهو يرى إمامه يزيد شارب الخمر ومُعلِن الفسق والفجور كما قال الحسـين عليه السـلام، ومَن كانت هذه صـفته فلابدّ من فضـحه وتسـليط الأضواء عليه، خصوصاً وأنّ الشهيد الكربلائى كان أعرف به حيث كان يعيش معه بالكوفة.

يقول الشـيخ المفيـد فى كتاب المقنعة: (وقول القائل للمعلّم: أنت خسـيس أو وضـيع أو رفيع أو نذل أو ساقط أو نجس أو رجس أو كلب أو خنزير أو مسخ وما أشـبه ذلک، يوجب التعزير والتأديب وليس فيه حدّ محدود، فإن كان المقول له ذلک مسـتحقاً للاسـتخفاف لضلاله عن الحق لم يجب على القائل له تأديبٌ، وكان باسـتخفافه به مأجوراً، ومَن قال لغيره: يا فاسق، وهو على ظاهر الإسلام فقد صدق عليه وأُجر فى الاستخفاف به)(2).

1- (1) الحيوان للجاحظ: ج 4، ص 63.

2- (2) المقنعة للشيخ المفيد: ص 796.

6 - الموقف السادس: عزّ علىّ مصرعک یا مسلم، أبشر بالجنة

یقول الطبری وهو یتحدّث عن شهادة مسلم بن عوسجة (رض): (إنّ الحسین علیه السلام مشی لمصرع مسلم بن عوسجة ومعه حبیب بن مظاهر الأسدی، فدنا منه حبیب فقال: عزّ علیّ مصرعک یا مسلم، أبشر بالجنّة، فقال مسلم قولاً ضعیفاً: بشّرک الله بخیر، فقال له حبیب: لولا أنّی أعلم أنّی فی أثرک لاحق بک من ساعتی هذه لأحببت أن توصینی بجمیع ما أهمّک، حتی أحفظک فی کلّ ذلک بما أنت أهل له فی القرابة والدین، قال: بل أوصیک بهذا الغریب رحمک الله، وأهوی بیده إلی الحسین علیه السلام أن تموت دونه، قال: أفعل وربِّ الکعبة، فما أسرع من أن مات فی أیدیهم)(1).

یَحار المرء، کیف له أن یعبّر عن مثل هذا الموقف المشرّف العظیم؟!

وکیف یمکن أن تعبّر الألفاظ وتستوعب مهما بلغت فی سباکتها ودقّة حروفها وأدب کاتبها مثل هذه المعانی الکبیرة؟

ولکنّه الحبّ فی الله الذی تجسّد فی شخص الحسین علیه السلام یوم العاشر من المحرّم حتی وصل إلی درجة العشق والوَلَه، ومثل هذا الحبّ إذا حلّ فی قلب إنسان فإنّه یصنع المعجزات، ویصل إلی درجة یکون فیه منطق المحب مختلفاً عن منطق الآخرین، فضلاً عن الأفعال التی قد تکون فی نظر غیرهم أشبه بالأساطیر منها إلی الحقیقة.

1- (1) تاریخ الطبری: ج 6، ص 249.

مسلم بن عوسجة وحبيب بن مُظهِّر

اشارة

لقد عاش كل من الشهيدين حبيب بن مُظهِّر الأسدى ومسلم بن عوسجة (رض) الحبّ فى الله فى أعلى صوره وأشكاله، فقد التقيا عليه منذ نعومة أظفارهما وهما ما زالا شابين فى زمن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، وعاشاه فى كلّ مرحلة من مراحل حياتهما، مُجسَّداً فى كلّ صغيرة وكبيرة بينهما، فقد جاهدا الكفار والمنافقين معاً، وحملا مشعل الإسلام إلى الناس معاً، كما وقفا أمام الظالمين واستهتار المتجبّرين لاسيّما الطلقاء وأبناء الطلقاء الذين تسلّطوا على رقاب هذه الأمّة فنهضا لردعهم والوقوف أمامهم إلى جانب الإمام أمير المؤمنين ثمّ الحسن ثم كانت الوقفة الكربلائية التى قلّ نظيرها مع الحسين عليه السلام.

والملفت فى وقفة الحسين أنّهما وقفا معه حيَّين وأوصيا به ميِّتَين، وهذه لعمرك تمثّل أعلى درجات الحبّ والولاء، بل وأرقى درجات الأخوّة، حيث يدّخر مسلم بن عوسجة (رض) هذه الوصية لأخيه الذى عاش معه طويلاً حبيب ابن مُظهِّر الأسدى (رض) دون سواه، وهذا درس كبير علينا أن نَعِيَه ونفهمه ونستلّه من حياة هذا الشهيد الكربلائى.

درس كبير الأخوّة والمحبّة فى الله

ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قوله:

«سبعةٌ يظلّهم الله تحت ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه... ورجلان تحابّا فى الله وتفرّقا عليه...»(1).

1- (1) تحفة الأحوذى للمباركفورى: ص 57، باب ما جاء فى الحب فى الله.

وإنّما يظلّهم الله عزّ وجلّ فى ذلک اليوم الذى يحتاج المرء فيه إلى الظلال؛ لشدّة الحر ولعظمة الخوف، حيث يقول القرآن الكريم:

«وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً1» .

لقربهم من الله أوّلاً، وجليل ما قدّموه من أعمال ثانياً.

وواحدة من هذه الجماعات السبعة المظلّلة وهى: «رجلان تحابّا فى الله وتفرّقا عليه»، حيث لم تكن الصداقة والأخوّة بينهما قائمة على أساس المصالح المادّية التى سرعان ما تذهب ويحلّ محلّها البوار والحقد الدفين، وتنشأ على أساسها ألوان من المشاكل الاجتماعية وغيرها، بل كانت الأخوة والصداقة بين هذين الأخوين - اللّذين تحابّا فى الله عزّ وجل - أخوّة من نوع آخر، أخوّة تمثّل فى واقعها أعلى درجات النعم التى يقدّمها الله على عباده، وما ذاک إلاّ لأنّها قرينة الإيمان والحب فى الله.

وقد تحدّث القرآن الكريم عن هذه الأخوّة إذ يقول:

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ 2» .

وكان الله عزّ وجلّ يريد أن يقول إنّ القيمة الكبرى عندى هى الأخوّة الإيمانية المنطلقة على أساس الدين والعقيدة، وإذا كان الأمر كذلک فلا أخوّة بلا إيمان ولا إيمان بلا أخوّة.

ولأهمية هذه الأخوّة القائمة على أساس الإيمان حاول الإسلام تجسيدها

عملياً بين المسلمين بعد الهجرة النبوية المباركة المدنية مباشرة، حيث آخى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بين المهاجرين والأنصار.

يقول ابن هشام فى سيرته: (قال ابن إسحاق: وآخى رسول الله بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يُقَل: «تآخوا فى الله أخوين أخوين»، ثمّ أخذ بيد على بن أبى طالب فقال: هذا أخى، فكان رسول الله سيّد المرسلين... وعلى بن أبى طالب أخوين)(1).

وهنا لابدّ من الإشارة أنّ هذه الأخوّة هى التى أرادها الإسلام أن تتحرك فى حياة كلّ من هذين الأخوين اللّذين تآخا فى الله وتُحفظ حقوقها فيما بينهما فى كلّ صغيرة وكبيرة متعرّضان إليها، فإنّ حقوق الأخوّة لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا يمكن أن تُحفظ وتُؤدّى إلاّ من خلال أخوّة على بن أبى طالب، وهذه واحدة من جملة فضائل على بن أبى طالب عليه السلام والتى ملأت الخافقين.

شهادة حبيب بن مُظهِّر الأسدى

اشارة

ينقل الشيخ الطوسى: (ولقد مزح حبيب بن مظاهر الأسدى فقال له يزيد بن خضير الهمدانى وكان يُقال له سيّد القراء: يا أخى، ليس هذه بساعة ضحك، قال: فأىّ موضع أحق من هذا السرور؟ والله، ما هو إلاّ أن تميل علينا هذه الطغام بسيوفهم فنعانق الحور العين)(2).

لا أخالك وأنت تقرأ معى كما قرأت هذا النص الشريف عن كربلاء البطولة

1- (1) سيرة ابن هشام: ج 2، ص 123.

2- (2) اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسى: ج 1، ص 293.

والتضحية والفداء إلاّ أن تترک لفکرک کما ترکتُ لفکری العنان فی أن یجمع لک صوراً من الیقین والاطمئنان بوعد الله عزّ وجلّ بالشکل الذی لا یستطیع حتی القلم أن یترجمه بکلمات وألفاظ مهما کانت متمیّزة فی أدبها وبلاغتها.

فإنّ الخوف من الموت والقلق من حلول الأجل أمر محسوس ومشاهد عند الناس؛ لأنّ الناس یمیلون إلی الحیاة والبقاء ویفرّون من الموت والفناء، ولکن مثل هذه المعادلة قد تغیّرت فی کربلاء، حیث تحوّل الخوف إلی فرح وسرور والقلق إلی بهجة واستبشار بوعد الله عزّ وجلّ، وما أعدّه لأولیائه وأهل طاعته حینما یقول:

«إِنَّ الَّذِینَ قالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَیْهِمُ الْمَلائِکَةُ أَلاّ تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ 1» .

ولقد کان الشهید حبیب بن مُظهِّر الأسدی یتمنّی أن یأتی هذا الیوم الذی ینال فیه مِثْل هذا الوسام الحسینی، من خلال الشهادة بین یدی الحسین علیه السلام؛ لیحظی بعزّ الدنیا وکرامة الآخرة.

شهادة حبیب بعد صلاة الظهر

وشاءت إرادة الله عزّ وجلّ أن یُستقبل هذا الشهید مضرّجاً بدمائه بعد صلاة الظهر یوم العاشر من المحرم، یقول المازندرانی فی معالم السبطین: (حین استأذن الحسین أهلَ الکوفة لصلاة الظهر وطلب منهم المهلة لأداء الصلاة، قال له الحصین بن نمیر(1): صلّ، لا تقبل منک، فقال له حبیب: إنّها لا تُقبل زعمت الصلاة من آل

1- (2) قد مرّ علیک سابقاً أنّه الحصین بن تمیم، فتأمّل.

الرسول! وتُقبل منک یا حمار. فحمل الحصین علیهم فخرج إلیه حبیب وضرب حبیب وجهَ فرس الحصین بالسیف فشبّ به الفرس، ووقع عنه فحمله أصحابه)(1).

هنا لم یستطع الشهید حبیب بن مُظهِّر الأسدی صبراً، حیث طفح به الکیل وهو یری أمامه هؤلاء الطغاة وما یصنعونه بعترة المصطفی صلی الله علیه و آله و سلم وبثقله الذی خلّفه فیما بینهم، یقول أبو مخنف: (سلّم حبیب علی الحسین علیه السلام وودّعه وقال: والله یا مولای، إنّی لأرجو أن أتمّم صلاتی فی الجنّة وأقرأ أباک وجدّک وأخاک عنک السلام)(2).

وبعد أن ودّع الحسین نزل إلی ساحة المعرکة وجعل یحمل علیهم یمیناً وشمالاً وهو یقول:

أُقْسِمُ لَوْ کُنَّا لَکُمْ أَعْدَادَا أَوْ شَطْرَکُمْ وَلَّیْتُمُ الأَکْتَادَا

یَا شَرَّ قَوْمٍ حَسَباً وَأَدَّا

ثمّ جعل یحمل علیهم ویقول فی رجزه:

أَنَا حَبِیْبٌ وَأَبِی مُظهَّرِ ذ فَارِسُ هَیْجَاءٍ وَحَرْبٍ تَسْعَرُ

أَنْتُمْ أَعَدُّ عُدَّةً وَأَکْثَرُ وَنَحْنُ أَوْفَی مِنْکُمُ وَأَصْبَرُ

وَأَنْتُمْ عِنْدَ الوَفَاءِ أَغْدَرُ وَنَحْنُ أَعْلَی حُجَّةً وَأَظْهَرُ

حَقّاً وَأَتْقَی مِنْکُمُ وَأَعْذَرُ(3)

1- (1) معالم السبطین: ج 1، ص 372.

2- (2) معالم السبطین: ج 1، ص 373.

3- (3) معالم السبطین: ج 1، ص 373.

ولقد قُلتُها سابقاً وأقولها هنا وأكرّرها كلّما سنحت الفرصة: إنّ أشعار وأراجيز شهداء كربلاء تحتاج – بحق – إلى كتاب مستقل يؤلّف حولها؛ وذلک لعظمة المفاهيم التى حوتْها، فها هو الشـهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى يشـير إلى ما أشار إليه القرآن الكريم إلى قلّة أعداد المسلمين أمام كثرة أعدائها فى أيام المواجهة:

«إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ * اَلآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَ اللّهُ مَعَ الصّابِرِينَ 1» .

وكأنّه يريـد أن يقول: إنّ شـعار المؤمنين فى حروبهم وشأنهم دائماً فى صـراعاتهم مع أعدائهم، أنّهم ما كانوا ينتصـرون بعدّتهم ولا بعتادهم فحسب، فهى مقدمات، وإنّما كان النصـر يتنزّل عليهم مع قلّتهم وكثرة أعدائهم؛ لأجل إيمانهم بالله أوّلاً، ولصبرهم أمام عدوهم ثانياً، وهذا هو عين ما أراد الشهيد حبيب أن يقوله: (أنتم أعدّ عدّة وأكثر، ونحن أوفى منكم وأصبرُ).

فضـلاً عن الأبيات الأخرى التى أراد أن يشير من خلالها إلى غدرهم بالحسين عليه السلام بعد مبايعتهم له، وذلک حينما جاء وقت الإيفاء بها (وأنتم عند الوفاء أغدرُ، ونحن أعلى حجّة وأظهرُ).

ولا ـ شكّ أنّهم أعلى مجداً وأعظم برهاناً وأبين طريقاً وسبيلاً حينما ثبتوا على بيعتهم ووفوا لإمامهم وحفظوا عترة نبيّهم وأطاعوا الله فى وُلاة أمرهم، حقاً إنّهم سيكونون بذلک أتقى عند الله وأعذر (حقاً وأتقى منكم وأعذر).

يقول المازندرانى: (ثمّ برز يقاتل اثنين وستّين فارساً، فحمل عليه رجل من بنى تميم - يُقال له بديل بن حريم من بنى عقفان - فضربه بالسيف على رأسه، وحمل عليه آخر من بنى تميم وطعنه برمحه فوقع، وذهب ليقوم فضربه الحصين ابن نمير على رأسه بالسيف فسقط، فنزل إليه التميمى فاحتزّ رأسه، فقال له: أنا شريکک فى قتله، فقال التميمى: والله، ما قتله غيرى، فقال الحصين: اعطنيه أعلّقه فى عنق فرسى كيما يرى الناس ويعلموا أنّى شريکک فى قتْله، ثمّ خذه أنت فامضِ به إلى عبيد الله بن زياد، فلا حاجة لى فيما تُعطاه على قتلک إيّاه، فأبى عليه، فأصلح قومهما فيما بينهما على ذلک فدفع إليه رأس حبيب فعلّقه بعنق فرسه، فجال به فى العسكر، ثمّ دفعه بعد ذلک إليه فأخذه التميمى فعلّقه فى لبان فرسه، ثمّ أقبل به إلى ابن زياد وجال به فى الكوفة)(1).

قصة الرأس الشريف

إذا كان للبطولة عنوان وللشجاعة شأن ولسان لقالت إنّ ما صنعه أهل الكوفة مع رأس الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى - على كبره وشيبته وجلالة قدره من قطع الرأس الشريف والتنازع فى قتله كما تقدّم - ليشير وبشكل واضح إلى مدى الشجاعة العالية والبطولة العظيمة والبسالة الملفتة للنظر التى تمتّع بها هذا

1- (1) معالم السبطين: ج 1، ص 373.

الشهيد (رض)، ولله در الشاعر حيث يقول فيه:

آسَادُ مَلْحَمَةٍ وَسَمُّ أَسَاوِدٍ وَشُوَاظُ بَرْقِ صَوَارِمٍ وَلَهِيْبُ

الرَّاكِبِيْنَ الهَوْلَ لَمْ يَنْكُبْ بِهِمْ وَهْنٌ وَلاَ سَأَمٌ وَلاَ تَنْكِيْبُ

أَبْكِيْكُمُ وَلَكُمْ بِقَلْبِى قُرْحَةٌ أَبَدَاً وَجُرْحٌ فِى الفُؤَادِ رَغِيْبُ (1)

تقول الرواية:

(فلمّا رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخر(2) رأس حبيب فعلّقه فى لبان فرسه، ثمّ أقبل به إلى ابن زياد فى القصر، فبصر به ابنه القاسم بن حبيب وهو يومئذٍ قد راهق، فأقبل مع الفارس لا يفارقه، كلّما دخل القصر دخل معه وإذا خرج خرج معه فارتاب به، فقال مالک: يا بنى، تتبعنى، قال: لا شىء، قال: بلى يا بنى، أخبرنى؟ قال له: إنّ هذا الرأس الذى معک رأس أبى، أفتعطينيه حتى أدفنه؟ قال: يا بنى، لا يرضى الأمير أن يُدفن، وأنا أريد أن يثيبنى الأمير على قَتْله ثواباً حسناً، قال له الغلام: لكنّ الله لا يثيبک على ذلک إلاّ أسوأ الثواب، أَمَا والله، لقد قتلتَه خيراً منک، وبكى)(3).

وشاءت إرادة الله أن يؤخذ ثأر هذا الشهيد على يد ولده القاسم، كما شاءت إرادة الله أن يؤخذ ثأر الحسين عليه السلام على يد ولده الإمام المهدى عج الله تعالى فرجه الشريف.

1- (1) أدب الطف: ج 8، ص 167، والأبيات من قصيدة كبيرة للسيد إبراهيم ابن السيد حسين بحر العلوم فى رثاء الشهيد حبيب بن مظاهر الأسدى (رض).

2- (2) المراد به غير الحصين بن تميم.

3- (3) مقتل الحسين لأبى مخنف: ص 146.

الولد يطلب ثأر أبيه

وبقيت لوعة الألم التى أشعلها قاتل الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى تغلى فى نفس ولده القاسم، لا تهدأ له عبرة ولا تسكن له زفرة حتى هيّأ الله عزّ وجلّ له أسباب الأخذ بثأر والده (رض)، وتمضى الأيام ثقيلةً على ولد الشهيد الكربلائى، حتى إذا جاء زمن مصعب بن الزبير وحربه مع عبد الملك بن مروان، وإذا بابن الزبير يستعين لقتال عبد الملك بجملة من مجرمى واقعة الطف وقتلة أهل البيت وأنصارهم، فكان من جملة من التحق منهم قاتل حبيب بن مُظهِّر الأسدى (رض).

يقول أبو مخنف فى مقتله: (فمكث الغلام حتى إذا أدرك لم يكن له همّة إلاّ اتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرة فيقتله بأبيه، فلمّا كان زمان مصعب بن الزبير وغزا مصعب باجميرا(1) ، دخل عسكر مصعب فإذا قاتل أبيه فى فسطاطه، فأقبل فى طلبه والتماس غُرّته، فدخل عليه وهو قائل نصف النهار، فضربه بسيفه حتى برد)(2).

1- (1) باجُمَيرى - بضمّ الجيم وفتح الميم وياء ساكنة وراء مقصورة -: موضع دون تكريت، ذكر الأخباريون أنّ عبد الملك بن مروان كان إذا هَمّ بقصد مصعب بن الزبير بالعراق يخرج فى كلّ سنة إلى بطنان حبيب، وهى أدنى من قنسرين إلى الجزيرة، فيعسكر بها ويخرج مصعب بن الزبير إلى مسكن فيعسكر بباجميرى من أرض الموصل، كلّ واحد منهما يرى صاحبه أنّه يقصده، ولا يتم لكلّ واحد منهما قصده، فإذا جاء الشتاء وارتجّ الثلج انصرف عبد الملك إلى دمشق ومصعب إلى الكوفة، فكان يقول عبد الملك إنّ مصعباً قد أبى إلاّ جميراته والله موقدهن عليه. معجم البلدان للحموى: ج 1، ص 219.

2- (2) مقتل أبى مخنف: ص 146-147.

الحسين عليه السلام يؤبّن حبيباً

ذكر كلّ مَن تحدّث عن شهادة حبيب بن مُظهِّر، أنّه حينما قُتل هدّ ذلک حسيناً، وقال: «عند الله احتسب نفسی وحماة أصحابی، لله دَرّک يا حبيب، لقد كنتَ فاضلاً، تختم القرآن فی ليلة واحدة»(1).

يقول الشيخ محمد السماوی أبياتاً فی حال الحسين بعد مقتل حبيب، منها:

إنْ يهدِّ الحسينَ قَتْلُ حبيبٍ فَلَقَدْ هَدَّ قَتْلُهُ كُلَّ رُكْنِ

بَطَلٌ قَدْ لَقَی جِبَالَ الأَعَادِی مِنْ حَدِيْدٍ فَرَدَّهَا كَالعِهْنِ

لاَ يُبَالِی بِالجَمْعِ حَيْثُ تَوَخَّی فَهُوَ يَنْصَبُّ كَانْصِبَابِ المُزْنِ

أَخَذَ الثَّأْرَ قَبْلَ أنْ يَقْتُلُوْهُ سَلَفَاً مِنْ مَنِيَّةٍ دُوْنَ مَنِّ

قَتَلُوا مِنْهُ للحسينِ حَبِيْبَاً جَامِعَاً فی فِعَالِهِ كُلَّ حُسْنِ (2)

يقول المازندرانی فی معالم السبطين: (أقول: لمّا قُتل حبيب بانَ الانكسار فی وجْه الحسين عليه السلام وسرّه واضح؛ لأنّ اطمينان قلب السلطان وقلوب العسكر بحامل اللواء، فإذا سقط اللواء يتزلزل قلب السلطان والعسكر، وكان زهير حامل لواء الميمنة، وحبيب حامل لواء الميسرة، والعبّاس حامل لواء القلب، ولهذا لمّا قُتل حبيب بانَ الانكسار فی وجه الحسين، وكذلک لمّا قُتل العبّاس)(3).

1- (1) مقتل أبی مخنف: ص 147. منتهی الآمال: ج 1، ص 263.

2- (2) إبصار العين: ص 60-61.

3- (3) معالم السبطين: ج 1، ص 375.

مدفن الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى

يبـدو من خلال البحث والمطالعـة فى كتب المصادر التى تحـدّثت عن دفن شـهداء كربلاء لاسـيّما الشـهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى، أنّ هناک رأيين:

الرأى الأول

يذهب أصـحاب هذا الرأى أنّ الذى تولّى عملية الدفن للشـهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى وسائر الشهداء من أصحاب الحسين عليه السلام، بل وحتى الحسـين نفسه، إنّما هم جماعة من بنى أسد من سـكنة منطقة الغاضريات، ويبدو أنّها نفس تلک الجماعة التى طلب منها الشهيد حبيب بن مُظهِّر النصـرة للحسين عليه السلام، فلبّت نداءه واستجابت لمطلبه، ولكنّها سرعان ما رجعت بعد أن واجهت قوّة كبيرة من جيش ابن زياد، لا قدرة لهم على الصـمود أمامها، فقرّروا بَعدها أن يرحلوا عن أماكنهم لاسـيّما فى تلک المرحلة؛ حفاظاً على أنفسـهم من بطش ابن زياد ورجاله.

(وبعد العاشـر من المحرّم رجعوا إلى أماكنهم، فرأت نساؤهم أجساداً مجرّدة وشباباً مرمّلة وخدوداً معفّرة، تصهرهم الشمسُ وتسفى عليهم الرياح، زوّارهم العقبان والرخم، فلم يتمالكنَ النسوة أنفسـهنّ لروعته، بل ولّين الأدبار متقهقرات وقد أخذ منهنّ التأثّر كلّ مأخذ، فأخذنَ فى تقريع الرجال من غير وعى ولا رشد، بأشد لهجةٍ وأقسى عتاب؛ لتوانيهم وقعودهم عن مواراة تلک الجثث والأشلاء الطاهرة.

ففعل حديثهنّ فعلَ السـحر فى نفوس الرجال، وأثار الحفائظ وألهب الشـيم، فنهضوا نهضةَ الرجل الواحد إجابةً للدعوة الصاخبة على سبيل التضحية والانتحار،

مستبسلين غير هيّابين ولا وجلين من سلطان بنى أمية وشديد بطشها، فتسربلوا بسواد الليل لئلاّ يفتضح أمرهم، باذلين قُصارى جهدهم فى إنجاز مهمّتهم باختصار وسرعة متناهية، من غير غسل ولا كفن)(1).

وهناک رواية أخرى يذكرها المازندرانى نقلاً عن السيد نعمة الله الجزائرى، فيها إشارة إلى نفس مضمون الرواية المتقدّمة، يقول فيها:

(وكان إلى جنب العلقمى حيٌّ من بنى أسد، فتمشّت نساء ذلک الحيّ إلى المعركة فرأت جثث أولاد الرسول وأفلاذ حشاشة الزهراء البتول وأولاد عليّ فحل الفحول، وجثث أنصارهم فى تلک الأصحار وهاتيک القفار، تشخب الدماء من جراحاتهم كأنّهم قتلوا فى تلک الساعة، فتداخل النساء من ذلک تمام العجب، فابتدرنَ إلى حيِّهنّ وقلنَ لأزواجهن ما شاهدنَ، ثمّ قلن لهم:

بماذا تعتذرون من رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء إذا وردتم عليهم... فقوموا الآن إلى أجسادهم فواروها، فإنّ اللعين ابن اللعين ابن سعد قد وارى أجساد مَن أراد مواراته من قومه، فبادروا إلى أجساد آل الله وادفعوا عنكم بذلک العار... فأتوا على المعركة وصارت همّتهم... إلخ الرواية)(2).

أمّا لماذا دفن بنو أسد الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى منفرداً عن بقية الشهداء الآخرين؟ فهذا ما لا نجد له دليلاً واضحاً يمكن الاعتماد عليه، ولكن يمكن أن يوجّه من خلال نقطتين:

1- (1) بغية النبلاء فى تاريخ كربلاء للسيد عبد الحسين آل طعمة: ص 56-57.

2- (2) معالى السبطين: ج 2، ص 62.

الأولى: أنّهم إنّما دفنوه منفرداً اعتناءً منهم فيه؛ لأنّه أسدىّ، بل ومن شخصيات بنى أسد.

الثانية: أنّهم دفنوا أصحاب الحسين عليه السلام حول قبره الشريف متفرّقين، حيث جعلوا لكلّ واحدٍ منهم قبراً منفرداً، فاشتهر من بينهم قبر حبيب؛ لكثرة زائريه من قِبل بنى أسد والمعتنين به من قِبلهم دون بقيّة القبور الأخرى، وربّما يستطيع الإنسان أن يوجّه مثل هذا الرأى من خلال كلمات الشيخ المفيد (رض)، والتى ذكرها فى كتابه الإرشاد حول قبور الشهداء فى كربلاء، حيث يقول: (ولسنا نحصِّل لهم أجداثاً على التحقيق والتفصيل، إلاّ أنا لا نشكّ أن الحائر محيط بهم رضى الله عنهم وأرضاهم)(1).

فإذا علمنا أنّ الحائر الحسينى يشمل مساحة قطرها 22/915 م 2 كما هو المشهور عند العلماء، فيكون الحائر الحسينى ممتدّاً إلى مسافة 11/5 م من الجهات الأربعة لقبر الحسين عليه السلام،

وقد ورد مثل هذا التقدير فى أكثر من رواية للإمام الصادق عليه السلام: (عن إسحاق بن عمّار قال: سمعته يقول:

لموضع قبر الحسين حرمة معلومة، مَن عرفها واستجار بها أُجير.

قلتُ: صف لى موضعها. قال:

امسح من موضع قبره اليوم خمسة وعشرين ذراعاً من قدّامه، وخمسة وعشرين ذراعاً عند رأسه، وخمسة وعشرين ذراعاً من

1- (1) الإرشاد للشيخ المفيد: ج 2، ص 126.

ناحية رجليه، وخمسة وعشرين ذراعاً من خلفه)(1).

وكل ذراع بما يعادل تقريباً 45 سم، فإذا علمنا بكلّ ذلک أمكن لنا تصوّر أنّ الشـهداء دفنوا فی هـذه الساحة المقدرة ب - 11/5 م من كلّ جهات قبر الحسين عليه السلام، نعم، اشتهر قبر حبيب لكثرة زائريه وزيادة الاعتناء به كما تقدّم.

الرأی الثانی

ويذهب أصـحاب هذا الرأی إلى أنّ عملية الدفن تمت إمّا بشـكل مباشـر من قِبل الإمام زين العابدين عليه السلام، وإمّا بتوجيه منه إلى بنی أسد(2).

وهنـاک من الروايـات الكثير ممّـا يُنقـل مثـل هـذا المعنى، فـإذا تمّ ذلک فيكون إفراد قبر حبيب بن مُظهِّر الأسـدی قـد تمّ بتوجيه من قِبل المعصوم، ولكن لماذا؟

هـل لأجل كِبر السنّ؟ فهناک مَن هو أكبر منه سـنّاً ک - (أنس بن الحرث بن كاهل الأسـدی)، أم لأجل العبادة؟ وهناک (برير بن خضـير) الذی كان يصلّی الظهر بوضوء الفجر، أم لأجل الاخلاص؟ ونحن نعلم أنّ جميع أصحاب الحسين عليه السلام مخلصون.

على أیّ حال علينا أن نعلم أنّ هناک سـبباً وراء مثل هـذا الإفراد لقبر حبيب (رض)، حتى وإن لم نعرف علّـة ذلک، يقول المازنـدرانی وهو يتحدّث عن دور الإمام زين العابدين عليه السلام فی دفن الأجساد الطواهر:

1- (1) الكافی: ج 4، ص 588.

2- (2) راجع: تاريـخ دمشق: ج 41، ص 372. حليـة الأولياء: ج 3، ص 135. منـاقب آل أبی طالب: ج 3، ص 275. المسعودی فی إثبات الوصية: ص 173.

(فأتوا إلى المعركة وصارت همّتهم أوّلاً أن يواروا جثّة الحسين عليه السلام من بين تلک الجثث، ولكنّهم ما كانوا يعرفونه؛ لأنّها بلا رأس وقد غيّرتْها الشموس، فبينما هم كذلک وإذا بفارس مقبل إليهم، حتى إذا قاربهم قال: «ما بالكم»؟ قالوا: اعلم أنّا أتينا لنوارى جثّة الحسين عليه السلام وجثث ولده وأنصاره، ولم نعرف جثّة الحسين عليه السلام، قال: فلمّا سمع ذلک حنّ وأَنّ وجعل ينادى:

«وا أباه.. وا أبا عبد الله.. ليتَک حاضراً وترانى أسيراً ذليلاً».

ثمّ قال لهم: «أنا أرشدكم إليه»، فنزل عن جواده وجعل يتخطّى القتلى، فوقع بصره على جسد الحسين عليه السلام، فاحتضنه وهو يبكى ويقول:

«أبتاه، بقتلک قُرّت عيون الشامتين، يا أبتاه، بقتلک فرحتْ بنو أمية، يا أبتاه، بعدک طال حزننا، يا أبتاه، بعدک طال كربنا».

ثمّ أنّه مشى قريباً من محلّ جثّته فأهال يسيراً من التراب فبان قبرٌ محفور ولحد مشقوق، فنزّل الجثّة الطاهرة ووارها فى ذلک المرقد الشريف كما هو الآن، قال: ثمّ إنّه جعل يقول: هذا فلان، وهذا فلان، والأسديون يوارونهم، فلمّا فرغوا منهم مشى إلى جثّة العباس بن على، فانحنى عليها وجعل ينتحب...)(1).

والرواية طويلة تنتهى بدفن الحرّ (رض) من قِبل الإمام بمساعدة بنى أسد، وهناک رواية أخرى أكثر صراحة فى هذا المجال ذكرها السيد الجزائرى فى كيفية دفن الأجساد كذلک:

1- (1) معالم السبطين: ج 2، ص 62-63.

(وإذا به يقول لنا: أمّا ضـريح الحسـين فقد علمتم، وأمّا الحفيرة الأولى ففيها أهل بيته والأقرب إليه منهم ولده على الأكبر، وأمّا الحفيرة الثانية ففيها أصـحابه، وأمّا القبر المنفرد ممّا يلى الرأس الشـريف فهو حامل راية الحسـين عليه السـلام حبيب بن مظاهر...»)(1). ويقول سلمان هادى طعمـة وهو يتحـدّث عن مرقد حبيب بن مُظهِّر المتميّز دون الآخرين: (وهو أحد شـهداء حادثة الطف، نصـر الحسـين عليه السـلام وشـهر سـيفه أمام الأعداء حتى سـقط صريعاً على رمضاء كربلاء، ودُفن فى الواجهة الغربية من الرواق الأمامى للروضة الحسينية المطهَّرة، وضريحه مصنوع من الفضّة، وهو أجلّ شأناً من أن يوصف)(2).

وأمّا بقيّـة الشـهداء فيقول عنهم: (وهم ملحودون فى ضـريح واحد، وهذا الضـريح وضع علامة لمكان قبورهم، وهم فى التربة التى فيها قبر الحسين عليه السلام)(3).

مدفن رأس حبيب بن مُظهِّر

إتماماً للفائدة أحببتُ أن أورد ما ذكره العلماء حول رأس الشهيد حبيب بن مُظهِّر ومدفنه، حيث ذكر السيد الأمين فى أعيان الشيعة ما نصّه:

(رأيتُ بعد سنة 1321 ه - فى المقبرة المعروفة بمقبرة باب الصـغير بدمشق مشهداً وضع فوق باب صخرة كُتب عليها ما صورته: هذا مدفن رأس العباس بن على، ورأس على بن الحسين عليه السلام الأكبر، ورأس حبيب بن مظاهر.

1- (1) معالم السبطين: ج 2، ص 65.

2- (2) تراث كربلاء لسلمان هادى طعمة: ص 109.

3- (3) تراث كربلاء: ص 110.

ثمّ إنّه هُدم بعد ذلک بسنتين هذا المشهد وأعيد بناؤه وأزيلت هذه الصخرة، وبُنى ضريح داخل المشهد ونقش عليها أسماء كثيرة لشهداء كربلاء، ولكنّ الحقيقة أنّه منسوب إلى الرؤوس الشريفة الثلاثة المتقدّم ذكرها بحسب ما كان موضوعاً على بابه كما مر.

وهذا المشهد الظنّ يقوى بصحّة نسبته؛ لأنّ الرؤوس الشريفة بعد حملها إلى دمشق والطواف بها وانتهاء غرض يزيد من إظهار الغلبة والتنكيل بأهلها والتشفّى، لابدّ أن تُدفن فى إحدى المقابر، فدفنتْ هذه الرؤوس الثلاثة فى مقبرة باب الصغير، وحفظ محلّ دفنها والله أعلم)(1).

وهناک مَن يناقش هذا الرأى، وإنه لا معنى لدفن هذه الرؤوس الثلاثة هنا دون الأخرى، ومن ثم فنحن أمام خيارين، فإمّا أن نقبل بحمل الرؤوس جميعاً، وإمّا أن نقول بدفن الرؤوس جميعاً، وإنّ القول ببعضها دون البعض الآخر لا دليل عليه سوى الظنّ و «إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً2,3» .

لاسيّما وقد ورد فى نفس المهموم(2) ورياض الأحزان(3) عن حبيب السير: أنّ يزيد سلّم جميع الرؤوس إلى على بن الحسين عليه السلام فألحقها بالأبدان الطاهرة فى العشرين من صفر ثمّ توجّه إلى المدينة.

1- (1) أعيان الشيعة: ج 4، ص 259 قسم أ.

2- (4) نفس المهموم: ص 253.

3- (5) رياض الأحزان: ص 151.

الشهيد زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعى الكندى عليه السلام

اشارة

بنو أسـلم الـذين ينتمى اليهم الشـهيد الكربلائى، من القبائل التى أسـلمت مبكّراً، وذلک قبل عام الوفود، التى أخـذت القبائل تفد فيه على رسول الله وتعلن إسـلامها بين يديه والذى كان بعد فتح مكّة، وذكر المؤرّخون أنّهم أسـلموا حتى قبل أن يصل رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم المدينة، حيث انقسموا إلى نصفين، نصف آمن بالإسلام قبل مجىء رسول الله إلى المدينة، والنصف الآخر آمن بالإسلام وأعلنه بعد مجيئه صلى الله عليه و آله و سلم، وقال عندها رسول الله كلمته المشهورة: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله»(1).

ينقـل ابن سـعد وغيره أنّ أبا ذرّ الغفارى رضـى الله عنه أقبل متنكّراً على مكّـة، وذهب إلى رسول الله وأعلن إسـلامه والـذى كان رسول الله حينهـا يـدعو الناس سـرّاً إلى الإسـلام، فقال أبو ذر للنبى صـلى الله عليه و آله و سـلم: بم تأمرنى؟ فقال: «ارجع إلى قومک فأخبرهم حتى يأتيک أمرى فقال أبو ذرّ: والذى نفسى بيده لأصرخنّ بها (الشهادة) بين

1- (1) الترمذى: ص 31-34، صحيح مسلم: ج 1 ص 470.

ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد ونادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، فقام اليه المشركون فضربوه ضرباً شديداً، وأتى العباس بن عبد المطلب عمّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم فانكب عليه وقال: ويلكم، ألستم تعلمون أنّه من غفار، وأنّه طريق تجارتكم إلى الشام؟!

فثابوا إلى رشدهم وتركوه، ثمّ عاد أبو ذرّ فى الغد لمثلها، فضربوه حتى افقدوه وعيه، فاكبّ عليه العباس فأنقذه، ورجع أبو ذرّ إلى قومه بنى غفار وجيرانهم بنى أسلم فدعاهم إلى الإسلام، فأسلم نصف قبيلة غفار ونصف جارتها (أسلم) وعندما هاجر النبى صلى الله عليه و آله و سلم إلى المدينة أقبل عليه أبو ذرّ مع قبيلتى غفار وأسلم ففرح رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وقال: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله».

وحسن إسلام القبيلة ووقفت إلى جانب رسول الله، حتى أنّ ابن كثير ينقل فى البداية والنهاية عن ابن إسحاق قوله «وكان جميع من شهد فتح مكّة من المسلمين عشرة آلاف، ومن بنى أسلم لوحدها أربعمائة شخص».(1) ويوم حنين شاركوا ب - (1000) شخص، وقد أخرجت هذه القبيلة الكثير الكثير من المجاهدين والأبطال والموالين، فضلاً عن العلماء والرواة.

فهم على سبيل المثال أبو برزة الأسلمى، الذى عده البرقى والعلاّمة الحلّى من أصفياء أمير المؤمنين، وبريدة الأسلمى الذى قتل بين يدى إمامه أمير المؤمنين فى صفّين. ويبدو أنّ بنى أسلم فى صفّين أبلوا بلاءً حسناً، حتى ورد أنّ أمير المؤمنين قال فيهم بيتين من الشعر أشار من خلالهما إلى شجاعتهم وإخلاصهم،

1- (1) ابن كثير، البداية والنهاية، باب من شهد فتح مكة.

وخصّ منهم جماعة لعلوّ منزلتهم:

جزى الله خيراً عصبةً أسلميّةً حِسان الوجوه صُدِّعوا حول هاشمِ

بريدُ وعبد الله منهم ومنقذٌ وعروةُ ابنا مالكٍ فى المكارمِ (1)

وكان منهم شـهيدنا الكربلائى زاهر بن الأسود الأسـلمى، والذى كان من أوائل من أسـلم من قومه ووقف إلى جانب النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى معاركه الكبرى لا سيما حنين، المعركة التى قلّ فيها من ثبت.

أقوال العلماء فيه

1. يقول السماوى: كان زاهر بن عمرو الكندى بطلاً مجرّباً وشجاعاً مشهوراً، ومحبّاً لأهل البيت معروفاً.(2)

2. يقول المامقانى: هو زاهر بن عمرو الكندى الأسـلمى، من أصحاب الشجرة، وروى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم وشهد الحديبية وخيبر.(3)

3. يقول شمس الدين: زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعى، ذكره الشيخ وابن شهر آشوب فى عداد الحملة الاولى.(4)

4. قال ابن الأثير: زاهر بن الأسود بن حجّاج بن قيس بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمة بن مالک بن سلامان بن أسلم بن أفطى الأسلمى، أبو مجزأة، كان

1- (1) كتاب وعتاب للشيخ قيس العطار: ص 116-118.

2- (2) إبصار العين: ص 135.

3- (3) مستدركات علم رجال الحديث للنمازى: ج 3 ص 416.

4- (4) أنصار الحسين لشمس الدين: ص 86-87.

ممّن بايع تحت الشجرة وسكن الكوفة، قال الواقدى: كان من أصحاب عمر بن الحمق الخزاعى.(1)

5. قال ابن حجر العسقلانى: زاهر بن عمرو بن الأسود بن حجّاج بن قيس الأسدى الكندى، من أصحاب الشجرة، وتحتها بايعوا رسول الله، وسكن الكوفة وشهد الحديبية وخيبر.(2)

ممّا مضى تبيّن لنا أنّ العلماء قد اختلفوا فى اسم زاهر وفى اسم أبيه وفى نسبه، ولكنّهم كما رأينا متّفقون على نقاط أساسية ذكروها وهم يتحدثون عن الشهيد الكربلائى، ومن هذه النقاط:

1. أنّه من أصحاب الشجرة.

2. روى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

3. شهد الحديبية وخيبر.

4. كان من أصحاب عمرو بن الحمق الخزاعى.

5. سكن الكوفة.

ومن ثم نحن نميل إلى أنّهم جميعاً يتحدّثون عن شخصية واحدة وليس شخصيات متعدّدة، وأمّا أسباب الاختلاف فيمكن أن تعود إلى ما يلى:

1. الاختلاف فى مولوية الشهيد فى قولهم زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعى، فالمولى هنا معناه الصديق والصاحب، كما سيأتينا مفصّلاً الحديث عنه،

1- (1) أسد الغابة، باب الزاى «زاهر».

2- (2) وسيلة الدارين: ص 137-138.

حتی أنّ بعضـهم ذکر هذا المعنی بشکل صریح فقال: زاهر صاحب عمرو بن الحمق الخزاعی.(1) ومن هنا ربما نفهم سبب وقوع البعض بخطأ نسبته إلی عمرو، حیث قال: «زاهر بن عمرو»(2). وقد أشار إلی ذلک بشکل واضح وصریح الشیخ محمد مهدی شمس الدین رحمه الله فی کتابه أنصار الحسین(3) ، ومن ثم یبقی ما ذکره الآخرون وهو زاهر بن الأسود.

2. الاختلاف فی نسـبه، حیث نسـبه بعضهم إلی کندة، مع أنه لم یکن منهم وإنما کان من موالی کندة، وقد أشار الشیخ شمس الدین رحمه الله إلی ذلک، حیث قال وهو یتحدّث عن زاهر:

«من شخصیّات الکوفة، شیخ کبیر السنّ من موالی کندة»(4).

وکذلک ذکر ذلک السیّد محمد رضا الحسینی فی بحثه الرائع حول «التسمیات» حیث قال:

«وقد ذکر الفضیل الرسّان اسم زاهر فی قبیلة کندة باعتبار مصاحبته لعمرو ابن الحمق الخزاعی الکندی»(5).

فإذا ثبت أنّه لیس من کندة ولا یقال له الکندی، فلا یبقی إلاّ ما ذکره الأکثرون حیث نسبوه إلی «أسلم».

1- (1) الأعیان: ج 7 ص 41-42.

2- (2) إبصار العین: ص 135.

3- (3) أنصار الحسین: ص 86-87.

4- (4) أنصار الحسین لشمس الدین: ص 86-87.

5- (5) مجلة تراثنا العدد 15 السنة الرابعة 1409 ه -.

نعم، يبقى عنـدنا مـا ذكره الزنجـانى فى وسـيلة الـدارين وهو يتحـدّث عن ابن حجر العسـقلانى حيث يقول: «زاهر بن عمرو بن الأسود بن حجّاج بن قيس الأسدى الكندى».

وأغلب الظنّ أنّ كلمة الأسدى قد تفرّد بنقلها الزنجانى التى ربما تكون مصـحّفة عن الأسـلمى، علماً أنّى رجعت إلى المصدر المذكور فلم أجـد هذه العبارة، وإنّما وجدت عبارة أخرى تقول: «زاهر بن الأسود بن حجّاج بن قيس الأسـلمى»(1). وربما اعتمد السيّد الزنجانى على نسخة وجد فيها ما ذكر وإلاّ الموجود فعلاً فى المكتبات لا ينسبه إلاّ إلى الأسلمى.

يبقى ما ورد منسوباً إلى زيارة الناحية فى بحار الأنوار: «السـلام على زاهد مولى عمرو بن الحمق الخزاعى»(2) بينما ورد فى نسخة الإقبال: «السـلام على زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعى» ممّـا يؤكـد على أنّ زاهـد مصـحّفة من زاهر. وبهـذا نكون قـد انتهينـا إلى أنّ الشـهيد الكربلائى اسمه: زاهر بن الأسود الأسلمى، مولى عمرو بن الحمق الخزاعى الكندى.

صحبة الشهيد لعمرو بن الحمق الخزاعى

نقـل أكثر المؤرّخين الحـديث عن مصاحبـة الشـهيد الكربلاـئى لعمرو بن الحمق الخزاعى، حتى صار يُعبّر عنه بالمولى لعمرو بن الحمق الخزاعى، وربما لأجل هذا اشتبه بعضهم فعبّر عنه بأنّه مولى عمرو حقيقة.

1- (1) ابن حجر، الإصابة: ج 2 ح 2779.

2- (2) أنصار الحسين لشمس الدين: ص 86-87.

مع أنّ المراد من المولى هنا الصاحب والناصر دون معنى المولى الحقيقى، وقد تابع الشهيد صاحب رسول الله فى كلّ سكناته وحركاته، فاقتبس منه العلم والورع والزهد والشعور بالمسؤولية أمام ما تواجهه الأمّة من تحدّيات، وإذا أردنا أن نعرف حقيقة هذه الصحبة وآثارها على الشهيد الكربلائى علينا أن نسلّط الضوء على شخصية عمرو بن الحمق الخزاعى لنعرف حقيقة هذا الرجل، والذى عُدّ فى نظر العلماء من أولياء الله الخاصين.

عمرو بن الحمق الخزاعى

اتّفق الرواة على أنّ إسلامه كان بمعجزة من رسول الله، وأنّه أرسل سرية وأخبرهم أنّهم سيصادفونه وأوصاهم أن يبلغوه أنّه من أهل الجنّة.

فتأمل فى مقام شخص يخبره سيّد المرسلين قبل إسلامه أنّه من أهل الجنّة ينقل الطبرانى فى المعجم الأوسط (1) قوله:

«عن صخر بن الحكم عن عمّه أنّه سمع عمرو بن الحمق يقول: بعث رسول الله بسرية فقالوا: يا رسول الله، إنک تبعثنا وليس لنا زاد ولا لنا طعام ولا علم لنا بالطريق فقال: إنّكم ستمرّون برجل صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب ويدلّكم على الطريق، وهو من أهل الجنة.

فلمّا نزل القوم علىّ جعل يشير بعضهم إلى بعض وينظرون الىّ فقلت: ما بكم يشير بعضكم إلى بعض وتنظرون الىّ؟ فقالوا: أبشر ببشرى الله ورسوله، فإنّا

1- (1) المعجم الأوسط: ج 4 ص 239.

نعرف فیک نعت رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم، فأخبرونی بما قال لهم، فأطعمتهم وسقیتهم وزوّدتهم وخرجت معهم حتی دللتهم علی الطریق.

ثمّ رجعت إلی أهلی فأوصیتهم بإبلی ثمّ خرجت إلی رسول الله فقلت: ما الذی تدعو إلیه؟ فقال: أدعوا إلی شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّی رسول الله، وإقام الصلاة وإیتاء الزکاة وحجّ البیت وصوم رمضان، فقلت: إذا أجبناک لهذا فنحن آمنون علی أهلنا ودمائنا وأموالنا؟ قال: نعم، فأسلمت ورجعت إلی قومی فأخبرتهم بإسلامی، فأسلم علی یدی بشر کثیر منهم، ثمّ هاجرت إلی رسول الله، وبینما أنا عنده ذات یوم فقال لی: یا عمرو، هل لک أن أریک آیة الجنّة یأکل الطعام ویشرب الشراب ویمشی فی الأسواق؟ قلت: بلی، قال: هذا وقومه وأشار إلی علی ابن أبی طالب.

وقال لی: یا عمرو، هل لک أن أریک آیة النار یأکل الطعام ویشرب الشراب ویمشی فی الأسواق، قلت: بلی بأبی أنت وأمّی، قال: هذا وقومه آیة النار، وأشار إلی رجل، فلمّا وقعت الفتنة ذکرت قول رسول الله ففررت من آیة النار إلی آیة الجنّة.

ویری بنی أمیّة قاتلی بعد هذا؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: والله، لو کنت فی جوف حجرٍ لاستخرجونی بنو أمیّة حتی یقتلونی. حدّثنی به حبیبی رسول الله، وأنّ رأسی یحتزّ فی الإسلام وینقل من بلد إلی بلد(1).

1- (1) وإذا کان الطبرانی لم یستطع أن یذکر ذلک الرجل الذی هو آیة للنار، فإنّ استقراء الأحداث التاریخیة وحده کفیل بالتعریف به. وقال صاحب مجمع الزوائد: إنّ هذه الروایة ضعیفة لوجود عبد الله بن عبد الملک المسعودی وهو ضعیف: مجمع الزوائد: ج 9 ص 405، وضعفه کما یقول العقیلی ناشئ من کونه شیعیاً؛ انظر الضعفاء الکبیر للعقیلی: ج 2 ص 275، فیما یقول فی تاریخ دمشق، ج 45 ص 502: حیث ذکروا بأنّ المراد من الرجل معاویة والادی لیس شیعیاً.

وقد ذكر الشيخ المفيد حديثاً لعمرو بن الحمق الخزاعی يدلل على مدى إيمان هذا الرجل وحبّه لعلی بن أبی طالب، حيث يقول فی كتاب الاختصاص(1):

«قال عمرو بن الحمق الخزاعی لأمير المؤمنين: والله ما جئتک لمال من الدنيا تعطينيها ولا لالتماس السلطان ترفع به ذكری، إلاّ لأنّک ابن عمّ رسول الله، وأولی الناس بالناس، وزوج فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأبو الذرّية التی بقيت لرسول الله صلی الله عليه و آله و سلم، وأعظم سهماً فی الجهاد، وأسبق الناس للإسلام من المهاجرين والأنصار، والله لو كلّفتنی نقل الجبال الرواسی، ونزح البحور الطوامی، أبداً حتی يأتی علیّ يومی وفی يدی سيفی أوهن به عدوک وأقوّی به وليک ويعلو به الله كعبک ويفلج به حجّتک ما ظننت أنّی أدّيتُ من حقّک كلّ الحقّ الذی يجب لک علیّ. فقال أمير المؤمنين:

«اللهمّ نوّر قلبه باليقين، واهده إلی الصراط المستقيم، ليت فی شيعتی مائة مثلک».

ولا شكّ أنّ هذا الحديث والذی سبقه، ليدلاّن وبشكل واضح وجلی على ما تمتّع به هذا الرجل من الوعی والمعرفة والتوفيق إلی معرفة أئمّته، ولا غرابة فی ذلک لمن كان مصاحباً لأمير المؤمنين وملازماً له عليه السلام.

إنّ الشهيد الكربلائی كان موفّقاً كلّ التوفيق باختياره لخليلٍ من مستوی الشهيد العظيم عمرو بن الحمق الخزاعی، وسيأتينا فی آخر بحثنا هذا، كيف استمرّت هذه العلاقة ولم تنتهِ حتی استشهد عمرو، واضطرّ الشهيد الكربلائی إلی الفرار للنجاة بنفسه.

1- (1) الاختصاص: ص 14.

مع الشهيد الكربلائی فی رواياته

اشارة

لقـد عـدّ كلّ من كتب عن الشـهيد أنّه من جملـة الرواة الثقات الذين نقلوا الأحاديث عن رسول الله وعن أهل بيته، وها نحن ننقل بعض ما ذكره لنا التاريخ من رواياته علّنا نوفّق للعمل بها.

الرواية الأولى: قال رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم فی حقه: «إنّ لكل حاضر بادية، وبادية آل محمد زاهر بن حرام الأشجعی وزاهر بن الأسود الأسلمی»(1). ولهـذا الحـديث من رسول الله سـبب وقصّـة يـذكرها المؤرّخون، حيث ينقل أنس بن مالک «أنّ رجلاً من أهل البادية اسمه زاهر(2) ، وكان النبی صـلى الله عليه و آله و سـلم يحبّه وكان زاهر رجلاً دميماً، وكان يهـدی إلى النبی الهدية من البادية وكان النبی صـلى الله عليه و آله و سلم يجهّزه إذا أراد أن يخرج من المدينة ويرجع إلى باديته حيث يعيش ويقيم، فقال النبی صلى الله عليه و آله و سـلم: «إنّ زاهراً باديتنا ونحن حاضـروه». وهذا فی واقع الأمر خلق كريم من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أولاً، كما أنّه فی نفس الوقت يشـير إلى خلق الشـهيد الكربلائی حيث لا يقـدم على رسول الله إلاّ ومعه بضائع الباديـة يحملها ثانياً، وكم هی جميلـة هـذه العادة حينما تقدم على أناس من سـفر وتقدّم لهم بين يديک هدية ولو لم تكن كبيرة، لتدخل الفرحة فی قلوبهم، فهی ترمز إلى الكثير من المعانی الإنسانية الجميلة ولهذا قالوا: الهدية على قدر هاديها لا على قدرها.

1- (1) تاج العروس: ج 10 ص 2913.

2- (2) يمكن أن يحمل على الشهيد الكربلائی، ويمكن أن يحمل على الآخر، لأنّ كلاً منهما زاهر، وقد وردت الروايات بهما معاً، حيث تارة تعبّر عنه بزاهر الأشجعی وتارة بزاهر الأسلمی.

مزاح رسول الله مع الشهيد الكربلائى

وينقل لنا التاريخ طرفة جميلة صنعها رسول الله مع زاهر فى سوق المدينة، حيث يُنقل «أنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم أتاه يوماً وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصر، فقال الرجل: أرسلنى! مَن هذا؟ فالتفت فعرف النبى صلى الله عليه و آله و سلم فجعل لا يألوما ألصق ظهره بصدر النبى صلى الله عليه و آله و سلم حين عرفه، وجعل النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقول (ممازحاً): من يشترى العبد؟ فقال: يا رسول الله، إذاً والله تجدنى كاسداً!(1) فقال النبى صلى الله عليه و آله و سلم لكنّک عند الله لست بكاسد، وفى رواية ولكنک عند الله غالٍ»(2).

مزاح رسول الله مع أصحابه

هذا هو خلق رسول الله مع أصحابه، فهو لم يكن بالفظ الغليظ، بل كان سمحاً سهلاً بسيطاً مداعباً لهم، ولكنّه كان فى نفس الوقت اذا أقبل وقت الصلاة صار كأنّه لا يعرفنا ولا نعرفه. وقد نقل لنا التاريخ صوراً عن مزاح رسول الله لأصحابه ومزاحهم له صلى الله عليه و آله و سلم، طبعاً إذا كان المزاح مستجمعاً للضوابط والمعايير الأدبية والعرفية، ولأجل إتمام الفائدة، نذكر بعض النماذج حتى تكون لنا منهجا نسير على أساسه:

أولاً: ينقل الترمذى وأبو داود(3) عن أنس، أنّ رجلاً أتى النبى وقال: يا رسول الله، احملنى، فقال صلى الله عليه و آله و سلم: «انا حاملوک على ولد ناقة، قال: وما أصنع بولد

1- (1) كاسدة: بائرة، وكسد الشىء كساداً فهو كاسد وكسيد. لسان العرب لابن منظور، مادة كسد.

2- (2) رواه أحمد فى مسنده: ح 17369.

3- (3) صحيح الترمذى: ح 1991. سنن أبى داود: ح 4998.

الناقة؟! فقال صلى الله عليه و آله و سلم: «وهل تلد الإبلَ إلاّ النوقُ؟».

حيث توهّم أنّ الولد لا يطلق إلاّ على الصغير الذى لا يصلح للركوب، والحال أنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم أراد الجنس لا السنّ.

ثانياً: وروى النسائى(1) عن كعب بن مرّة قوله: سمعته صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «إرموا! من بلغ العدوَّ بسهم رفعه الله به درجة» قال ابن النحّام يا رسول الله، وما الدرجة؟ قال: «أما إنّها ليست بعتبة أمّك، ولكن ما بين الدرجتين مائة عام».

ثالثاً: وممّن عُرف بالمزاح من الصحابة نعيمان بن عمرو، وكان لا يدخل المدينة طرفة أو فاكهة إلاّ اشترى منها وأكل بعضها وأهدى الباقى إلى رسول الله، فإذا جاء صاحبها يطلب ثمنها من نعيمان أحضره إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم وقال: أعط هذا ثمن متاعه، فيقول النبى: أولم تهده لى؟ فيقول: نعم، ولكن والله ليس عندى ثمنه، ولقد أحببت أن تأكله! فيضحك النبى ويأمر بالثمن إلى صاحبه.

ومن النوادر الأخرى لهذا الرجل، «أنّ أعرابياً دخل على النبى صلى الله عليه و آله و سلم وأناخ ناقته بفنائه، وكانت ناقة فتية سمينة، فقال له بعض الأصحاب: عيمان، لو عقرتها فأكلناها، فإنّا قد قرمنا(2) إلى اللحم، فقام نُعيمان وعقر الناقة، فخرج الأعرابى من عند رسول الله وصاح: واعقراه يا محمد! فخرج النبى صلى الله عليه و آله و سلم وقال: من فعل هذا؟ قالوا: النُعيمان، فأتبعه يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب واستخفى تحت سرب لها (دكّة تكون خارج الغرفة) فوقه جريد فأشار

1- (1) سنن النسائى: ح 3144.

2- (2) قرم إلى اللحم، أى اشتدّت شهوته له.

بعضـهم إلى النبى ودلّه على مكانه، فأمر بإخراجه وقال له: ما حملک على ما صـنعت؟ قال: الذين دلّوک علىّ يا رسول الله هم الذين قرموا إلى اللحم وأمرونى بعقر الناقة: فضحک رسول الله وجعل يمسح التراب عن وجهه، ثمّ غرم ثمنها للأعرابى»(1).

مزاح بلا تفريط ولا أفراط

ومن هنـا نفهم أنّ علينـا أنّ نجعـل علاقتنـا بالناس علاقـة ملؤها الابتسامـة، فليس عيباً أن تمازح الناس مزاحاً لا إفراط فيه ولا تفريط، وإنّما العيب أن تكون عبوساً قمطريراً فى ليلک ونهارک وسـرّک وإعلانک، والشـهيد الكربلائى أراد من خلال هـذه الروايـة وغيرها ان يوصل إلينا رسالة مفادها: كن ليّن الجانب، معاشراً ظريفاً هشّاً بشّاً بسّاماً، مع كياسة، ولا تكن وَعِرَ الطبع مزهوّاً، ذا خشونة وجفاء.

الرواية الثانية: روى ابن أبى شـيبة فى المصنف(2) قال: حدّثنا محمد بن بشّار قال: حدّثنا مسـعر قال: حدّثنا أبو حصـين عن زاهر الأسلمى عن أبيه عن عبد الله كان يقول: «الرؤيا الصالحة الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوّة».

الرؤيا الصالحة

اشارة

لابـدّ لنا ونحن نقرأ هذه الرواية الشـريفة عن الشـهيد الكربلائى، من الاعتراف بأنّ موضوع الرؤى والاحلام وما يراه الإنسان فى منامه، ما زال إلى يومـک هـذا محـلّ اهتمام الإنسان بشـكل كبير، ولا نريـد هنا أن نـدخل فى بحث علمى حول نظريات الأحلام التى يطرحها العلماء، ولكننّا نحاول أن نأخذ رأى الإسلام فيها،

1- (1) الإصابة: ج 6 ح 8794.

2- (2) المصنّف، كتاب الإيمان والرؤيا: ص 11.

من خلال القرآن والسـنّة الشـريفة رسول الله والأئمّة المعصومين عليهم السـلام، لا سيّما فى الرؤيا الصالحة الصادقة، كما ينقلها ويتحدّث عنها الشهيد، من حيث إنّ الرؤيا الصادقة حقيقة ثابتة فى القرآن والسنّة.

فقد تحدّث لنا القرآن الكريم عن جملة من الرؤى التى رآها الأنبياء، كما ذكر رؤى لغيرهم، فقد تحدّث عن رؤيا رسول الله:

«لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللّهُ 1» .

ورؤيا يوسف عليه السلام:

«إِذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ 2» .

ورؤيا السجينين:

«قالَ أَحَدُهُما إِنِّى أَرانِى أَعْصِرُ خَمْراً وَ قالَ الآخَرُ إِنِّى أَرانِى أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ 3» .

وهكذا رؤيا الملك:

«إِنِّى أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَ سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يابِساتٍ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا

تَعْبُرُونَ 1» .

إضافة إلى مجموعة كبيرة من الروايات، كالتى رواها الفريقان عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حيث يقول:

«الرؤيا ثلاثة: بشرى من الله، وتحزين من الشيطان، والذى يحدّث به الإنسان نفسه فيراه فى منامه»(1).

ومن ثم فإنّ الرؤيا الصادقة الصالحة التى لا تحتاج إلى تعبير، أو تكون قابلة للتعبير، وهى المُعبّر عنها بالبشـرى من الله تعالى، يراها الأنبياء وغير الأنبياء من الصالحين، ولكنّها للأنبياء بمثابة الوحى، فعن ابن عباس:

«إنّ أوّل ما ابتدأ به رسول الله من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، وكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت كفلق الصبح»(2).

ويقول الإمام الباقر عليه السلام فى قول الله عزّ وجلّ:

«لَهُمُ الْبُشْرى فِى الْحَياةِ الدُّنْيا4» .

قال:

«هى الرؤيا الحسنة يرى المؤمن فيبشّر بها فى دنياه»(3).

1- (2) بحار الأنوار: ج 58 ص 191.
2- (3) حلية الأبرار: ج 1 ص 67 للسيد هاشم البحرانى.
3- (5) الكافى: ج 8 ص 90.

حيث يعرف حسنها وصدقها باطمئنان قلبه وسكونه الذى ألقاه الله تعالى إليه(1).

سؤال وجواب

وقبل أن نغادر هـذه الرواية إلى رواية أخرى لشـهيدنا الكربلائى، أودّ أن أجيب عن سؤال ربّما يسأل عنه الكثير، وهو كيف يمكن للإنسان أن يوفّق لرؤيا صالحة، وهل هناك آداب وسنن حتى تصبح منامات الإنسان ورؤياه صالحة؟ أم أنّ الأمر خارج عنه بالمرّة؟

آداب وسنن التوفيق إلى الرؤيا الصالحة

وفى معرض الجواب نقول: لا شكّ ولا ريب أنّ هناك قسـماً من الأحلام خارجـة عن إرادة الإنسان، ولكن مع هـذا فقد وضـعت الشـريعة مجموعة من الآداب والسنن نذكر منها:

ألف: أن ينام الإنسان على طهارة، يقول الإمام على عليه السلام:

«لا ينام المسلم وهو جنب، ولا ينام إلاّ وهو على طهور».(2)

باء: أن يسبّح الإنسان قبل نومه تسبيحة الزهراء، وهو أربع وثلاثون تكبيرة، ثمّ ثلاث وثلاثون تحميدة، ثمّ ثلاث وثلاثون تسبيحة(3).

1- (1) شرح أصول الكافى: ج 11، ص 479.

2- (2) التحفة السنية للفيض الكاشانى: ص 317.

3- (3) مفاتيح الجنان: ص 58.

جیم: أن یستعیذ بالله من الشیطان الرجیم ویذکر الله قبل نومه بتوجّه. إضافة إلی عوامل أخری کالوقت، حیث یکون اللیل فی رؤیاه أقوی من النهار فی رؤیاه، وکلّما قرب الوقت من الفجر کانت الرؤیا أکثر صدقاً وصلاحاً.

«فعن أبی بصیر قال: قلت لأبی عبد الله علیه السلام: الرؤیا الصادقة والکاذبة مخرجهما واحد؟

فقال: صدقت، أمّا الکاذبة المختلفة فإنّ الرجل یراها أوّل لیله فی سلطان المردة والفسقة، وإنّما هی شیء یخیّل إلی الرجل، وهی کاذبة مخالفة لا خیر فیها؛ وأمّا الصادقة إذا رآها بعد الثلثین من اللیل مع حلول الملائکة، وذلک قبل السحر، فهی صادقة لا تختلف إن شاء الله إلاّ أن یکون جنباً أو علی غیر طهور، ولم یذکر الله عزّ وجلّ حقیقة ذکره، فإنّها تختلف وتبطئ علی صاحبها، فإن کان قد دخل فراشه وشقّ علیه الخروج للوضوء فلیتیمّم بغبار».(1))

الروایة الثالثة: روی ابن حجر وغیره(2) عن زاهر بن الأسود الأسلمی قال: «إنّی لأوقد تحت القدر بلحوم الحُمر إذ نادی منادی رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم إنّ رسول الله نهاکم عن لحوم الحُمر».

1- (1) التحفة السنیة: ص 317.

2- (2) کتاب المغازی: ح 3835.

تحريم لحوم الحُمُر

وقبل أن ندخل فی دراسة هذا الحديث الشـريف للشـهيد الكربلائی، لابدّ من الإشارة إلى أنّ هذا الحديث وغيره صدر فی غزوة خيبر، وقد اتّفق الفريقان على جواز أكل لحوم الحُمر وإباحته قبل هـذه الغزوة، وإنّما صار الكلام والخلاف بعـد هـذه الغزوة، حيث ذهبت المدرسـة الأخرى إلى حرمة تناول لحوم الحُمُر مستندين إلى القرآن الكريم.

حيث أشار فی سورة النحل إلى الفوائـد المترتّبـة على الخيل والبغال والحمير، ولم يذكر منها الأكل، بالإضافة إلى مجموعة من الأحاديث من بينها حديث الشهيد الكربلائی، ولنا على هذا الاستدلال ما يلی:

أ. إنّ القرآن الكريم حينما يتحدّث عن فوائد الخيل والبغال والحمير، وأنّها للركوب والزينة، لا يريد الحصر، وإنّما هو فی مورد الحديث عن أهمّ هذه الفوائد التی لها علاقة بحياتهم، وخصوصاً حمل الأثقال فی السفر، ولهذا قال تعالى:

«وَ تَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاّ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ 1» .

ومن ثم ليس هناک لا من قريب ولا من بعيد على نفی الفوائد الأخرى ومن ثم تبقى الإباحة، وهذا الذی ذكرناه هو عين ما ذكره القرطبی فی تفسـيره، ولكنّه اقتصـر على الخروج بإباحـة لحوم الخيل والبغال، وكان ينبغی عليه أن يـذكر الحُمر كـذلک، لأنّها على نفس شاكلـة الخيل والبغال. قال فی تفسيره:

«قلت: الصحیح الذی یدلّ علیه النظر والخبر جواز أکل لحوم الخیل، وأنّ الآیة والحدیث لا حجّة فیهما لازمة؛ أمّا الآیة فلا دلیل فیها علی تحریم الخیل، إذ لو دلّت علیه لدلّت علی تحریم لحوم الحُمُر، والسورة مکیّة وأیّ حاجة کانت إلی تجدید تحریم لحوم الحُمُر عام خیبر، وقد ثبت فی الأخبار تحلیل الخیل علی ما یأتی، وأیضاً لمّا ذکر تعالی الأنعام ذکر الأغلب من منافعها وأهم ما فیها، وهو حمل الأثقال، ولم یذکر الرکوب ولا الحرث ولا غیر ذلک مصرحاً به، وقد ترکب ویحرث بها.

قال تعالی:

«اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَنْعامَ لِتَرْکَبُوا مِنْها وَ مِنْها تَأْکُلُونَ 1» .

وقال فی الخیل:

«لِتَرْکَبُوها وَ زِینَةً» .

فذکر أیضاً أغلب منافعها والمقصود منها، ولم یذکر حمل الأثقال علیها، وقد تحمل کما هو مشاهد فلذلک لم یذکر الأکل».(1)

وأمّا الروایات، وخصوصاً تلک التی تتحدّث عن القدور وانقلابها، فقد آمن بها علماؤنا ولکنّهم حملوها علی النهی التدبیری أو التنزیهی، وعلی کلّ منهما یکون مفاد النهی هو الکراهة لا الحرمة.

خصوصاً وأنّ التعلیل فی هذا النهی کما فی بعض الروایات هو لأجل الظهر

1- (2) تفسیر القرطبی، آیة: 8.

(الركوب ونقل الأثقال عليها)، أو لأنّها كانت تأكل العذرة فتكون من الحيوانات الجلّالة التی لا یجوز أكلها حتی تستبرئ مدّة من الزمن.

فقد ورد عن أنس قوله: لما كان یوم خیبر أُتِیَ فقیل له: یا رسول الله، فنیت الحُمُر، فأمر أبا طلحة فنادی أنّ الله ورسوله ینهاكم عن لحوم الحُمُر(1).

وممّا یؤیّد ذلک، الروایة التی تقول إنّ المسلمین أصابهم جوع ومخمصة فی غزوة خیبر، حیث یروی البخاری ومسلم عن سلمة قوله:

«أتینا خیبر فحاصرناها حتی أصابتنا مخمصة شدیدة - یعنی جوع شدید - ثمّ إنّ الله فتحها علینا، فلما أمسی الناس مساء الیوم الذی فتحت علیهم أوقدوا نیراناً كثیرة، فقال رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم: ما هذه النیران؟ علی أیّ شیء توقدون؟ قالوا: علی اللحم قال علی أیّ لحم؟ قالوا: لحم حمر أنسیّة، فقال رسول الله: أهرقوها واكسروا الدنان»(2)).

ومن ثم خاف رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم أن تفنی مراكب المسلمین، والمعبّر عنها بالظهر فی الروایة، التی یحتاجونها لنقل البضائع والأسلحة والأمتعة، خصوصاً وهم فی حرب، وربما هذا هو الذی یفسّر لنا خوف الراوی حینما جاء إلی رسول الله فأخبره بأنّ الحُمُر قد فنیت، فأصدر النبی صلی الله علیه و آله و سلم عند ذلک أوامره بقلب القدور.

1- (1) الطبرانی فی الكبیر: ج 5 ص 316.

2- (2) مسلم: ج 3 ص 1540، البخاری: ج 5 ص 72.

وقد يقال بأنّ النبی کان بإمکانه أن یدعهم یأکلون ما وضعوه فی القدور ثمّ یأتی الأمر والنهی لهم بعدم الأکل فی المستقبل؟ وهنا یمکن أن یکون الجواب بأنّ هـذا النهی، وفی مثل تلک الظروف الصـعبة، حیث المخمصـة والأضـرار، له أبلغ الأثر فی التأکید علی المنع، بحیث لا یدعهم یمیلون بعدها إلی الإباحة. بل ربما یفهم من هذا الموقف أنّه صـلی الله علیه و آله و سلم قد أمر بذلک قبل هذه المرّة، ولمّا لم یجد اسـتجابة واضـحة، قام بهذا العمل بشکل لا یدع مجالاً للشکّ فی أنّ النبی لا یرید ذبح الحُمُر؛ لحاجتهم إلیها. وقد وردت روایة عن الإمام الباقر تعضد ما ذهبنا إلیه، حیث یقول:

«نهی رسول الله عنهـا یوم خیبر، وإنّمـا نهی عن أکلهـا فی ذلـک الوقت لأنهـا کـانت حمولـة النـاس وانما الحرام ما حرّم الله عزّ وجلّ فی القرآن»(1).

فإذا کان الأمر کـذلک، فتکون هـذه الروایـة للشـهید الکربلائی صـحیحة، ولکنّ النهی فیها یکون محمولاً علی الکراهة لا الحرمة، کما هو مشهور علمائنا. وقد جاء فی الروضة البهیة:

«یکره أکل الخیل والبغال والحمیر الأهلیة فی الأشهر وآکدها کراهةً البغل؛ لترکیبه من الفرس والحمار، وهما مکروهان، فجمع الکراهتین، ثمّ الحمار»(2).

1- (1) الکافی: ج 6 ص 246، علل الشرائع: ص 563.

2- (2) شرح اللمعة: ج 2 ص 277.

نعم، إلى هنا تكون روايـة الشـهيد موافقـة لروايات أهل البيت عليهم السـلام ومنسـجمة مع احكامهم، ولكنّ المدارس الأخرى لم يكتفوا بتحريمها تحريماً باتّاً، بل قالوا بأنّ النبى صـلى الله عليه و آله و سـلم نهى عن لحوم الحُمُر ونهى كـذلک عن الزواج المؤقّت، والـذى عرف (بالمتعة)، وذكروا فى ذلک روايات لا يمكن أن تصمد أمام البحث الموضوعى، من حيث عدم اعتبارها عندهم قبل كونها غير معتبرة عندنا. يقول أبو عمر بن عبد البرّ: «ذكر المتعة يوم خيبر غلط والأقرب أن يكون هذا من غلط ابن شهاب والله أعلم»(1).

وقال ابن القيّم: «قصّـة خيبر لـم يكن فيها الصـحابة يتمتّعون باليهوديات ولا اسـتأذنوا رسول الله فى ذلک، ولا نقله أحد قطّ فى هذه الغزوة، ولا كان للمتعة فيها ذكر البتّة، لا قولاً ولا تحريماً»(2).

نعم هم نسـبوا إلى على عليه السـلام قوله: «إنّ النبى صـلى الله عليه و آله و سلم نهى عن لحوم الحُمر ونهى عن المتعة»، وهذا لعمرک من اكبر العجب حيث إنّ المؤرّخين جميعاً نقلوا حـديثاً لعلى عليه السـلام يعترض فيه على عمر وعلى منعِهِ المتعة، حيث يقول: «لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شـقى»(3) ، ثمّ يكون هناک نـداء فى خيبر ولا يسـمعه إلا على ابن أبى طالب! وإذا كان الأمر كـذلک، فلم كتمه حتى على ولديه الحسن والحسين؟! ومن أراد المزيد فليرجع إلى مظانّه من الكتب الفقهية لعلمائنا الأعلام.

1- (1) التمهيد: ج 9 ص 99.

2- (2) زاد المعاد: ج 2 ص 143.

3- (3) تفسير الرازى: ج 10 ص 50، الدّر المنثور: ج 2 ص 140.

جهاده

لقـد كان للشـهيد الكربلائى دور بارز منـذ إسـلامه المبكر، قبل أن يصل النبى إلى المدينـة أو بعد وصوله مباشـرة، حيث آمن مع قومه كما تقـدّم، إذ وقـف إلى جـانب الرسـول الأـكرم صـلى اللـه عليه و آله و سـلم فى حروبه وغزواته، ولقـد أكّـد المؤرّخـون ومن ترجم للشـهيد الكربلاـئى، أنّه شارک فى خيبر وما بعـدها من المعارک، ابتـداءً من حنين وفتـح مكّـة والطائف وغيرها، وقـد أبلى فى هـذه المعارک البلاء الحسن، حتى قال عنه العلماء: «إنّه كان مجرّباً وشـجاعاً»(1) ، وكلّما كانت اشـتدّت الأحوال بالمسلمين وأخذت فرائص البعض وقلوبهم ترتعـد خوفاً، كان هو من الـذين يعيشون الثبات واليقين وعـدم الخوف، وبخاصّة حينما لازم إمامه على بن أبى طالب عليه السـلام، كيف لا وهو أوحـد زمانه فى الثبات والشـجاعة وقوّة القلب ورباطـة الجأش، لا يعبأ بالأعداء مهما نصـبوا له من غوائل مكرهم، وقد رآه وهو يجندل مرحبـاً فى تلـک الحرب الشـرسة، ثم زحف إلى حصون اليهود واقتلع بـاب خيبر، ويُنقـل أنّ مرحبـاً نزل وهو يقول: ن المبارز حيث جرت العادة ان تحصل هناک مبارزة فردية قبل بداية الهجوم، فنزل يقول:

قد علمت خيبر أنّى مرحبُ شاكى السلاح بطلٌ مجرَّبُ

يقول الطبرى فى تاريخه:

«عن بريـدة الأسـلمى قال: كان رسول الله حين نزل بحصن خيبر أعطى اللواء عمر بن الخطاب، ونهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر

1- (1) إبصار العين: ص 135.

وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله يجبّنه أصحابه ويجبّنهم، فقال عندها رسول الله: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، فلمّا كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر، فدعا علياً وهو أرمد، فتفل فى عينيه وأعطاه اللواء، ونهض معه من الناس من نهض، قال: فلقى أهل خيبر، فإذا مرحب يرتجز - وقد سمعت أرجوزته - فأجابه على عليه السلام:

أنا الذى سمّتنى أمى حيدرة أكيلكم بالسيف كيل السندرة

ليثٌ بغاباتٍ شديدٌ قسورة

فاختلف هو وعلىّ ضربتين، فضربه علىّ على هامته حتى غصّ السيف منها بأضراسه، وسمع أهل المعسكر صوت ضربته، فما تتامّ آخر الناس مع علىّ حتى فتح الله له ولهم»(1).

الشهيد الكربلائى وبيعة الشجرة (الرضوان)

وقد عدّ العلماء الشهيد الكربلائى من أصحاب بيعة الشجرة، والمعبّر عنها بيعة الرضوان، سنة 6 للهجرة، حينما أراد رسول الله أن يؤدّى العمرة، ولقد اكتسب من بايع من المسلمين رسول الله تحت الشجرة مكانة خاصّة، حيث إنّها كانت تمثّل التأييد والمؤازرة الكبيرة للنبى صلى الله عليه و آله و سلم، حيث عاهدوه على السمع والطاعة والقتال بين يديه حتى الموت، ولا شكّ أنّ لهؤلاء مزيّة السبق، إلاّ أنّنا قد نختلف مع من يصل به التقديس لأصحاب بيعة الشجرة إلى درجة أن يعطيهم صفة العدل، ويجعلهم من المغفور لهم والمرضى عنهم من قبل الله مهما فعلوا ومهما

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 3 ص 93، مسلم: ج 5 ص 195.

بدّلوا بعد ذلک، استناداً إلی قوله تعالی:

«لَقَدْ رَضِیَ اللّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِینَ إِذْ یُبایِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ 1» .

قـد نختلف مع من یـذهب به الغلوّ إلی هذا الحدّ ولکنّها لا شکّ فضـیلة لمن وفی ببیعته وثبت علیها ولم یخالف ولم ینکث، وکان مصداقاً لقول الله بعدها:

«وَ مَنْ أَوْفی بِما عاهَدَ عَلَیْهُ اللّهَ فَسَیُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً2» .

وکان الشـهید زاهر من أولئک الذین ثبتوا ولم یبدّلوا فی زمن رسول الله ولا بعده صلی الله علیه و آله و سلم، وکان لصحبته عمرو بن الحمق الخزاعی دور فی الوقوف بوجه الانحرافات التی دبّت فی جسد الأمة بعد رسول الله.

الشهید الکربلائی والثورة علی عثمان

وهنا ربما لا نجـد فی هـذه الحقبـة تحدیداً یشـیر إلی مکانه من الأحداث ومواقفه التاریخیة، ولکنّنا یمکن أن نلمسـها ونحسّ بها من خلال حرکـة صاحبه وصـدیقه الملازم له کظله عمرو بن الحمق الخزاعی، والـذی کان له دور کبیر فی الوقوف بوجه الفساد الکبیر الذی حصل فی زمن الخلیفة عثمان، والذی وصل إلی درجة أصـبح معها السکوت عنه یضرّ بالاسلام والمسلمین، فأخذ بتألیب المسلمین علیه وعلی بطانة السوء التی کانت تتحرّک تحت عباءته، وکان الشهید الکربلائی یضع قدمه حیث یضعها عمرو بن الحمق، وکان للشهید الکربلائی دور کبیر فی هذه الثورة، لأنّ عمرو بن الحمق الخزاعی کان له دور القیادة، حیث عُدّ

من جملة قيادات الثورة،(1) ولهـذا حينمـا جـاء زياد بن أبيه بعـد ذلک لـم يکن له همٌّ إلاّ طلبه، فخرج عمرو ومعه زاهر وجعلا يتنقّلان من مکان إلى مکان خشية أن يلقى زياد عليهما القبض(2). فخرجا من الکوفة إلى أن وصـلا إلى رجل مقعد کان أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبر عمرو بن الحمق أنّک ستمرّ به فتستسقيه فيسقيک، ويسألک عن شأنک، فأخبره وادعه إلى الإسلام، فإنّه سوف يسلم، وامسح بيدک على ورکيه فـإنّ الله يمسـح ما به وينهض قائماً فيتّبعک، وتمرّ برجل أعمى على ظهر الطريق، فتستسـقيه فيسـقيک ثمّ يسألک عن شأنک، فأخبره وادعه إلى الإسلام فإنّه يسلم، وامسح بيديک على عينيه فإنّ الله عزّ وجلّ يعيد إليه بصره، فيتّبعک. ففعل عمرو بن الحمق الخزاعى کلّ الذى قـاله له أمير المؤمنين، ولمّـا وصـلا قريبـاً من الحصن نزلا ثمّ دخلا إلى الغار، وانفلت فرس عمرو بن الحمق وذهب، فرآه القوم فقالوا: هـذا فرسه وهو قريب، فطلبه الرجال فأصابوه فى الغار. يقول صاحب شجرة طوبى:

«إنّ الحيّة نهشت عمرو بن الحمق الخزاعى فى الوادى فى جوف الليل فأصبح منتفخاً فقال: يا زاهر، تنحّ عنى، فإنّ حبيبى رسول الله أخبرنى أنّه سـيشترک فى دمى فسـقة من الإنس والجنّ (على أساس أنّ الحيّـة کانت من فسـقة الجنّ کما فى الروايـة) ولابـدّ لى أن أقتل، فبينما هما کذلک اذ رأيا نواصى الخيل فى طلب عمرو فقال: يا زاهر، تغيب فإذا قتلت فإنّهم سوف يأخذون رأسى، فإذا انصرفوا

1- (1) للمزيد راجع کتاب «وانحدر الجمل من السقيفة» للأستاذ نبيل فياض: ص 81.

2- (2) راجع کتاب صلح الإمام الحسن للسيد عبد الحسين شرف الدين: ص 345.

فاخرج إلى جسدى فواره، فقال له زاهر: لا، بل أنثر نبلى ثمّ أرميهم به، فإذا فنيت نبالى قتلت معک، قال: لا، بل تفعل ما سألتک ينفعک الله به، فاختفى زاهر. وأتى القوم فقتلوا عمراً واحتزّوا رأسه، فلمّا انصرفوا خرج زاهر فوارى جسده. فوفّق لمواراة جسد عمرو ودفنه»(1).

يقول الحائرى، بعد ذكره الرواية السابقة:

«ثمّ ساقته السعادة إلى أن رزق الشهادة فى نصرة الحسين، وبقى حتى قتل مع الحسين عليه السلام، والحجّة عج الله تعالى فرجه الشريف يسلّم عليه فى زيارة الناحية: السلام على زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعى.

وقول عمرو بن الحمق الخزاعى له: تفعل ما سألتک ينفعک الله به، إشارة إلى أنّک سترزق الشهادة فى مقام أحسن من هذا المقام، وهو طفّ كربلاء مع سيّد الشهداء عليه السلام فى نصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. نعم والله، فكأنّ الحسين كما هو سيّد الشهداء فكذلک أصحابه سادات الشهداء، وفى الخبر: الشهيد معه كالشهيد مع الأنبياء، مقبل غير مدبر، فطوبى لهم وحسن مآب».(2)

أولاده وأحفاده

لقد ذكر لنا التاريخ أنّ للشهيد الكربلائى ولداً اسمه مجزأة، وكان من جملة الرواة الثقات الذين نقلوا جملة من الأحاديث، حتى أنّ ابن حجر يقول فيه:

«مجزأة بفتح أوّله وسكون الجيم وفتح الزاى بعدها همزة مفتوحة، ابن زاهر

1- (1) شجرة طوبى للشيخ محمّد مهدى الحائرى: ج 1 ص 82-84 (بتصرّف يسير).
2- (2) نفس المصدر: ص 84.

ابن الأسود الأسلمی الکوفی، ثقة من الرابعة»(1).

ویقول البردیجی فی طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعین:

«مجزأة بن زاهر، یروی عنه رقیة بن مصقلة وشعبة الکوفی»(2). ولقد حفلت کتب الحدیث بروایات ولد الشهید الکربلائی، نحاول أن نسلط الأضواء علی بعضها:

أولاً: روی عنه مسلم فی صحیحه، فی باب ما یقوله عند الرکوع:

«عن مجزأة بن زاهر، عن عبد الله بن أبی أوفی، عن النبی صلی الله علیه و آله و سلم أنّه یقول:

«اللهمّ لک الحمد ملء السماوات ولک الحمدُ ملء الأرض وملء ما شئت من شیء بعد، اللهمّ طهّرنی بالثلج والبَرَد والماء البارد، اللهمّ طهّرنی من الذنوب والخطایا کما ینقّی الثوب الأبیض من الدنس».(3))

ثانیاً: یقول ابن حجر فی الإصابة:

«روی مجزأه بن زاهر، عن أبیه عن ناجیة بن جندب قال: أتیت النبی صلی الله علیه و آله و سلم حین صُدّ عن الهدی، قلت: یا رسول الله، إبعث معی بالهدی حتی أنحره فی الحرم، قال: وکیف تصنع؟ قال: قلت: أخذ فی أودیة لا یقدرون علیّ، قال: فدفعه إلیّ فنحرته فی الحرم».(4)

1- (1) تقریب التهذیب: ح 6485.

2- (2) ص 3.

3- (3) صحیح مسلم: ح 1097.

4- (4) الإصابة: ج 6 ح 8648.

ثالثاً: «عن مجزأة بن زاهر، عن رجل منهم من أصحاب الشجرة اسمه أهبان ابن أوس، وكان اشتكى ركبته، فكان اذا سجد جعل تحت ركبته وسادة».(1)

وينقل التأريخ أنّ للشهيد الكربلائى ولداً آخر اسمه سنان بن زاهر الأسلمى، وقد بذلت جهدى للحصول على معلومات حوله فلم أجد بحسب تتبّعى شيئاً، ولكنّى وجدت أنّ لسنان هذا حفيداً اسمه محمد، عرف بين الرواة بأنّه محمد بن سنان، حيث نسبوه إلى جدّه الأول الذى تربّى فى أحضانه بعد وفاة أبيه (الحسن ابن سنان) مبكّراً وربما نسبه بعضهم إلى الزاهرى، وذلك نسبةً إلى جدّه الثانى، وهو الشهيد الكربلائى، وقد اشتهر اسم هذا الراوى (محمد بن سنان الزاهرى) فى كتب الحديث، لكثرة رواياته عن أهل البيت، وفى مجالات مختلفة نذكر منها:

1. «روى ابن طاووس فى الإقبال، عن حفيد الشهيد الكربلائى، محمد بن سنان الزاهرى، عن الإمام الصادق، الدعاء المشهور الذى يدعى به فى غرّة رجب وفى كلّ يوم من أيّامه وهو قوله عليه السلام:

«خاب الوافدون على غيرك، وخسر المتعرّضون إلاّ لک، وضاع الملمّون إلاّ بک، وأجدب المنتجعون إلاّ من انتجع فضلک بابک مفتوح للراغبين، وخيرک مبذول للطالبين، وفضلک مباح للسائلين، ونيلک متاح للآملين، ورزقک مبسوط لمن عصاک، وحلمک معترض لمن ناواک، عادتک الإحسان إلى المسيئين، وسبيلک الإبقاء على المعتدين، اللهمّ فاهدنى هدى المهتدين،

1- (1) رواه البخارى فى صحيحه: ح 3940.

وارزقنی اجتهاد المجتهدین، ولا تجعلنی مع الغافلین المبعدین، واغفر لی یوم الدین».(1))

2. «محمد بن سنان قال: دخلت علی أبی الحسن موسی علیه السلام قبل أن یحمل إلی العراق بسنة، وعلی ابنه بین یدیه، فقال لی:

یـا محمـد، قلت: لبیک، قال: إنّه سـیکون فی هـذه السـنة حرکـة ولا تخرج منها، ثمّ أطرق ونکت الأرض بیـده ثمّ رفع رأسه إلیّ وهو یقول: ویضلّ الله الظالمین ویفعل الله ما یشاء، قلت: وما ذاک جعلت فداک؟ قال: من ظلم ابنی هذا حقّه وجحد إمامته من بعدی کان کمن ظلم علی بن أبی طالب حقه وإمامته من بعد محمد صلی الله علیه و آله و سلم، فعلمت أنّه قد نعی إلیّ نفسه ودلّ علی ابنه، فقلت: والله، لئن مدّ الله فی عمری لأسـلّمنّ إلیه حقّه، ولاقرّنّ له بالإمامة، وأشـهد أنّه حجّة الله من بعدک علی خلقه، والداعی إلی دینه، فقال لی: یا محمد، یمدُّ الله فی عمرک وتـدعو إلی إمامته وإمامة من یقوم مقامه من بعده، فقلت: ومن ذاک جعلت فداک؟ قال: محمد ابنه، قلت: بالرضا والتسـلیم، فقال: کـذلک وقد وجدتک فی صـحیفة أمیر المؤمنین، أما إنّک فی شـیعتنا أبین من البرق فی اللیلة الظلماء، ثم قال: یا محمد، إنّ المفضّـل أنسی ومستراحی، وأنت

1- (1) إقبال الأعمال لابن طاووس: ج 3 ص 209. مصباح المتهجّد: ج 2 ص 801.

أنسهما ومستراحهما، حرام على النار أن تمسّک أبداً».(1))

ولا شکّ ولا ریب أنّ هذه الروایة تدلّل وبشکل واضح، أنّ الرجل فی غایة الوثاقة والإیمان، وأنّه من الموالین حقّاً، حتی ورد عن الإمام الجواد علیه السلام فی حقّه مدح عظیم، وحتی قال السیّد الخوئی فی حقّه:

«المتحصّل أنّه کان من الموالین، وممّن یدین الله بموالاة أهل بیت نبیه صلی الله علیه و آله و سلم فهو ممدوح، فإن ثبت فیه شیء من المخالفة فقد زال ذلک، وقد رضی عنه المعصوم علیه السلام، ولأجل ذلک عدّه الشیخ ممّن کان ممدوحاً حسن الطریقة»(2).

وحتی من ضعّفه، ربما لأجل ما کان ینقله من علوم أهل البیت علیهم السلام. والتی لا یطیقها إلاّ الخواصّ، ولا یفهمها إلاّ من شرح الله صدره للإیمان، ومن ثم یُفتتن فیها الأعمّ الأغلب، فلا تحظی بالقبول، بل ترفض ویرفض معها الراوی، وربما لأجل ذلک یقول السیّد نعمة الله الجزائری: «إنّ أبا ذرّ لو علم کلّ ما علمه سلمان لم یمکنه کتمانه، فإذا أظهره قتله الناس، لعدم فهمهم لمعانیه، کما اتّفق ذلک فی کثیر من خواصّ أئمّة أهل البیت، کمحمد بن سنان، وجابر الجعفی، ممّن اتّهمهم أهل الرجال بالغلو وارتفاع القول، وذلک لأنّ الأئمّة علیهم السلام ألقوا إلیهم أسرار علومهم ما لم یعطوه أحداً غیرهم من الشیعة، فاستغرب الشیعة تلک الأخبار، لعدم موافقة غیرهم لهم علی روایتها، فطعنوا علیهم لهذا السبب».(3)

1- (1) معجم رجال الحدیث للسیّد الخوئی: ص 17، محمد بن سنان.

2- (2) نفس المصدر: ص 17، محمد بن سنان.

3- (3) الأنوار النعمانیة: ج 4 ص 31.

شهادته

عاش زاهر بعد صاحبه الشـهيد عمرو قرابة العشر سنين، قضاها متخفّياً ومتنقّلاً من بلدٍ إلى بلد، وهكذا حال الدنيا التى أبت إلاّ أن تكون دار بلاء للمؤمن. وشاءت الأقدار أن يلتقى زاهر بالحسـين عليه السـلام فى مكّة مع الحجيج، وإذا به يراه من بعيد فيتهلّل وجهه فرحاً وكأنّه على موعـدٍ مع الحبيب انتظره طويلاً، وأخـذا يتبادلان مشاعر الألم والحسـرة على ما أصاب الأمّة من سـطوة اللئام، وتسـلّط الطغاة من بنى أميّة وعلى رأسـهم يزيـد الفسق والفجور، وكشف الحسـين عليه السـلام لزاهر عن مشـروعه فى الثورة وإذا به يتهلّل وجهه من جديد، ويسـتقبل الخبر بالترحيب، ويعاهد الحسين عليه السلام على الخروج معه ونصرته، وبذل النفس والمال من أجله، وهكذا كان.

يقول المامقانى: «إنّ زاهراً حجّ سـنة ستّين للهجرة، فالتقى بالحسـين عليه السلام وصحبه، وكان ملازماً له حتى حضر معه كربلاء واستشهد بين يديه، وكانت شهادته فى الحملة الأولى»(1).

ومن ثم أبت نفسه الشـريفة على كبر سـنّه إلاّ أن تنال الشـهادة، فيختلط دمه مع تلك الـدماء الطاهرة التى سالت على أرض كربلاء، لتكون مناراً للسالكين فى الظلام، وطريقاً يسير عليه الأولياء، ومنهجاً يتمسك به المؤمنون، فسلام عليك يا زاهر، يا من أزهرت بموقفه يوم عاشوراء قلوب المؤمنين، السلام عليك أيّها العبد الصالح يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً.

1- (1) مستدركات علم رجال الحديث للشيخ على النمازى: ج 3 ص 416.

الشهيد يزيد بن مَغْفَل المزنى الأزدى عليه السلام

أسم الشهيد واسم أبيه ونسبه

اشارة

لقـد اتّفق العلماء على اسم الشـهيد وعلى اسم أبيه، واختلفوا فيما بينهم فى نسـبته، حيث ذهب بعضـهم إلى أنه جعفى مذحجى، كالسـيد الزنجانى فى وسيلة الدارين(1) ، والشيخ السماوى فى أنصار الحسين(2) ، وآخرين.

بينما ذهب آخرون إلى أنّه مزنى، كابن كثير، وأحمد فى مسنده(3).

وقد ذكر الطبرى وهو يتحدّث عن أحداث المختار وما صنعه مع قتلة الحسين عليه السلام بأنّه أزدى(4).

وانفرد ابن حجر فى نسبة الشهيد إلى أنّه عامرى(5).

1- (1) وسيلة الدارين: ص 214.

2- (2) أنصار الحسين: ص 120.

3- (3) ابن كثير فى البداية والنهاية: ج 8 تحت عنوان عبد الله بن معفل المزنى. مسند أحمد: ح 16184.

4- (4) تاريخ الطبرى، أحداث سنة 67 ح 6.

5- (5) الإصابة: ج 5 ص 9422.

وإن كان المشهور عنه فى كتب التاريخ والحديث أنّه المزنى، ممّا يقوّى هذه النسبة دون غيرها.

اللهمّ إلاّ أن يقال بأنّ جعفاً وعامراً ترجع إلى الأزد، فأطلق عليه تارة الجعفى وتارة العامرى والأزدى، وهو ممكن فى حدّ ذاته.

ولكنّنا سوف نميل إلى ما مال اليه جمهور العلماء من أنّه المزنى الأزدى، خصوصاً وأنّهم حينما يتحدّثون عن أبيه – كما سيأتينا – ينسبونه إلى المزنى كذلك، وهكذا إخوته، وعلى كلّ حال فإن الإنسان مهما نسب إلى ما نسب إليه، تبقى أعماله ومواقفه هى الرافعة أو الخافظة له دون قبيلته وعشيرته، وإن كان لهما دور فى صقل الشخصية وإعدادها سلباً أو إيجاباً.

ولقد تميّز الشهيد يزيد بن مَغْفَل المزنى بجملة من المواقف العظيمة، جعلت منه علماً من أعلام التاريخ وصانعاً من صنّاع الحياة، ويكفيه فخراً أن صار سلام المُسلّم على الحسين مقترناً بسلامه عليه، حين يقول: السلام على الحسين وعلى على بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين، ولكنّنا وقبل أن نسلّط الأضواء على هذه الشخصية الفذّة، نحاول أن نسلّط الأضواء على أسرته الكريمة صاحبة المبادئ والقيم، والتى عشقت الإسلام والرسالة عشقاً صادقاً وحقيقيّاً.

والد الشهيد

ورد فى ترجمة والد الشهيد الكربلائى أنّه كان صحابياً جليلاً محبّاً وعاشقاً لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، وأنّه دخل فى الإسلام واشترک مع رسول الله فى غزواته وحروبه،

ولكن حينما تجهّز هذا الوالد للذهاب مع رسول الله إلى فتح مكّة فى السنة الثامنة للهجرة، شاءت الأقدار لروحه أن تحلّق إلى بارئها، حيث أتته المنية قبل الفتح. يقول ابن حجر:

«مَغْفَل بن عبد نهم بن عفيف المزنى، والد عبد الله بن مَغْفَل الصحابى المشهور، وهو عمّ عبد الله ذى البجادين، ومات عام الفتح قبل دخولهم مكّة. ذكر ذلك أبو جعفر الطبرى»(1).

ولكنّى أقول، وإن مات مَغْفَل فى بداية الدعوة إلى الله ولم ير فتح مكّة، وكان يتمنّى أن يشارك فى تحرير بيت الله الحرام من الأرجاس والأوثان فقضى أجله قبل ذلك، فلقد ترك أولاداً وإخوة كان لهم دور كبير فى نصرة الإسلام والوقوف إلى جانب آل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، ابتداً من على عليه السلام إلى سيّد الشهداء ومن بعده.

عمّ الشهيد الكربلائى

اشارة

ينقل المؤرّخون أنّه كان للشهيد الكربلائى أعمام يُفتخر بهم وبمواقفهم، وتشرئبّ الأعناق لمواقفهم الصادقة وشجاعتهم المتميّزة، ومن هؤلاء الأعمام:

أولاً: عبد الله بن عبد نهم المعروف بذى البجادين

حيث ولد هذا الصحابى فى جبل ورقان، على يمين الراكب من المدينة المنورة إلى مكّة المكرمة، وكان اسمه «عبد العزّى»، ولد لأبوين فقيرين، ومات

1- (1) الإصابة: ج 6 ص 8173.

والـده وهو صـغير، ولكن كان له عمّ على قـدر كبير من الغنى والثراء، فتبنّاه وكفله عمّه، فلمّا قـدم رسول الله المدينـة جعلت تتوق نفسه إلى الإسلام وهو يتلقى الأخبار عنه من الناس، ولكنّه لا يقدر أن يسلم لأجل عمّه.

يقول المؤرّخون «بأنّ السـنين قد مضت، والمشاهد كلّها، وانصرف رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم راجعاً من فتح مكّة، وكان عبد الله قد ضاق ذرعاً بعمّه، فالتفت يوماً إلى عمّه وقال له: يا عمّ، لقد انتظرت إسلامک فلم أرک ترید محمداً، فأذن لی فی الإسلام، فقال: والله لئن اتّبعت محمـداً لاـ أترک بيـدک شـيئاً كنت أعطيتكه إلاّ نزعته منک، حتى ثوبيک، فقال: فأنا والله متّبع محمـداً وتارک عبادة الحجر والوثن، وهـذا مـا بيـدی فخـذه، فأخـذ كلّ ما أعطاه حتى جرّده من إزاره، فأتى أمّه فقطعت له بجاداً لها باثنين، فائتزر به وارتـدى الآخر، ثمّ أقبل إلى المدينة وكان ورقان، وهو جبل من جبال المدينة فاضـطجع فی المسـجد فی السـحر، فصلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الصبح، وكان من عادته أن يتصـفّح وجوه الناس اذا انصـرف من الصـلاة، فنظر اليه فأنكره فقال: من أنت؟ فانتسب له، وكان اسـمه عبد العزّى، فقال: أنت عبد الله ذو البجادين(1) ، ثمّ قال: انزل منّی قريباً، فكان فی ضـيافته يعلّمه القرآن، حتى قرأ قرآناً كثيراً، وكان رجلاً صَيّتاً، فكان يقوم فی المسـجد فيرفع صوته بالقراءة، فقال عمر: يا رسول الله، ألا تسـمع هذا الأعرابی يرفع صوته بالقرآن حتى منع الناس من القراءة، فقال: دعه يا عمر، فإنّه خرج مهاجراً إلى الله ورسوله»(2).

1- (1) البجاد: كساء غليظ.

2- (2) راجع سبل الهدى والرشاد للصالحی، ج 5، ص 459.

يقول الأدرع: «كنت أحرس النبى صلى الله عليه و آله و سلم، فخرج ذات ليلة لبعض حاجته قال: فرآنى فأخذ بيدى فانطلقنا فمررنا على رجل يصلّى يجهر بالقرآن، فقال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «عسى أن يكون مرائياً» قال: قلت: يا رسول الله، يصلّى يجهر بالقرآن! قال: فرفض يدى ثمّ قال: «إنّكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة». ثمّ خرج ذات ليلة وأنا أحرسه لبعض حاجته، فأخذ بيدى فمررنا على رجل يصلّى يجهر بالقرآن، فقلت عسى أن يكون مرائياً، فقال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: كلا، إنّه أوّاب، قال: فنظرت فإذا هو عبد الله ذو البجادين (عمّ الشهيد الكربلائى)».

ومع أنّ عمر ذى البجادين آنذاك لم يتجاوز الثمانى عشرة سنة، أى إنّه فى عمر الشباب، والإنسان عادة فى مثل هذا العمر يحلم ببناء مستقبله، من بيت وأسرة وأولاد وتجارة وما شاكل ذلک، ولكنّ هذا الشاب لم يكن ليهتمّ بذلک مطلقاً، بل كان همّه الشاغل هو حبّ الله ورسوله، الذى لم يدعه يهدأ، فكان بين الفينة والأخرى يطلب من الله أن يرزقه الشهادة فى سبيله.

وتمرّ الأيّام، وتأتى معركة تبوک، ويتجهّز المسلمون للقتال، صادف أنّ ذا البجادين كان مريضاً بالحمّى، ومع ذلک يلبس ملابس الحرب ويأتى إلى رسول الله ويطلب منه الإذن فى الذهاب معه إلى المعركة ويقول له: يا رسول الله، ادعُ الله لى بالشهادة.

فلمّا رآه النبى ربط على عضده عوذة وقال: اللهمّ إنّى أحرّم دمه على الكفّار، فقال: ليس هذا ما أردت يا رسول الله، فقال له النبى: إنّک إذا خرجت غازياً فأخذتک الحمى فقتلتک فأنت شهيد فلمّا سمع ذلک اطمأنّ ثمّ خرج معهم،

فلمّا نزلوا تبوک أقاموا بها أيّاماً أخذته خلالها الحمّى فتوفّى عبد الله.

وكـان بلالـ بن الحارث يقول: «حَضَرت مع رسول الله ومع بلال المؤذن شـعلة من النار، وإذا بأصـحاب رسول الله يحملون عبـد الله ذو البجادين، فصـنعوا له قبراً، وأخـذ النبى يجلس فيه وينام ويقرأ له القرآن، فلمّا أنزله إلى القبر التفت إلى أصـحابه وقال: ادنوا إلىّ أخاكم، فلمّا هيّأه لشقه ومستقرّه الأخير قال رسول الله: «اللهـمّ إنّى قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه».

يقول ابن مسـعود: «فتمنّيت أن أكون أنا صاحب الحفرة. وقـد اسـتدلّ بعضـهم من خلال هـذه الروايـة على جواز رفع اليدين بالدعاء، على أساس أنّ ابن مسـعود يُنقل عنه أنّه قال: رأيت رسول الله فى قبر عبد الله ذى البجادين. الحديث. وفيه: فلمّا فرغ من دفنه اسـتقبل القبلة رافعاً يديه».(1)

ثانياً: خزاعى بن عبد نهم بن عفيف بن سحيم

والذى هدم صـنمه بيده بعدما فكّر بأنّه حجارة لا تضـرّ ولا تنفع، وأقبل إلى النبى صـلى الله عليه و آله و سـلم مع قومه، وكان صاحب منزلة رفيعة بينهم. يقول ابن حجر:

قال ابن الكلبى: «هو أخو عبـد الله ذى البجادين لأبويه، وعمّ عبد الله بن مَغْفَل بن عبد نهم. وروى ابن شاهين من طريق ابن الكلبى: حدّثنا أبو مسكين وغيره، عن أشياخ لمزينة قالوا: كان لمزينة صنم يقال له نهم، وكان الذى يحجبه خزاعى بن عبد نهم المزنى، فكسر الصنم ولحق بالنبى وهو يقول:

ذهبتُ إلى نهمٍ لأذبحَ عنده عُتيرةَ نُسْكٍ كالذى كنتُ أفعلُ

1- (1) فتح البارى، باب الدعاء مستقبل القبلة: ح 5983.

وقلت لنفسی حین راجعت حزمها أهذا إلهٌ أبکمٌ لیس یعقلُ

أبیتُ فدینی الیوم دینُ محمّد إلهُ السماء الماجدُ المتفضّلُ

قال: فبایع النبی صلی الله علیه و آله و سلم، وبایعه عمّی مزینة، قال: وقدم معه عشرة من قومه، منهم عبد الله بن ذرّة وأبو أسماء والنعمان بن مقرن. وروی قاسم فی الدلائل، من طریق محمد بن سلام الجمحی، عن ابن دأب قال: وفد خزاعی بن أسود فأسلم، ووعد أن یأتی بقومه فأبطأ، فأمر النبی حسان بن ثابت فقال:

ألا أبلغ خزاعیّاً رسولاً فإنّ الغدر یغسلهُ الوفاءُ

فإنّک خیرُ عثمان بن عمرو وأسناها إذا ذُکر السناءُ

وبایعت النبیّ فکان خیراً إلی خیرٍ وأدّاک الثراءُ

فما یُعجزْک أو ما لا تُطِقْهُ من الأشیاء لا یعجز عُداءُ

یعنی قبیلته. قال: فلمّا سمع ذلک أقبل إلی النبی صلی الله علیه و آله و سلم وهم معه فأسلموا، وقوله: خزاعی بن أسود، غلط، وإنّما هو خزاعی بن عبد نهم، قال ابن سعد فی الطبقات اخبرنا هشام بن الکلبی أخبرنا أبو مسکین وأبو عبد الرحمن العجلانی قالا: قدم علی رسول الله نفر من مزینة، منهم خزاعی بن عبد نهم، فبایعه علی قومه ومعه عشرة، فذکر القصّة والشعر، وزاد: فیهم بلال بن الحارث وبشر بن المحتفز، وزاد: فقام خزاعی بن عبد نهم فقال: یا قوم، قد خصّکم شاعر الرجل، فأنشدکم الله، فأطاعوه وأسلموا وقدموا علی رسول الله، قال: وأعطی رسول الله لواء مزینة یوم الفتح لخزاعی هذا، وکانوا یومئذ ألف رجل. قال ابن سعد: وزاد غیره: فیهم دکین بن سعد. وذکر المرزبانی هذه القصّة مطوّلة ودلّ شعر حسّان علی أنّ عدیّ هذا یُمدّ، والله أعلم»(1).

1- (1) الإصابة لابن حجر: ج 2 ص 2250.

وأنت ترى بعـد مـا سـمعت نتفـاً من أخبـار أبيه وأعمامه وكيف كانوا من أهل البصـيرة والوعى، بحيث إنّهم انقلبوا على أعرافهم وتقاليـدهم السائدة، والتى كانت تمثّل بالنسـبة اليهم عقائد يصـعب تجاوزها، بل إنّ تجاوزها يعنى تجاوز شـرع الآباء والأجداد، بينما نرى والد الشهيد من السـبّاقين، إلى الإسـلام، وأعمامه من المتفانين فى الدعوة إليه، حتى أنّ خزاعياً كسـر صنمه بيده، ولا شكّ أن هذا يوحى وبشكل واضح إلى أنّه كان يحمل عقلاً كاملاً وعزماً ثاقباً، وحكمة وبصيرة.

إخوة الشهيد

كان قـد تربّى فى هـذا البيت العامر بالإيمان، رجالٌ صـدقوا ما عاهـدوا الله عليه، ولقد علم الله ما فى قلوبهم من الصدق والولاء، فهيّأ لهم أسـباب السـعادة فى الـدارين والتوفيق فى مختلف المجالات العلميـة والجهاديـة والإيمانيـة وغيرها، ومن هؤلاء الذين خرّجهم هذا البيت الإيمانى هو عبـد الله بن مَغْفَل المزنى الـذى عـدّه كثير من المؤرّخين بأنّه كان من البكّائين، ومن مشاهير الصـحابة، حتى أنّ ابن حجر فى الإصابة يقول عنه:

«قال البخارى: له صحبة، سكن البصرة، وهو أحد البكّائين فى غزوة تبوك، وشهد بيعة الشجرة. ثبت ذلک فى الصحيح»(1).

ولهؤلاء البكّائين قصّة جميلة فيها عظة وعبرة، نذكرها كما ذكرها كثير من المؤرّخين والمفسّرين فى خصوص قوله تعالى:

1- (1) الإصابة: ج 4 ح 4975.

«وَ لا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْکَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُکُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونکَ وَ هُمْ أَغْنِياءُ رَضُوا بِأَنْ يَکُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ وَ طَبَعَ اللّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ 1» .

قال ابن كثير:

«والمقصود ذكر البكّائين الـذين جاءوا إلى رسول الله ليحملهم حتى يصـحبوه فى غزوته هذه، فلم يجدوا عنده من الظهر ما يحملهم عليه، فرجعوا وهم يبكون تأسّفاً على ما فاتهم من الجهاد فى سبيل الله والنفقة فيه. قال ابن إسحاق: وكانوا سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، فمن بنى عمرو بن عوف: سالم بن عمير، وعَلَبـة بن زيـد أخو بنى حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب اخو بنى مازن بن النجار، وعمرو بن الحمام بن الجموح أخو بنى سـلمة، وعبد الله بن المَغْفَل المزنى، وبعض الناس يقولون: بل هو عبد الله بن عمرو المزنى، وهرمى بن عبد الله أخو نبى واقف، وعرباض بن ساريـة الفزارى. قال ابن إسـحاق: فبلغنى أنّ ابن يامين بن عمير بن كعب النضـرى، لقى أبا ليلى وعبد الله بن مَغْفَل وهمـا يبكيان، فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله ليحملنا فلم نجـد عنـده ما يحملنا عليه، وليس عنـدنا ما نتقوّى به على الخروج معه، فأعطاهما ناضحاً فارتحلاه، وزوّدهما شيئاً من تمر، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم»(1).

1- (2) ابن كثير فى البداية والنهاية: ج 5، فصل فيمن تخلّف معذوراً من البكائين وغيرهم.

وأنا أقرأ هذه الرواية عن أخی الشـهید الکربلائی تذکّرت تلک الآیة الکریمة التی تتحدّث عن المعذّرین، والأعذار التی کان بعضـهم یقدّمها للنبی من أجل أن لا یخرج إلی الحرب، فضـلاً عن أولئک الـذین کانوا لا یملکون أعـذاراً، ولکنّهم کانوا یتحجّجون بأعذار کاذبة للفرار من القتال. یقول الله تعالی:

«وَ جاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرابِ لِیُؤْذَنَ لَهُمْ وَ قَعَدَ الَّذِینَ کَذَبُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ سَیُصِیبُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ 1» .

بینما نجد أنّ عبد الله بن مَغْفَل یبکی حسـرة وأسـیً لأنّه لم یخرج مع رسول الله للحرب، مع أنّه کان یملک عذراً مشروعاً مقبولاً، ولأنّه کان صادقـاً فی مشـاعره وایمـانه وحبّه لله ورسوله، وفّق للجهاد بین یـدی رسول الله حین هیّأ الله له من یهیّئ له زاده وراحلته، وکان عبـد الله بن مَغْفَل من أصـحاب بیعة الشـجرة، وکان لقربه من رسول الله أن کان من الذین رفعوا عن رسول الله صـلی الله علیه و آله و سلم أغصان تلک الشـجرة، فقد نقل هو عن نفسه «إنّنی کنت لمن الأشـخاص الذین رفعوا عن رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم أغصان تلک الشجرة فی ذلک الیوم».(1)

وینقل الذهبی، عن خزاعی بن زیاد المزنی قوله:

«أری عبد الله بن مَغْفَل رضی الله عنه أنّ الساعة قد قامت، وأنّ الناس قد حشروا، وثمّ فکان من جازه فقد نجا، وعلیه عارض، فقال لی قائل: أترید أن تنجو وعندک ما عندک؟ یقول: فاستیقظت فزعاً، فأیقظ أهله، وعنده عیبة مملوءة بالدنانیر ففرّقها

1- (2) سیر أعلام النبلاء: ج 2 ص 484.

كلها»(1).

وقف عبد الله إلى جانب أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى حروبه كلّها، ثمّ سكن البصرة وظلّ فيها إلى أن جاءه الأجل، وقد أوصى أصحابه أن لا يصلّى عليه ابن زياد، وأن يصلّى عليه أبو برزة الأسلمى (وهو من شيعة الإمام على) وجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، وفعلاً فقد غُسّل وكفّن، «فلمّا أخرجوه من الدار واذا بابن زياد قد حضر فقالوا له: لقد أوصى بأن لا تصلّى عليه، ثمّ صلّى عليه أبو برزة الأسلمى، ثمّ خرجوا لتشييعه، واذا بابن زياد يمشى فى جنازته، فسار معه حتى بلغ حدّ البيضاء، فمال إلى البيضاء وتركه. وكانت وفاته آخر خلافة معاوية، سنة 59 ه -، كما يؤكّد على ذلك ابن حجر فى الإصابة».(2)

أولاد الشهيد

اشارة

كان للشهيد الكربلائى أولاد تميّزوا بمواقفهم الجريئة وملكاتهم العالية، ممّا أهّلهم لأن يلعبوا أدواراً مهمّة فى الحياة الاجتماعية والسياسية والجهادية، فضلاً عن العلمية والثقافية، ولئن كان التاريخ ظالماً لهم ولأمثالهم فى عدم تسليط الضوء على ما قدّموه من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين، بينما أخذت الأقلام تكتب وبإفراط عن المغنّين والراقصات ونظائرهم، ولكن مع كلّ هذا الظلم، فإنّ الحقّ لابد أن يترك أثره، لتكون لله الحجة الكاملة على الخلق من خلاله، ومن هنا فقد بذلنا جهداً ليس بالقليل من أجل تتبّع آثار أولاد الشهيد وما قاموا به، فاتّضح أنّ

1- (1) سير اعلام النبلاء: ج 2 ص 48.

2- (2) الإصابة: ج 4 ح 4975.

للشهيد ولدين هما:

أ. عبد الله بن يزيد بن مَغفَل الأزدى

لقـد شارک هـذا البرعم الإيمانى المفعم بولاء أهل البيت فى الوقوف بوجه النظام الأموى الظالم، وخصوصاً بعـد واقعة كربلاء، وكان ذلک من خلال مشاركته وبشكل واضح فى ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فى سنة 81 ه -.

هذه الثورة التى قَضَّت مضـجع الحجّاج وعبد الملک بن مروان، بل وكافّة بنى أميّة، نتيجة لقوّتها واتّساعها، والأهمّية السياسـية والاجتماعية والدينيـة لمن اشترک فيها، فقـد اشترک فى هذه الثورة المئات، بل الآلاف من القراء والعلماء والفقهاء، حتى عرفت فى التاريخ بثورة القرّاء أو الفقهاء.

ولكبير أثر هـذه الثورة على بنى أميّـة أرسـل عبـد الملـک بن مروان إلى قادتها يعرض عليهم عزل الحجّاج عن ولايته، وتسـليمها لآخرين، ولكنّهم رفضوا، لأنّ الظلم إنّما هو بسبب تسلّط بنى أميّة على الحكم، وتعدّيهم الحدود، وانتهاكهم حرمات الناس وكراماتهم.

ولقد كان المشاركون فى هذه الثورة معظمهم من الشيعة، ومن علماء وفقهاء وشخصيّات مرموقة ممّن عرفوا بتشيّعهم وولائهم لأهل البيت عليهم السـلام أمثال كميل بن زياد وسـعيد بن جبير وآخرين، وهذا فى حدّ ذاته دليل واضح يردّ على مزاعم من يدعى أنّ الشـيعة بعد واقعة كربلاء تركوا العمل الجهادى واتّجهوا إلى العمل السرّى.

فهذا سعيد بن جبير، وهو من خيرة فقهاء الشيعة، الموالين لأهل البيت عليهم السلام،

بل كما يعبّر عنه بأنّه فقيه الفقهاء، قـد اشترک فی هـذه الثورة، ووقف إلی جانب الثوّار، وکان وجوده وأمثاله، دافعاً للناس إلی الانضـمام لها، حتی قـدّر بعض المؤرّخین عـدد من اشترک فی ثورة ابن الأشـعث بمئـات الآلاـف، ولولاـوقوع بعض الأخطـاء لآـتت هـذه الثورة أکلها، ولاستطاعت أن تطیح بعرش بنی أمیّة.

ولقد کان من جملة شخصـیّات هذه الثورة عبد الله بن یزید بن مَغْفَل الأزدی، الذی کان له دور مهـمّ فی نصـرة ابن الأشـعث ضدّ بنی أمیّة، حیث بقی إلی جـانبه طیلـة الثلاـث أو الأربع سـنوات التی دامت خلالها الثورة، إلی أن بانت معالم الفشل فیها، وأخـذ الناس بعـد أن قتل الفقهاء والعلماء فیها، یفرّ الواحد بعد الآخر.

یقول الطبری:

«وصـعد عبد الرحمن بن الأشـعث المنبر، وأخذ ینادی فی الناس: عباد الله، إنّی أنا ابن محمد، فأتاه عبد الله بن رزام الحارثی فوقف تحت منبره، وجاء عبـد الله بن ذؤاب السـلمی فی خیل له فوقف منه قریباً، وثبت حتی دنا منه أهل الشام، فأخذت نبلهم تحوزه، فقال: یا بن رزام، احمل علی هـذه الخیل والرجال، فحمل علیهم حتی أمعنوا، ثمّ جاءت خیل أخری ورجال، فقال: احمل علیهم یا بن ذؤاب، فحمل علیهم حتی أمعنوا، وثبت لا یبرح منبره، ودخل أهل الشام العسـکر، فکبّروا فصـعد الیه عبد الله بن یزید بن مَغْفَل الأزدی، وکانت ملیکة ابنة أخیه امرأة عبد الرحمن، فقال: انزل فإنّی أخاف علیک إن لم تنزل أن تؤسر، ولعلّک إن

انصرفت أن تجمع لهم جمعاً يهلكهم الله به بعد اليوم»(1).

فمع أنّ جيش الشام دخل إلى الكوفة، والناس قد تفرّقت يميناً وشمالاً، نجد أنّ ولد الشهيد الكربلائی لم يضعف ولم يترک الجهاد، ولم يفرّ كما فرّ الآخرون، بل يبقى مصرّاً على الثورة، ويطلب من ابن الأشعث أن ينزل ويختبئ فی مكان ما من أجل إعداد العدّة مرّة أخرى للانقضاض عليهم.

ويبدو أنّ عبد الرحمن بن الأشعث قد عمل بهذه النصيحة حيث ذهب إلى بلاد الملک رتبيل، ودخل فی جواره وأكرمه رتبيل وعظّمه، وأقام بخراسان مجموعة كبيرة من جيشه، وكتبوا اليه أن يقدم عليهم ليعيد الكرّة على الحجّاج، ولكن جهودهم لم يكتب لها النجاح، وعاد عبد الرحمن بن الاشعث إلى الملک رتبيل وأقام عنده، وأخذ الحجّاج يتتبّع من خرج ضدّه من أعوان ابن الأشعث وأمعن فيهم فی القتل، حتى قيل أنّه قتل منهم بين يديه ما قارب مائة وثلاثين ألفاً، آخرهم سعيد بن جبير.

ثم أرسل الحجّاج إلى رتبيل يتوعّده ويتهدّده لكی يبعث اليه بابن الأشعث، ولمّا علم ابن الأشعث بأنّ رتبيل سيغدر به رمی بنفسه من القصر فمات، فقطع رتبيل رأسه فأرسله إلى الحجّاج، وقام الحجّاج بإرساله إلى عبد الملک بن مروان سنة 85 ه‍ -.

ب. سفيان بن يزيد بن مَغفَل الأزدی

وهذا ولد آخر من أولاد الشهيد الكربلائی، وكان له دور كبير وأساس فی

1- (1) تاريخ الطبری: ج 6، ذكر أحداث سنة 83 ه‍ - ص 1495.

الأخـذ بثأر الحسـين وأهل بيته واصـحابه من خلال وقوفه إلى جانب المختار فى ثورته، حيث تتبّع قتلـة الحسـين واحداً بعد الآخر، إلى أن وصل الأمر إلى عبيد الله ابن زياد، فجهّز المختار جيشاً كبيراً بقيادة إبراهيم بن مالک الأشتر، وكان أحد قوّاده الرئيسـيين سـفيان ابن الشهيد الكربلائى يزيد بن مَغْفَل الأزدى، وينقل الطبرى فى تاريخه تفاصـيل هذه الواقعة التى آتت أكلها، ورجع إبراهيم بن مالک الأشتر ومن معه إلى الكوفة، ومعهم رأس عبيد الله بن زياد، حيث يقول فى ذكر أحداث سنة 67 ه -:

«فمّما كان فيها من ذلک، مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام، يقول أبو مخنف: حدّثنى أبو الصلت، عن أبى سعيد الصيقل قال: مضينا مع إبراهيم بن مالک الأشتر ونحن نريد عبيد الله بن زياد ومن معه من أهل الشام، فخرجنا مسرعين لا ننثنى نريد أن نلقاه قبل ان يدخل أرض العراق قال: فسبقناه إلى تخوم أرض العراق سبقاً بعيداً ووغلنا فى أرض الموصل، فتعجّلنا اليه وأسرعنا السير فنلقاه فى خازر إلى حيث قرية يقال لها باربيثا، بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ.

وكان ابن الأشتر قد جعل على مقدّمتة الطفيل بن لقيط، من وهبيل من النخع - رجلاً من قومه - وكان شجاعاً بئيساً، فلمّا أن دنا من ابن زياد ضمّ حميـد بن حريث اليه، وأخـذ ابن الأـشتر لا يسـير إلاّ على تعبيـة، وضمّ أصـحابه كلّهم اليه بخيله ورجاله، فأخـذ يسـير بهم جميعاً لا يفرّقهم، إلاّ أنّه يبعث الطفيل بن لقيط فى الطلائع، حتى نزل تلک القرية.

ص:169

قـال: وجـاء عبيـد الله بن زيـاد حتى نزل قريباً منهم على شاطئ نهر خازر، وأرسل عمير بن الحباب السـلمى إلى ابن الأشتر أنّى معک، وأنا أريد الليلة لقاءک، فأرسل اليه ابن الأشتر أن القنى إن شـئت، وكانت قيس كلّها بالجزيرة، فهم أهل خلاف لمروان وآل مروان، وجنّد مروان حينئـد كلب، وصـاحبهم ابن بجـدل، فأتـاه عمير ليلاً فبايعه، وأخبره أنّه على ميسـرة صاحبه، وواعـده أن ينهزم بالناس، وقال ابن الأشتر: ما رأيک؟ أخندق على نفسى واتلوم يومين أو ثلاثة؟ قال عمير ابن الحباب: لا تفعل، إنّا لله! هل يريد القوم إلاّ هذه؟! إن طاولوک وماطلوک فهو خير لهم، هم كثير أضـعافكم، وليس يطيق القليـل الكثير فى المطاولـة، ولكن نـاجز القوم فإنّهم قـد ملئوا منكم رعباً، فأتهم فإنّهم إن شاموا أصحابک وقاتلوهم يوماً بعد يوم ومرّة بعد مرّة، أنسوا بهم واجترأوا عليهم.

قال إبراهيم: الآن علمت أنّک لى ناصـح، صـدقت، الرأى ما رأيت أمّا إنّ صاحبى بهذا أوصانى وبهذا أمرنى، قال عمير: فلا تعدون رأيه، فإنّ الشيخ قد ضرّسته الحروب وقاسى منها ما لم تُقاسِ، ثمّ إنّ عميراً انصرف.

وأذكى ابن الأشتر حرسه تلک الليلة، الليل كله ولم يدخل عينه غمض، حتى اذا كان فى السـحر الأول عبّأ أصحابه وكتّب كتائبه وأمّر أُمراءه، فبعث سفيان ابن يزيد بن مَغْفَل الأزدى على ميمنته، وعلى بن مالک الجشمى على ميسرته، وهو أخو أبى الأحوص، وبعث عبد الرحمن بن عبد الله، وهذا أخو إبراهيم الأشتر لأمّه، على الخيل، وكانت خيله قليلة، فضمّها إليه وكانت فى الميمنة والقلب،

وجعل على رجّالته الطفيل بن لقيط، وكانت رايته مع مزاحم بن مالک»(1).

ويقول فی موضع آخر، وهو يتحدّث عمّن قتل مَنْ؟: يقول أبو مخنف: «حدّثنی فضل بن صريح قال: قتل شرحبيل بن ذی الكلاع وادّعی قتله ثلاثة، أولهم سفيان بن يزيد بن مَغْفَل الأزدی»(2).

وعلى كلّ حال، فقد انتهت المعركة بقتل عبيد الله بن زياد شرّ قتلة من قبل ابن الأشتر، واحتزّ رأسه وجاء به إلى المختار.

حفيد الشهيد الكربلائی

لقد كان لحفيد الشهيد الكربلائی عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المَغْفَل الأزدی دور كبير فی الخروج على بنی مروان، خصوصاً سليمان بن عبـد الملـک وحزبه الظـالم، حيث لم يطق أن يرى الظلم أمـامه ويسـكت، وهو من بيت عرف بالجهاد والطاعـة لله ولرسوله، وهو ممّن لا تأخذهم فی الله لومة لائم، كما كان جدّه وأبوه صاحب الموقف المشـرّف فی طلب الثأر لشـهداء كربلاء، ولذا فإنّ هذه الفئة الضالّة المضلّة لابدّ أن تنتهی ويقضی عليها.

وإذا كـان هـذا الأمر عسـيراً فلا أقلّ من أن تسـمع الناس بأنّ هناک فی الأمّـة من يعارض ومن يقف بوجه الظلم الأموی، ولهـذا تراه يتحيّن الفرص من أجل الخروج وتعبئة الناس فی هذا الاتّجاه.

وبينما هو فی تلک الحال اذ بانت علائم خروج يزيد بن المهلّب على

1- (1) تاريخ الطبری: ج 6، أحداث سنة 67 ه -.

2- (2) تاريخ الطبری: ج 6، أحداث سنة 67 ه -.

سليمـان بن عبـد الملـک، فأقبـل اليه مع مجموعـة ممّن عرفوا بالموالاـة لأهـل البيت، أمثال النعمان بن إبراهيم بن مالک الأشتر وآخرين، ومعهم الأـلوف ممّن يشـاطرهم الرأى، ولمّـا رآهم يزيـد فرح فرحـاً شديـداً وجعلهم قادة أساسـيّين فى حربه ضـدّ المروانيّين، لشـجاعتهم المشهودة وصدقهم فى مناهضة هذا الحكم الظالم.

يقول الطبرى فى هذا المجال: «وسـقط إلى يزيد ناس من الكوفة كثير، ومن الجبال، وأقبل اليه ناس من الثغور، فبعث على أرباع أهل الكوفة الـذين خرجوا اليه، وربع أهل المدينـة عبد الله بن سـفيان بن يزيد بن المَغْفَل الأزدى، وبعث على ربع مذحج وأسد النعمان بن إبراهيم بن مالک الأشتر النخعى، وبعث على ربع كنـدة وربيعـة محمـد بن إسـحاق بن محمد بن الأشـعث، وبعث على ربع تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمى، وجمعهم جميعاً مع المفضل بن المهلّب»(1).

ولكنّ المعركـة وإن انتهت إلى غير مـا كـان يتوقّعه ويـأمله الثائرون، إلاّ أنّ العبرة بكسـر حاجز الخوف، والوقوف بوجه هـذه الجرثومـة التى أخـذت تعيث فى جسـد الأمّة الإسـلامية فساداً، والتى اذا ما تركت دون مقاومة ورفض فإنّها سوف تأتى على كلّ هذا الجسد، فلا تجد ثمّة صلاة ولا صياماً ولا حجّاً ولا أمراً بالمعروف ولا نهياً عن المنكر، وكذا المبادئ والقيم كانت ستضيع، ولن يبقى منها إلاّ ما كان موافقاً للطبع المنكوس للبيت الأموى المروانى، فيكون الإسلام على إثرها إسلام بنى أميّة وليس إسلام رسول الله.

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 5 ص 338-339.

ولذلک فإنّ هذه الثورات حتی و إن لم تحقّق نصراً میدانیاً، إلاّ أنّها حملت رسالة مفادها عدم شرعیة هذه الدولة، وأنّ علی أحرار الأمّة تقع مسؤولیة التغییر مهما کان الثمن، متّکلین علی الله وتارکین الیه عواقب الأمور.

الشهید الکربلائی مع علی علیه السلام

حینما نقرأ عن حیاة هذا الشهید ومواقفه بحسب الروایات المتناثرة فی کتب التاریخ، والتی یصعب جمعها، نجد أنّ لهذا الشهید مواقف عظیمة منذ زمن رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم حینما أدرکه وهو فی مقتبل العمر، واستمرت مواقفه مع أمیر المؤمنین فی أکثر من معرکة، حتی سقط فی إحدی معارک أمیر المؤمنین جریحاً، کما تنادی الناس فی وقتها، وکما سیأتینا لاحقاً، ثمّ مع ولده الحسن، ثمّ ختمها مع سیّد الشهداء بشهادة جعلت روحه تخلد بخلود الحسین وثورته. وسوف نذکر بعضاً منها:

أولاً: موقفه مع علی علیه السلام فی حربه ضدّ الخوارج: تمیّز موقف الشهید فی حرب الخوارج بأنّه کان مصداقاً لقول الله تعالی:

«إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ 1» .

حیث شهد له الأبطال – کما سیأتینا – بأنّه کان یعدل فی قتاله عشرة، حیث کان اذا وقف أمام عشرة قاتلهم فی وقت واحد وانتصر علیهم، لاسیما مع الخوارج الذین عرفوا بالقسوة والغلظة والشدّة والتحجّر و إشاعة الرعب والخوف

فی نفوس المسلمین.

ولهـذا کـان الإمـام علیه السـلام بحاجـة إلی مقـاتلین أشـداء أبطال شـجعان لیتمکّن من مواجهتهم والقضاء علیهم، وینقل التاریـخ لنا بأنّ الخوارج قـاموا بالإغارة علی بعض المناطق التابعـة لأمیر المؤمنین فی منطقـة هیت وما حولها، وقتلوا بعض المسـلمین هناک، فکتب والی أمیر المؤمنین قرظـة بن کعب الأنصاری إلی الإمام وأعلمه بأمر هؤلاء الجماعـة وما صـنعوا من جرائم، وأنّهم علی ما نُقل الینا فی قریة یقال لها «نفرّ». یقول الطبری:

«قال أبو مخنف وحدّثنی أبو الصـلت الأعور التیمی عن أبی سـعید العقیلی عن عبد الله بن وائل قال: کتب علی علیه السـلام معی کتاباً إلی زیاد بن خصفة وأنا یومئذ شابّ حدث: أمّا بعد، فإنّی کنت أمرتک أن تنزل دیر أبی موسی حتی یأتیک أمری، وذلک لأنّی لـم أکن علمت إلی أیّ وجه توجّه القوم (یقصـد الإمام جماعة الخوارج) وقد بلغنی أنّهم أخذوا نحو قریة یقال لها «نفر» فاتبع آثارهم وسل عنهم، فإنّهم قد قتلوا رجلاً من أهل السواد مصـلیاً، فإذا أنت لحقتهم فأرددهم إلیّ، فإن أبوا فناجزهم، واسـتعن بالله علیهم فإنّهم قـد فارقوا الحقّ وسـفکوا الـدم الحرام وأخافوا السبیل، والسلام».

فقلت: یا أمیر المؤمنین، ألا أمضـی مع زیاد بن خصفة اذا دفعت الیه کتابک إلی عدوک، فقال: یا بن أخی، إفعل، فوالله إنّی لأرجو أن تکون من أعوانی علی الحقّ وأنصاری علی القوم الظالمین، فقلت له: أنا والله یا أمیر المؤمنین کـذلک ومن أولئک، وأنا حیث تحبّ، قال ابن وائل: فو الله ما أحبّ أن لی بمقالة علیّ

تلک حُمُر النعم، ثمّ يقول: مضيت إلى زياد بن خصفة بكتاب على عليه السلام فقال لى زياد: يا بن أخى، والله ما لى عنک غناء، وإنّى لأحبّ أن تكون معى فى وجهى هذا، فقلت: قد استأذنت أمير المؤمنين فى ذلک فأذن لى فسرّ بذلک(1).

وذكر الطبرى كيف التقى الجمعان وكيف حاول وفد أمير المؤمنين، على عادته الإسلامية فى التمسّک بالمثل العليا، أن يجعلوا بينهم حواراً قبل أن يبدأ القتال، فتحدّث زياد بن خصفة مع الخرّيت بن راشد الخارجى، وكان رئيسهم.

يقول الطبرى:

«فقال له زياد: ما الذى نقمتموه على أمير المؤمنين وعلينا إذ فارقتنا؟ فقال: لم أرض صاحبكم إماما ولم أرض سيرتكم سيرة، فرأيت أن أعتزل وأكون مع من يدعو إلى الشورى من الناس، فإذا اجتمع الناس على رجل لجميع الأمّة رضى كنت معهم.

فقال له زياد: ويحک! وهل يجتمع الناس على رجل منهم يدانى صاحبک الذى فارقته علماً بالله وبسنن الله وكتابه، مع قرابته من الرسول وسابقته فى الإسلام؟! فقال: ذلک ما أقول لک. فقال له زياد: ففيم قتلتم ذلک الرجل المسلم؟ قال: ما أنا قتلته، إنّما قتلته طائفة من أصحابى. قال: فادفعهم الينا، قال ما إلى ذلک من سبيل. قال: كذلک أنت فاعل؟ قال: هو ما تسمع»(2).

ثمّ ذكر الطبرى الواقعة بالتفصيل، حيث التقى الفريقان ودارت بينهم حرب

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 4، ص 9.

2- (2) تاريخ الطبرى: ج 4 ص 95.

شرسة، من أول النهار حتى الليل، ثمّ هرب الخوارج إلى جهة البصرة وتبعهم أصحاب أمير المؤمنين.

يقول زياد: فلمّا وصلنا إلى هناک، بلغنا أنّهم ذهبوا إلى جهة الأهواز، فكتبت إلى أمير المؤمنين ما جرى بيننا وبينهم من الحوار والقتال، وإنّنا الآن نداوى جراحنا فى البصرة، وهم ذهبوا إلى جهة الأهواز.

وفى هـذا الظرف الخاصّ الـذى يحتاج فيه أمير المؤمنين إلى الرجال للقضاء على هـذه الفئـة الضالّـة لم يجد بدّاً من أن يقرأ كتاب زياد بن خصـفة على مسامع المؤمنين فى الكوفـة حتى يضـعهم أمام الأمر الواقع خصوصاً بعـد وصول الأخبار بالتحاق مئتين من الخوارج بهم من الكوفة. يقول الطبرى، وهو يتحدث عمّا جرى بعد وصول الكتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام واطّلاع الأصحاب عليه:

«فقام اليه معقل بن قيس فقال: أصلحک الله يا أمير المؤمنين، إنّما كان ينبغى أن يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كلّ رجل منهم عشرة من المسـلمين، فإذا لحقوهم استأصـلوهم وقطعوا دابرهم - إلى قوله - فقال - يعنى أمير المؤمنين عليه السـلام -: تجهّز يا معقل إليهم، وندب معه ألفين من أهـل الكوفـة منهم يزيـد بن مغفّـل الأـزدى، وكتب إلى ابن عبـاس: أمّـا بعـد، فابعث رجلاً من قبلک صـلباً شـجاعاً معروفاً بالصلاح، فى ألفى رجل فليتبع معقلاً»(1).

ودعا أمير المؤمنين عليه السلام زياد بن خصفة وأصحابه بالرجوع، وجزّاهم خيراً على موقفهم، وذكر عليه السلام ما سيؤول إليه مصير هؤلاء الشرذمة حيث قال فى كتابه

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 4 ص 95.

الذی کتبه لزیاد:

«أمّا بعد، فقد بلغنی کتابک، وفهمت ما ذکرت - إلی قوله علیه السلام - وأمّا عدوّکم الذین لقیتموهم، فحسبهم بخروجهم من الهدی إلی الضلال، وارتکابهم فیه، وردّهم الحقّ ولجاجهم فی الفتنة، فذرهم وما یفترون، ودعهم وفی طغیانهم یعمهون، فتسمع وتبصر کأنک بهم عن قلیلٍ بین أسیر وقتیل»(1).

ثمّ إنّ معقلاً لمّا وزّع جماعته بین یمین وشمال وقلب، جعل علی میمنته الشهید الکربلائی یزید بن المَغْفَل الأزدی. یقول الطبری:

«فجعل علی میمنته یزید بن المَغْفَل الأزدی، وعلی میسرته منجاب بن راشد الضبّی من أهل البصرة»(2).

وحصل اللقاء، وجرت الواقعة، وکادوا أن یستأصلوهم، حتی قتل فی تلک الواقعة أخو الخرّیت بن راشد، جندب بن راشد، وهرب الخرّیت إلی جهة البحر، حیث قومه هناک، فدعاهم إلی الوقوف معه ضدّ علی بن أبی طالب، ولم یزل یقنعهم علی ذلک حتی خرج معه خلق کثیر، «وکتب معقل إلی علی علیه السلام: بسم الله الرحمن الرحیم، لعبد الله علی أمیر المؤمنین، من معقل بن قیس، سلام علیک فإنّی أحمد الیک الله الذی لا اله إلاّ هو. أمّا بعد، فإنّا لقینا المارقین، وقد استظهروا علینا بالمشرکین، فقتلناهم قتل عاد وإرم، مع أنّا لم نَعدُ فیهم إلا سیرتک، ولم نقتل من المارقین مدبراً ولا أسیراً، ولم ندفّف منهم علی جریح، وقد نصرک الله والمسلمین

1- (1) نفس المصدر.

2- (2) تاریخ الطبری: ج 4 ص 95.

والحمد لله ربّ العالمين»(1).

فلمّا قرأ أمير المؤمنين الكتاب، استشار من معه، فاستقرّ الرأى على أن يتبع معقل بن قيس الفاسق حتى يقضى عليه، وكتب اليه فى ذلک: «أمّا بعد، فالحمد لله على تأييد أوليائه وخذلان أعدائه، جزاک الله والمسلمين خيراً، فقد أحسنتم البلاء وقضيتم ما عليكم، وسل عن أخى بنى ناجية، فإن بلغک أنّه استقرّ ببلد من البلدان فسر اليه حتى تقتله، فإنّه لن يزال للمسلمين عدوّاً وللقاسطين وليّاً ما بقى والسلام»(2).

وينقل المؤرّخون أنّ الخرّيت بن راشد حشد قومه ضدّ على، وجنّد معه جماعته من الخوارج، بل وحتى من كان يرى مظلومية عثمان بإظهار أنّه يرى نفس رأيهم، وكان هناک جماعة من الناس قد منعوا الزكاة، فأقبل اليهم وقال لمن منع الزكاة منهم: شدّوا أيديكم على صدقاتكم وصلوا بها أرحامكم وعودوا بها إن شئتم على فقرائكم، وكان فى المنطقة مجموعة من النصارى قد كان أسلم كثير منهم، فلمّا رأوا القتل والقتال وما اختلف فيه الناس قالوا: والله لديننا الذى خرجنا منه خير من هذا الدين، فأقبل اليهم الخرّيت وقال لهم: إلى أين أنتم ذاهبون، أتعلمون ماذا سوف يصنع على بكم إن ظفر بكم، والله إنّه سوف لن يرى لكم قولاً ولا يسمع لكم غدراً ولا يقبل لكم توبة، وإنّ حكمه فيكم لضرب العنق، وهكذا جمع الجموع وخدع الجميع واجتمع اليه ناس كثير. يقول الطبرى:

1- (1) نفس المصدر.

2- (2) تاريخ الطبرى: ج 4 ص 96.

«عن أبی الطفیل قال: کنت فی الجیش الـذین بعثهم علی بن أبی طالب إلی بنی ناجیـة فقال: انتهینا إلیهم فوجـدناهم علی ثلاث فرق، فقال أمیرنـا لفرقـة منهم: مـا أنتم؟ قالوا: نحن قوم نصاری، لـم نرَ دیناً أفضل من دیننا فثبتنا علیه، فقال لهم: اعتزلوا. وقال للفرقـة الأخری: ما أنتم؟ قالوا: نحن کنّا نصاری فأسـلمنا فثبتنا علی إسلامنا، فقال لهم: اعتزلوا، ثمّ قال للفرقة الثالثة: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم کنا نصاری فأسلمنا، فلم نرَ دیناً افضل من دیننا الأول، فقال لهم: أسـلموا فأبوا، فقال: لأصـحابه: فشـدّوا علیهم فاقتلوا المقاتلـة واسـبوا الذرّیة، ثمّ قرأ علیهم معقل بن قیس کتاب علی علیه السلام هذا نصه «بسم الله الرحمن الرحیم من عبد الله علی أمیر المؤمنین، إلی من یقرأ علیه کتابی هذا من المؤمنین والمسـلمین والنصاری والمرتـدّین عن الإسـلام، سـلام علیکم وعلی من اتّبع الهـدی وآمن بالله ورسوله وکتابه والبعث بعد الموت، وأوفی بعهد الله ولـم یکن من الخائنین. أمّا بعد، فإنّی أدعوکم إلی کتاب الله وسنّة نبیّه، والعمل بالحقّ وبما أمر الله فی الکتاب، فمن رجع إلی أهله منکم وکفّ یـده واعتزل هـذا الهالـک الحارب الـذی جاء یحارب الله ورسوله والمسـلمین وسـعی فی الأرض فساداً، فله الأمان علی ماله ودمه. ومن تابعه علی حربنا والخروج من طاعتنا، استعنّا بالله علیه وجعلنا الله بیننا وبینه وکفی بالله نصیراً.

وأخرج معقل رایة أمان فنصبها وقال: من أتاها من الناس فهو آمن، إلاّ الخرّیت وأصحابه، الذین حاربونا وبدأونا أوّل مرّة، فتفرّق عن الخرّیت جلّ من کان معه من غیر قومه، وعبّأ معقل بن قیس أصـحابه، فجعل علی میمنته یزید بن المَغْفَل الأزدی، وعلی میسـرته المنجاب بن راشد الضّبی، ثمّ زحف بهم نحو

الخريت»(1).

ويقول فى موضع آخر:

«عن عبد الله بن فقيم قال: سار فينا معقل فَحّرضَ الناس فيما بين الميمنة والميسـرة يقول: أيّها الناس المسلمون، ما تريدون أفضل ممّا سيق لكم فى هذا الموقف من الأجر العظيم، إنّ الله ساقكم إلى قوم منعوا الصدقة وارتدّوا عن الإسـلام ونكثوا البيعة ظلماً وعدواناً، فأشـهد لمن قتل منكم بالجنّة، ومن عاش فإنّ الله مقرّ عينه بالفتح والغنيمة، ففعل ذلک حتى مرّ بالناس جميعاً، ثمّ إنّه جاء ووقف فى القلب برايته، ثم أنّه بعث إلى يزيـد بن المَغْفَل وهو فى الميمنـة أن احمل عليهم، فحمل عليهم فثبتوا وقاتلوا قتالاً شديداً، ثمّ إنّه انصـرف حتى وقف موقفه الذى كان به فى الميمنة»(2).

وهكـذا صـنع مع الميسـرة، ولم تمضِ إلاّ مدة من الزمن وجيزة حتى قضـى عليهم قضاء مبرماً، وقُتل الخرّيت بن راشد ومائة وسـبعون من جماعته، وفرّ الباقون، وسُبى من سُبى منهم، وكتب معقل إلى امير المؤمنين يقول: «أمّا بعـد، فإنّى أخبر أمير المؤمنين عن جنـده وعـدوّه إنّا دفعنا إلى عـدوّنا بالأسـياف، فوجـدنا بها قبائل ذات عـدّة وحدّة وجدّ، وقد جمعت لنا وتحزّبت علينا، فدعوناهم إلى الطاعة والجماعة وإلى حكم الكتاب والسنّة، وقرأنا عليهم كتاب أمير المؤمنين، ورفعنا لهم راية أمان، فمالت الينا طائفة منهم وبقيت طائفة أخرى منابذة، فقبلنا

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 4 ص 98-98.

2- (2) نفس المصدر.

من التى أقبلت وصمدنا صمداً للتى أدبرت، فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم، فأمّا من كان مسلماً فإنّا مننا عليه وأخذنا بيعته لأمير المؤمنين، وأخذنا منهم الصدقة التى كانت عليهم، وأمّا من ارتدّ منهم عرضنا عليه الرجوع إلى الإسلام وإلاّ قتلناه، فرجعوا غير رجل واحد فقتلناه، وأمّا النصارى فسبيناهم، وقد أقبلنا بهم ليكونوا نكالاً لما بعدهم من أهل الذمّة لكيلا يمنعوا الجزية، ولكيلا يجترئوا على قتال أهل القبلة، وهم أهل الصغار والذلّ، رحمک الله يا أمير المؤمنين وأوجب لک جنّات النعيم، والسلام»(1).

موقف الشهيد الكربلائى فى صفين

لا يسع الإنسان وهو يتحدث عن صفّين إلاّ أن يقول بأنّها كشفت عن معادن الرجال، وبيّنت حقائقهم من دعاواهم، فقد كانت مختبراً عظيماً على كلّ الصُعُد، حيث رفعت أُناساً ووضعت آخرين، رفعت من ثبت فى دفاعه عن الحقّ، وخفضت من تزلزلت قدمه.

وربما ساقنا الحديث إلى الحديث عن صفّين وما جرى فيها من مواقف وأحداث مهمة إلى الحديث عن شهداء كربلاء الذين كان لجُلّهم مشاركة واضحة فيها، ومنهم شهيدنا الكربلائى يزيد بن مغفّل الأزدى، والذى يتحدّث نصير بن مزاحم عن بطولته وشهامته فى تلک الحرب، حيث يذكر بأنّه قاتل قتالاً شديداً شهدت له فيه الأبطال حتى أثخن بالجراح وسقط على الأرض، حتى ليحس كلّ من رآه سقط أنّه فارق الحياة، وربما كان لسقوطه متابع من أحد

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 4 ص 99.

اقربائه الأزديّين من أهل الشام، فجاء وطلب الإذن فی أخذه یقول نصر بن مزاحم فی هذا المجال:

«فحدّثنا عمر قال: حدّثنا الصلت بن زهیر قال: حدّثنی عبد الرحمن بن مخنف قال: صرع(1) یزید بن مغفل إلی جنبی فقتلت صاحبه(2) وقمت علی رأسه، وقُتِلَ أبو زینب بن عروة فقتلت صاحبه، وجاءنی سفیان بن عوف(3) فقال: أقْتِلَ یا معشر الأزد یزید بن المَغْفَل؟ فقلت له: أی والله، إنّه لهذا الذی ترانی قائماً علی رأسه، قال: ومن أنت حیّاک الله؟ قلت: أنا عبد الرحمن بن مخنف، فقال: الشریف الکریم، حیّاک الله ومرحباً بک یا بن العمّ، ألا تدفعه إلیّ فأنا عمّه سفیان بن عوف ابن المَغْفَل، فقلت: مرحباً بک، أمّا الآن فنحن أحقّ به منک، ولسنا بدافعیه الیک، وأمّا ما عدا ذلک فلعمری أنت عمّه ووارثه»(4).

وهذه الروایة إن دلّت علی شیء فإنّها تدلّل علی أنّ الله سبحانه وتعالی إذا أراد بعبده خیراً، رغّبه فی الآخرة، وزهّده فی الدنیا، وهیّأ له الأسباب، ووفّقه للسعی والجدّ والاجتهاد، وألهمه الإخلاص، وهذا ما حصل مع الشهید الکربلائی، حیث بذل الجهد منذ کان شاباً یافعاً یوم أدرک رسول الله، وخاض معه ألوان المشقّة والعذاب، وتعرّض للکثیر من المصائب والآلام، ولمّا علم الله سبحانه

1- (1) الصَرعُ: الطَرْحُ بالأرض، ولا تعنی بالضرورة القتل، ویقال للقتیل صریع تجوّزاً، لکونه مطروحاً علی الأرض.

2- (2) یعنی قاتله.

3- (3) هو سفیان بن عوف بن المَغْفَل الأزدی، وکان مع معاویة.

4- (4) وقعة صفین لنصر بن مزاحم: ج 4 ص 261-262.

صدقه، هيّأ له الأسباب لينال شهادة عظيمة كريمة تذكرها الأجيال خَلَفاً بعد سَلَف، وهى الشهادة التى نالها بين يدى أبى عبد الله الحسين عليه السلام.

الشهيد فى كربلاء

لقد أعطانا الشهيد الكربلائى درساً عظيماً فى التضحية والفداء، وأنا أقطع بأنّ الشهيد لم يزده تفرّق الناس عن على عليه السلام أمير المؤمنين وعن أهل البيت إلاّ وعياً وفهماً وبصيرةً، ودارت الأيّام، وإذا بواقعة كربلاء تأتى من أجل أن يختم حياته بالشهادة فيها مع الحسين عليه السلام بعد أن لقى جيش عمر بن سعد ما لم يكن يتوقعه من شدّة بأس أصحاب الحسين وصبرهم وتفانيهم، ولعلّ قتال الشهيد يزيد ابن مَغْفَل الأزدى وأصحابه هو الذى جعل قائد ميمنة عمر بن سعد عمرو بن الحجّاج الزبيدى «يقول: يا أهل الكوفة، أتدرون من تقاتلون تقاتلون، فرسان المصر وأصحاب البصائر وقوماً مستميتين لا يبرز اليهم أحد إلاّ قتلوه على قلّتهم»(1).

يقول ابن شهر آشوب:

لمّا التحم القتال فى يوم العاشر استأذن يزيد بن مَغْفَل الحسين فى البراز فأذن له، فتقدّم أمام القوم وهو يرتجز ويقول:

أنا يزيدٌ وأنا بن مَغْفَل وفى يمينى نصل سيف منجلِ

أعلو به الهامات وسط القسطل(2) عن الحسين الماجد المفضّلِ

1- (1) مقتل الخوارزمى: ج 2 ص 15.

2- (2) القسطل: الغبار الذى تثيره حوافر الخيل فى الحرب.

وقال المرزبانی فی معجمه: «إنّه لمّا جدّ القتال تقدّم وهو یقول:

إن تنکرونی فأنا ابن مغفل شاکٍ لدی الهیجاء غیر أعزل

وفی یمینی نصل سیفٍ منصل أعلو به الفارس وسط القسطلِ

یقول: فقاتل قتالاً لم یَرُ مثله، حتی قتل جماعة من القوم إلی أن قتل رضی الله عنه»(1). بعدما أبلی أحسن البلاء، وبالغ فی الدفاع، وأعطی غایة المجهود، وتحرّک بأعلی درجات الإخلاص فالسلام علیک أیّها الشهید، یا من أثخنت بالجراح، وسالت منک الدماء، وسقطت إلی الأرض فی ساحات الوغی أکثر من مرّة، فالسلام علیک بما صبرت واحتسبت فنعم عقبی الدار یوم ولدت والسلام علیک بما صبرت واحتسبت فنعم عقبی الدار، والسلام علیک یوم استشهدت ویوم تبعث حیّاً مع الحسین علیه السلام.

1- (1) ابصار العین: ص 120.

الشهید عبد الله بن بشر الخثعمی علیه السلام

اشارة

قمّة من قمم الإیمان، وصحابی من أصحاب رسول الله الأجلّاء، ورجل أنهکته الحروب والغزوات التی خاضها مع رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم، ثمّ مع علی بن أبی طالب فی حروبه الثلاث، ثمّ مع الإمام الحسن علیه السلام فی أیّام محنته مع معاویة، وأخیراً ختمها بشهادة کریمة مبارکة أسال بها دمه الطاهر بین یدی سیّد الشهداء، ولسان حاله یقول: سیّدی أبا عبد الله، لو کنت أملک غیر هذه النفس لقدّمتها بین یدیک رخیصة، فکیف وهی نفس واحدة لا أملک غیرها، وکان هو وأبوه من رواة الأحادیث، بل وکان أحفاده من العلماء الکبار والرواة الکرام وحملة العلوم الدینیة، ولهم مواقف مشهودة کما سیأتی الحدیث عنها.

اسم الشهید ونسبه

اشارة

ینتسب الشهید الکربلائی إلی قبیلة خثعم فی أحسن الأقوال وأصحّها، وذلک لورود الاختلاف فی اسمه ونسبه، حیث نسبه بعضهم إلی الخثعمی ونسبه آخرون إلی الجشعمی وبعضهم إلی الغنوی، وسیأتینا بعد ذلک ثمرة الأخذ بالرأی

الأقوى والأصحّ وهو الخثعمى دون غيره(1).

وقد ورد الاختلاف فى اسمه واسم أبيه، حيث ذهب بعضهم إلى أنّ اسمه عبد الله وبعضهم إلى عبيد الله وبعضهم إلى عبيد من دون إضافة، وكذلک ورد نفس الشىء فى اسم أبيه، حيث ذهب البعض إلى أنه بشر والآخر إلى بشير(2) ، وإن كان الأقوى والأصحّ أنّه عبد الله بن بشر الخثعمى دون غيره.(3)

قبيلة الشهيد (خثعم)

اختلف العلماء وأهل الأنساب فى خثعم إلى أقوال، حيث نسبها بعضهم إلى قحطان، وإن كان الاشهر أنّها تنتهى إلى قبيلة عدنان، على أساس أنّ كلّاً من قحطان وعدنان كان له ولد من أحفاده يقال له خثعم.

وهناک من يذهب إلى أنّ خثعم إنّما هو اسم جبل بالسراة، فمن نزل ذلک الجبل فهو خثعمى، قاله الخليل والزبير بن بكار، وقال أبو عبيدة، خثعم التلطّخ بالدم، حيث كان هناک جمل نحروه اسمه خثعم، وغمسوا أيديهم فى دمه، وهناک من يذهب إلى غير ذلک(4).

وتقطن هذه القبيلة منطقة سراة فى اليمن، مع عدد من القبائل من بينها بجيلة

1- (1) السلسلة الضعيفة للألبانى: ص 778.

2- (2) إبصار العين للسماوى: ص 133؛ تعجيل المنفعة لابن حجر: ص 524.

3- (3) إبصار العين: ص 133.

4- (4) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى، تحقيق مصطفى السقّا: ج 2 ص 489.

وغامد وبارق وغامق والأزد، ومن مدن خثعم تبالة وبيشة وشمال جرش، وشرقيها، ولمّا أرسل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم صُرد بن عبد الله الأزدى لقتال المشركين من خثعم، تحصّنوا فى جرش. وأمّا قصّة إسلامها فيقال إنّه لمّا قدم جرير بن عبد الله البجلى المدينة مع وفد بجيلة، أمره رسول الله بتحطيم صنم ذى الخلصة، وهو صنم أبيض متوّج، فتوجّه جرير إلى قبيلته واستعان ببنى أحمس، فتوجّهوا إلى الصنم المذكور وقتلوا مائة رجل من باهلة ومائتى رجل من خثعم كانوا حُجّاباً لذى الخلصة، وهزموا الباقين، ثمّ ضربوا الصنم وأحرقوه وأضرموا فيه النيران، وبعد تخريب ذى الخلصة قدم إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عثعث بن زحر، وأنس ابن مدرک فى رجال من خثعم وأعلنوا إيمانهم بالله وبرسوله وبما جاء به الرسول، فكتب لهم رسول الله كتاباً أباح فيه كلّ دم سفكوه فى الجاهلية، وأمرهم بالتصدّق بعشر غلات أراضيهم الديمية والمسقية، وعيّن لهم حدود مراتعهم(1).

وهناک رواية أخرى فى إسلامهم تدلّل على أنّهم كانوا من أهل الفكر والوعى والبصيرة، بحيث كانوا من الموفّقين ان طلبهم الله عزّ وجلّ لدينه وإسلامه، بحيث تحوّل مثل هذا الأمر إلى معجزة وكرامة لرسول الله، أوردها بعضهم فى باب دلائل رسول الله على نبوته.

قال الخرائطى: «وحدثنا عبد الله بن محمد البلوى بمصر، حدثنا عمارة بن زيد، حدثنا إسحاق بن بشر وسلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، حدثنى شيخ من الأنصار يقال له عبد الله بن محمد، من آل محمد بن مسلمة قال: بلغنى أنّ

1- (1) لبّ الألباب فى معرفة الأنساب للسيوطى، باب الحاء والثاء (خثعمى).

رجالاً من خثعم كانوا يقولون: إنّ ممّا دعانا إلى الإسلام أنّا كنّا قوماً نعبد الأوثان، فبينما نحن ذات يوم عند وثن لنا اذ أقبل نفر يتخاصمون اليه يرجون الفرج من عنده لشيء شجر بينهم، إذ هتف هاتف بهم يقول:

يا أيّها الناس ذوو الأجسام من بين أشياخٍ إلى غلّام

ما أنتم وطائش الأحلام ومسند الحكم إلى الأصنام

اكلّكم فى حَيْرةِ النيامِ أم لا ترون ما الذى أمامى

من ساطعٍ يجلو دجى الظلام قد لاح للناظر من تُهام

ذاک نبيٌّ سيّد الأنام قد جاء بعد الكفر بالإسلام

أكرمه الرحمن من إمام ومن رسولٍ صادقِ الكلام

أعدل ذى حكمٍ من الأحكام يأمر بالصَلاة والصيام

والبرّ والصِلات للأرحام ويزجر الناس عن الآثام

والرجس والأوثان والحرام من هاشمٍ فى ذروة السنام

مستعلناً فى البلد الحرام

قال: فلما سمعنا ذلک تفرّقنا عنه وأتينا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فأسلمنا عنده».(1)

ومهما يكن فلقد أسملت هذه القبيلة، وأخرجت الرجال والنساء الذين وقفوا مواقف مشرّفة فى الدفاع عن الإسلام، فكانوا من أكثر الناس شجاعة وعلماً وعبادة وحلماً نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، النعمان بن محمية الخثعمى، يقال له ذو الأنف، والذى قاد خيل خثعم إلى النبى يوم الطائف وكانوا مع ثقيف، وعبد الله بن حبش، وهو أحد رواة الحديث وأبو رويحة الخثعمى،

1- (1) دلائل النبوة لأبى نعيم: ج 1 ص 145 ح 64؛ بحار الأنوار: ج 6 ص 319.

عون بن عميس أخو أسماء، الذى قتل يوم الحرّة من قبل جيش يزيد، سلمى بنت عميس، أسماء بنت عميس، سلمى بنت أنس، عبد الله بن يزيد الخثعمى، بشر بن عمارة الخثعمى، ثعلبة بن مسلم الخثعمى، حصين بن عوف الخثعمى، وآخرين لا يسعنا ذكرهم.

والد الشهيد

هو بشر بن ربيعة الخثعمى، وهو صحابى جليل، أسلم فيمن أسلم من خثعم وحسن إسلامه، وقد عُرف الرجل بشجاعته المتميّزة فى ساحات القتال حتى عرّفه العلماء بأنّه كان له ذكر فى المغازى والحروب(1).

ولقد كانت له مواقف كثيرة، يذكرها المؤرّخون، فى شجاعته وبطولته فى ساحات الوغى، وخصوصاً فى معركة القادسية، حيث أبلى بلاءً حسناً فيها، حتى «أن سعداً بن أبى وقّاص حينما أراد أن يوزّع الغنائم بقيت فضلة، فكتب إلى عمر ما يفعل بها، فكتب اليه عمر أن فضّها على حملة القرآن، فجاء عمرو بن معدى كرب فسأل سعداً عنها، فقال له: ما معك من كتاب الله؟ قال: شغلت بالقتال والجهاد عن حفظه، فقال: مالك فى هذا نصيب، ثمّ جاء بشر الخثعمى فقال له: ما معك من كتاب الله؟ فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فضحك وضحك من كان حوله، فلم يعطه شيئاً، ثمّ كتب إلى عمر مرّة ثانية، فجاءه الجواب أن أعطهما بسبب بلائهما، فأعطى كلّ واحد منهما الغبن»(2).

1- (1) إبصار العين للسماوى: ص 133.

2- (2) الإصابة لابن حجر، بشر بن ربيعة: ج 1 ص 770.

وينقل أنّه قال أبياتاً من الشعر فى نفس تلك الواقعة بعثها إلى عمر، منها:

أنختُ (1) بباب القادسيّة ناقتى وسعدُ بنُ وقّاصٍ علىّ أميرُ

تَذكّرْ هداك الله وقع سيوفنا بباب قديسٍ والمكرُّ عسيرُ

عشيّةَ ودَّ القوم لو أنّ بعضهم يُعار جناحى طائر فيطيرُ

إذا ما فرغنا من قراعِ كتيبةٍ دلفنا لأخرى كالجبال نسيرُ(2)

ولا شكّ أنّ كلّ من يقرأ هذه الأبيات يتبادر إلى ذهنه كم كان والد الشهيد الكربلائى شجاعاً وقوياً وصاحب صولات وجولات فى ساحات الوغى، بحيث إنّه يشبّه نفسه بالجبل، وربما قولة عمر التى قالها إلى سعد بأن يعطى كلّاً منهما لبلائه فى الحرب، لتكشف وبشكل واضح، دوره الكبير فى معركة القادسية بل وغيرها من المعارك، لأنّ من كانت طبيعته فى معركة من المعارك هكذا فهو فى غيرها لا شكّ على نفس الشاكلة، لأنّ الطبيعة الإنسانية لا تتجزّأ.

ومع كلّ ذلك، فإنّ الرجل كان من المبرّزين فى الميادين الاجتماعية، بل كان سيّداً فى قومه ورئيساً لهم، بل ومعتمداً عندهم وعند أهل الكوفة، حيث ورد فى كتب التاريخ حينما أرادت القبائل أن تجعل لها مراكزلتجمّعاتها، وجبّانات لدفن موتاها اتّخذت قبيلة بشر لنفسها خطّة وجبّانة باسم بشر، يقول باقر شريف القرشى فى كتابه حياة الإمام الحسين عليه السلام(3): «فكانت كلّ قبيلة تنزل فى حى معيّن لها لا يشاركها فيه إلّا حلفاؤها، كما كان لكلّ قبيلة مسجدها الخاصّ

1- (1) فى بعض المصادر: وحلّت بدل أنخت، وفى أخرى تحنّ.

2- (2) الوافى بالوفيّات للصفدى، ج 10، ص 92.

3- (3) حياة الإمام الحسين: ج 2 ص 435-436.

ومقبرتها الخاصّة، ويرى ماسنيون أنّ جبّانات الكوفة هى إحدى الصفات المميّزة لطبوغرافيتها».

جبّانة بشر الخثعمى فى الكوفة

ومن هنا نفهم أنّه حينما تسمى هذه الخطّة والجبانة باسم بشر الخثعمى والد الشهيد الكربلائى فإنّ هذا يكشف عن أنّ الرجل يحتلّ منزلة اجتماعية ودينية متميّزة فى الكوفة بشكل عام، وفى قومه بشكل خاصّ، ويتأكّد لنا هذا الأمر إذا ما علمنا أنّ الجبّانات فى داخل الكوفة لم تكن لدفن الموتى فقط، وإنّما كانت محلاّ لتجمّعات القبيلة ومناقشة أمورها، بل مقرّاً عسكرياً واجتماعياً وإدارياً، كما يصرّح بذلك من كتب عن الجبّانات فى الكوفة، والدليل على ذلك أنّه حينما أراد المختار أن يخرج على بنى أميّة فى الكوفة، جعل من هذه الجبّانات تجمّعات عسكرية لبعض القبائل التى انضوت تحت لوائه، وقد أدرك الوالى لبنى أميّة هذا الأمر، فبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى إلى جبّانة السبيع وقال له اكفنى قومك ولا تحدثنّ بها حدثاً، وبعث كعب بن أبى كعب الخثعمى إلى جبّانة بشر بنفس الشىء، وبعث زحر بن قيس الجعفى إلى جبّانة كندة، وهكذا جبّانة العائدين، وجبّانة سالم، وجبّانة المراد(1) ، وهكذا بقية الجبّانات، ممّا يدلّل على أهمّيتها فى داخل الكوفة، وهذا يعنى أنّ من تنسب اليه لا شكّ أنّه يحتلّ منزلة اجتماعية كبيرة فى قومه وفى القبائل وفى الكوفة، وهذا ما نريد أن نصل إليه.

1- (1) ابن الأثير، الكامل: ص 726.

أقوال العلماء فی الشهید الکربلائی

1. یقول ابن الأثیر «عبـد الله بن بشـر الخثعمی، وهو أنصاری من بنی خثعم ابن أنمار بن الحراش بن عمرو بن القوت من الأزد القحطانیـة، وهم إخوة بجیلة».(1)

2. یقول المبارکفوری: «عبد الله بن بشر الخثعمی، أبی عمیر، الکاتب الکوفی، صدوق من الرابعة».(2)

3. یقول الشیخ السماوی: «وکان عبد الله بن بشر الخثعمی ممّن خرج مع عسکر ابن سعد ثمّ صار إلی الحسین».(3)

4. یقول السید الزنجانی: «کان عبد الله بن بشر الخثعمی من مشاهیر الکماة الحماة للحقائق وله ولأبیه ذکر فی المغازی والحروب».(4)

5. قال ابن حجر: «عبد الله بن بشر الخثعمی، روی عن أبیه، وله حجبة».(5)

ومن خلال ما ذکره العلماء وما نقلوه عنه من روایات وما نقله هو رضـی الله عنه من روایات وأحادیث، عَدّه العلماء عند الفریقین من أجلّاء الرواة الموثّقین، وقد ذکره العلماء فی أسانیدهم وکتب الحدیث عندهم، حیث روی عنه الترمذی

1- (1) ج 1 ص 286.

2- (2) تحفة الأحوازی بشرح سنن الترمذی: (3310).

3- (3) إبصار العین: ص 133.

4- (4) وسیلة الدارین رقم 96.

5- (5) تعجیل المنفعة: ص 524.

والنسائی والبخاری وأحمـد بن حنبل وآخرون، فضـلاً عن علماء مدرسـة أهل البیت، حیث وضـعوه فی مقدّمة الرواة الموثّقین الذین یؤخذ منهم ولا یسأل عنهم، وها نحن فی هذه الوریقات القلیلة نحاول أن نسـلّط الأضواء علی بعض هذه الروایات التی رواها الشـهید الکربلائی عن رسول الله وعن أهل البیت علیهم السلام لنجعل منها طریق هدایةٍ نسیر فیه للوصول إلی رضوان الله سبحانه وتعالی.

مع الشهید الکربلائی فی روایاته

1. روی النسائی فی باب الاسـتعاذة من کآبة المنقلب(1): «عن عبـد الله بن بشـر الخثعمی عن أبی زرعة عن أبی هریرة قال: کان رسول الله صلی الله علیه و آله و سـلم اذا سافر فرکب راحلته قال بإصـبعه هکذا، ومدّ شعبة إصبعه وقال: «اللهـمّ أنت الصاحب فی السفر والخلیفة فی الأهل والمال والولـد، اللهـمّ إنّی أعوذ بک من وعثاء السـفر وکآبة المنقلب». ما أجمل هذا الدعاء وما أعظم هذه الروایة، حیث تتحدّث عن ذلک الإنسان الـذی یعزم علی السـفر فیعیش فی نفسه بعض المخاوف المتعلّقـة بسـفره أو بمن یخلّفهم وراءه، فیأتی هذا الدعاء لیربط علی قلب هذا الإنسان إذا فوض أموره إلی الله تعالی فی جمیع الأحوال، واستودعه جمیع ودائعه، وهو الذی لا تضیع لدیه الودائع.

2. روی البیهقی وغیره عن علی بن حرب، حدثنا عبد الله بن بشـر الخثعمی «عن رجل من قومه، أنّ رجلاً سقطت علیه جرّة من دیر بالکوفة وفیها ورق، فأتی بها علیاً فقال له: قسّمها خمسة أقسام (أخماساً) ثمّ قال: خذ منها أربعة ودع واحدة،

1- (1) النسائی، باب الاستعاذة من کآبة المنقلب: ج 4 ص 460، الترمذی/ ح 3769.

ثمّ قال: فی حیک فقراء أو مساکین؟ قال: نعم، قال: خذها قسّمها فیهم»(1).

وقد روی هذه الروایة باختلاف یسیر کذلک المغنی لابن قدامة، حیث جاء فیه: «أنّ علیاً أمر صاحب الکنز أن یتصدّق علی المساکین؛ حکاه الإمام أحمد وقال: حدّثنا سعید، حدّثنا سفیان عن عبد الله بن بشر الخثعمی عن رجل من قومه یقال له ابن حممة قال: سقطت علیّ جرّه من دیر قدیم بالکوفة عند جبّانة بشر، فیها أربعة آلاف درهم، فذهبت بها إلی علی علیه السلام فقال: أقسمها خمسة أخماس، فقسمتها فأخذ علی منها خمساً وأعطانی أربعة أخماس، فلمّا أدبرت دعانی فقال: فی جیرانک فقراء ومساکین؟ قلت نعم، قال: فخذها وقسّمها بینهم»(2).

وهناک آخرون رووا مثل هذه الروایة، عن الشهید الکربلائی، وهناک جملة من النقاط المهمة علی هذه الروایة والتی نودّ أن نسلّط الأضواء علیها.

1. إنّ أول ما یتبادر إلی الذهن ونحن نقرأ هذه الروایة التی رواها لنا الشهید الکربلائی حول الخمس، أنّه یتعلّق لیس فقط فی غنائم الحرب، بل یتعلّق بکلّ غنیمة یحصل علیها الإنسان أیّاً کان مصدرها إن کانت من الحلال، وهذا ما طبّقه أمیر المؤمنین مع الرجل الذی سقطت علیه الجرّة من تلک الکنیسة والتی عدّها الإمام من جملة المغانم التی حصل علیها هذا الإنسان، فأخرج منها خُمسها واعطی الباقی له، وهذا الحکم یمثّل الرأی الذی تذهب الیه مدرسة أهل البیت، والتی لا تجعل الخمس محصوراً فی باب غنائم الحرب بل یشمل کلّ

1- (1) سنن البیهقی، کتاب الزکاة، باب الرکاز.

2- (2) المغنی لابن قدامة، باب الزکاة، الفصل الرابع.

غنيمة يحصل عليها الإنسان انطلاقاً من معنى الغنيمة الذى يشمل غنائم الحرب وغيرها لغة، وهو قوله:

«أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْ ءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ 1» .

حیث یذهب علماؤنا إلی أنّ الآیة وإن نزلت فی مورد خاصّ، فإنّ خصوص المورد لا تخصّص الوارد، کما هو مسلّم عند الأصولیین. یقول السیّد الطبطبائی فی المیزان(1): «قوله:

«أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْ ءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ» .

الغنم والغنیمة، إصابة الفائدة من جهة تجارةٍ أو عملٍ أو حرب، وینطبق بحسب مورد نزول الآیة علی غنیمة الحرب.

قال الراغب(2) الغنم - بفتحتین - معروف، قال:

«وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَیْهِمْ شُحُومَهُما4» .

والغنم - بالضم والسکون - إصابته والظفر به، ثمّ استعمل فی کلّ مظفور به من جهة العِدی وغیرهم قال:

1- (2) تفسیر المیزان، سورة الأنفال، الآیة: 41.

2- (3) مفردات الراغب: ص 378.

«وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْ ءٍ1» «فَكُلُوا مِمّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً2» .

والمغنم ما يغنم، وجمعه مغانم، قال:

«فَعِنْدَ اللّهِ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ 3» انتهى.

بينما تـذهب المدرسـة الأخرى إلى أنّ الخمس فى خصوص غنائم الحرب، لأنّها نزلت فيها فنقتصـر على مورد النزول ولا نعمم، هـذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الجرّة التى سـقطت على رأس الرجل من تلك الكنيسة التى يبدو أنّها كانت مهجورة وقديمة لا يدخل إليها أحد، وقـد هجرها أهلها وجُهل موضع أصـحابها، كانت تحمل أربعـة آلاف درهم، ممّا كان يعنى أنّها أدخلت فى باب الكنز والركاز، والذى يُعدّ واحـداً من جملـة موارد الخمس التى ذكرها الفقهاء وعمل بها حسب مدرسة أهل البيت، يقول الشـيخ محمد جواد مغنية: «الكنز ويسـمى ركازاً، من ركز فى الأرض اذا خفى، ومنه قوله تعالى:

«أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً» .

أى صوتا خفيّاً، والمراد به هنا المال المـدفون فى الأرض، نقـداً كان او جوهراً، عليه أثر الإسـلام او الجاهلية، وجد فى أرض أهل الحرب أو السلم، فإنّ من وجد شيئاً من ذلك فهو ملك له وعليه خمسه اذا بلغ النصاب، وهو عشرون

ديناراً، ولا شيء فيما دون ذلک. سُئل الإمام الرضا عليه السلام عن مقدار الكنز الذى يجب فيه الخمس فقال:

«مـا تجب فيه الزكاة من ذلک بعينه ففيه الخمس، وما لـم يبلغ حـدّ ما تجب فيه الزكاة فلا خمس فيه، أى ما قيمته عشـرون ديناراً أو أربعمائة درهم

ص:197

وأعلم ما فى النار وأعلم ما كان وما يكون

ص:198

متعـدّدة يرويهـا الفريقـان عن رسول الله والأئمـة الهـداة من أهـل البيت، وكلّ ما ورد من نصوص فى هـذا المجال فيحمل على العلم اللا اسـتقلالى بالغيب فى قبال العلم الاسـتقلالى الذاتى، والذى هو من مختصّات الله سـبحانه، وغير هذا الكلام لا يقول به مسلم لا فى شرق الأـرض ولاـ فى غربها، فلا يقول أحـد بأنّ نبيّاً من الأنبياء أو وليّاً من الأولياء يعلم الغيب بشـكل ذاتى اسـتقلالى، وإنّما يقول بأنّ الله أعلمه وأطلعه فأطلع الناس عليه، وهناک مجموعة من النصوص أودّ أن أضعها بين أيديكم لتتبيّنوا ان ما يثيره الحاقدون لا مبرّر له ولا واقع، وأنّه من محض نسائـج الشـيطان التى يخيطها فى أذهان الجهلـة، فقد ذكر لنا القرآن الكريم نماذج من تلک العلوم الغيبية التى أعطاها الله عزّ وجلّ لأنبيائه لمصلحة يعلمها هو، ألم يخبر يوسف أباه يعقوب برؤياه فقال له أبوه:

«يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياکَ عَلى إِخْوَتِکَ فَيَكِيدُوا لَکَ كَيْداً1» .

وكذلک حينما أخبر يوسف صاحبيه فى السجن بتأويل رؤياهما:

«أَمّا أَحَدُكُما فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْراً2» .

وقال للثانى الذى رأى أنّه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه:

«وَ أَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ 3» .

وهكذا حينما يتحدّث القرآن بعد ذلک عن يعقوب حينما فصلت العير فقال

لأبنائه:

«إِنِّی لَأَجِدُ رِیحَ یُوسُفَ لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ 1» .

وکذلک حینما یتحدّث عن عیسی علیه السلام:

«وَ أُنَبِّئُکُمْ بِما تَأْکُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِی بُیُوتِکُمْ 2» .

أَلیست هـذه إخبارات بالغیب من قبل رسل الله، عن الله سـبحانه، فإذا ثبت هـذا الأمر فلم لا یمکن أن یثبت مثله لأئمّة أهل البیت علیهم السـلام ومن ثم فهم یخبرون عن بعض المغیّبات لمصلحة یراها الله سبحانه وتعالی خصوصاً إذا علمنا أنّ هناک آخرین کذلک أخبروا عن المُغیّبات، وهل أنّ علیّاً أقلّ شأناً من هارون؟ وهل علی أقل من کعب الأحبار؟ الـذی أخبر الخلیفـة الثانی بوفاته حیث أخبره بأنّه سـیموت بعد ثلاثة أیّام(1) ، وکذلک فی مسند أحمد(2) أنّ عمر بن الخطّاب أخبر بموته بسبب رؤیا رآها، وکان بین رؤیاه ومصرعه أسبوع واحد؟!

إذن فعلم الله منحصـر به اذا أریـد به العلم بالـذات والاسـتقلال، وأمّـا مـا یکون بالواسـطة فهو جائزٌ لکلّ من أراد الله إطلاعه علی الغیب، وعلمهم علیهم السلام هو من هذا النوع، ولقد قرأت روایة ذکرها کتاب ینابیع المودة، وهی أنّ الإمام الباقر علیه السلام قال:

«لمّا نزلت الآیة:

1- (3) تاریخ الطبری: ص 629.

2- (4) مسند أحمد: ج 1 ص 48.

«وَ كُلَّ شَیْ ءٍ أَحْصَیْناهُ فِی إِمامٍ مُبِینٍ 1» .

قـام رجلاـن فقالاـ: یـا رسول الله، من الإمـام المبین، أهو التوراة؟ قال: لا قالا: فهو الإنجیل؟ قال: لا، قالا: فهو القرآن؟ قال: لا، فأقبل أمیر المؤمنین فقال رسول الله: هذا هو الإمام المبین الذی أحصی الله فیه علم کل شیء»((1)).

ومن ثم من الممکن أن یطّلع النبی والإمـام علی بعض الأـمور الغیبیـة من قبـل الله، لمصـلحة هو یراهـا کموت إنسان أو بیان ما یجری فی المسـتقبل أو بعض أحوال الماضـی، أو کما یقول الإمام إنه یعلم ما فی الجنّة وما فی النار، وبغضّ النظر عن علم الإمام الذی خصّه الله به، فإنّه قد ورد فی کتب الفریقین أنّ الناس والأصحاب کانوا یعرفون المؤمن من غیره من خلال بغضه وحبه لعلی بن أبی طالب، وهو قول رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم:

«هذا فاروق أمّتی؛ یفرق بین أهل الحقّ والباطل»((2)).

حتی إنّ أمّ سلمة قالت: کان رسول الله یقول:

«لا یحبّ علیاً منافق ولا یبغضه مؤمن»((3)).

فإذا ثبت ذلک فإن علم الإمام قد یکون تعلّق بهذه النتائج، وفقاً للقانون

1- (2) ینابیع المودّة: ج 1 ص 77 طبعة ترکیا.

2- (3) البدخشی صاحب مفتاح النجاح فی نزل الأبرار: ص 21 و 47.

3- (4) الترمذی فی جامعه: ج 2 ص 213، البیهقی فی المحاسن والمساوی: ج 1 ص 29.

الذی وضع بین یدیه، ومن هنا تفهم مغزی تلک الروایات التی وردت فی کتب المسلمین من أنّ علیاً قسیم الجنّة والنار(1). وأختمها بروایة جمیلة ذکرها الشیخ الطوسی فی أمالیه(2):

عن المفضّل بن عمر قال: «قلت لأبی عبد الله الصادق علیه السلام: لم صار أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب قسیم الجنّة والنار؟ قال:

لأنّ حبّه إیمان وبغضه کفر، وإنّما خلقت الجنّة لأهل الإیمان وخلقت النار لأهل الکفر، فهو علیه السلام قسیم الجنّة والنار لهذه العلة فالجنة لا یدخلها إلاّ أهل محبّته، والنار لا یدخلها إلاّ أهل بغضه، قال المفضّل: قلت: یا بن رسول الله، فالأنبیاء والأوصیاء علیهم السلام کانوا یحبّونه، وأعداؤهم کانوا یبغضونه؟ قال: نعم، قلت: فکیف ذلک؟ قال أما علمت أنّ النبی قال یوم خیبر: لأعطینّ الرایة غداً رجلاً یحبّ الله ورسوله، ویحبّه الله ورسوله، ما یرجع حتی یفتح الله علی یدیه؟ قلت: بلی، قال: أما علمت أن رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم لمّا أتی بالطائر المشوی قال صلی الله علیه و آله و سلم: اللهمّ ائتنی بأحبّ خلقک الیک یأکل معی هذا الطائر، وعنی به علیاً؟ قلت: بلی، قال: فهل یجوز أن لا یحبّ الله ورسوله؟ فقلت له: لا، قال: فهل یجوز أن یکون المؤمنون من أُممهم لا یحبّون حبیب الله وحبیب رسوله؟ قلت له:

1- (1) الخوارزمی: ص 209. ابن حجر فی الصواعق: ص 126.

2- (2) الشیخ الطوسی، الأمالی: ص 18.

لاـ قـال: فقـد ثبت أنّ أنبيـاء الله ورسـله وجميع المؤمنين كانوا لعلى ابن أبى طالب محبّين، وثبت أنّ أعـداءهم والمخالفين لهم كانوا لهم ولجميع أهـل محبّتهم مبغضـين، قلت: نعم، قال: فلا يـدخل الجنّـة إلاّ من أحبّه من الأوّلين والآخرين، ولا يـدخل النار إلاّ من أبغضه من الأوّلين والآخرين، فهو إذاً قسيم الجنّة والنار».

ومع كلّ ما ذكرنا، فإنّ الإمام الحسـين حينما رأى أنّ ذلک كبر على من سـمع حديثه، حاول استدراک الأمر، ونسب كلّ ما ذكره إلى القرآن الكريم الذى كانوا عليه حفظة، حيث يقول:

«تِبْياناً لِكُلِّ شَىْ ءٍ1» .

أفبعـد هـذا كلّه يمكن أن يأتى مخرّف هنا أو جاهل هناک يحمل هـذه الروايـة وأمثالها على جهله وقلـة معرفته بالشـريعة، ويمزجها بحقده وكراهيّته لأئمّة أهل البيت ولمدرسـتهم ومحبيّهم، فيشنّع على هذه الرواية وأمثالها، وفيما ذكرناه كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

2. ما يتعلّق بالشـهيد الكربلائى الذى نقل هذه الرواية عن الحسـين عليه السـلام فإنّه كان موالياً له وعارفاً بحقّه، حيث يؤكّد على مدى حبّه وإيمانه وعقيدته بأئمّة أهل البيت عليهم السـلام وأنّهم أعلم هذه الأمّة بدينها ودنياها، ومن ثم فهم الأولى بالاتّباع من غيرهم الذين هم إلى الجهل أقرب منهم إلى العلم، على أنّ هذا العلم الذى يذكره لنا الإمام إنّما هو من الكتاب العزيز حيث يقول:

«وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ 1» .

3. روى عن عبد الله بن بشـر الخثعمى عن أبيه أنّه قال: «لتفتحنّ القسـطنطينية، فلنعم الأمير أميرها ولنعم ذلک الجيش»(1). هذا الحديث يمكن ان ينظر له من جوانب متعددة:

ألف: السؤال الذى يخالج ذهن كلّ من يقرأ هذا الحديث: لماذا القسطنطينية بالذات دون غيرها؟ ولماذا جيشها بالذات خير جيش، وأميرها بالـذات خير أمير؟ ألم تكن هناک فتوحات أعظم شـهدها التاريـخ الإسـلامى، كفتح القدس وغيرها ولماذا يا ترى التركيز على الأمير الذى كانت له حصّة الأسد فى هذه الكرامة والنبوءة النبوية؟

وقبل أن نجيب عن هـذا التساؤل نودّ الإشارة إلى أنّ كتب التاريـخ والحـديث، روت حديثاً آخر ربما يكون مكمّلاً لهذا الحديث المكذوب على رسول الله، حيث يتبيّن لک من خلال هذين الحديثين أسباب وضعهما، حيث ينقل البخارى فى صحيحه(2):

«فحدّثتنا أمّ حرام أنّها سـمعت النبى صـلى الله عليه و آله و سلم يقول: أوّل جيش من أمّتى يغزون البحر قد أوجبوا، قالت أمّ حرام: قلت: يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم، ثمّ

1- (2) احمد: ج 4 ص 336، الطبرانى فى الكبير: ج 2 ص 38، البخارى فى التاريخ الكبير: ج 2 ص 81 والصغير 1482.
2- (3) البخارى فى صحيحه: ج 3 ص 232.

قال: أوّل جيش من أمّتی یغزون مدینة قیصر مغفور لهم، قلت: أنا فیهم یا رسول الله، قال لا».

ولا شکّ أنّ الواضع لهذین الحدیثین أراد من خلالهما إضفاء منقبة لمعاویة وولده یزید، من أنّ کلاً منهما قد استحقّ الجنّة، فلا مشکلة فی قتال معاویة لعلی بن أبی طالب وسفکه دماء مئات الآلاف من المسلمین، لأنّه وببساطة أوّل من غزا البحر، فهذه کافیة لأن تعفو عن کلّ تلک الدماء التی أزهقها معاویة بنفسه أو بسببه، والفتن التی أجّج نیرانها معاویة، والتی ما زالت إلی الآن آثارها قائمة بین المسلمین؛ کما أنّ الغفران موصول إلی یزید لأنّه أوّل من غزا القسطنطینیة، فهو مغفور له حتی لو قتل الحسین علیه السلام سید الشهداء وأباد عترته وذریته وأصحابه بل یزید مغفور له حتی ولو ضرب الکعبة وأباح مدینة رسول الله لجنده ثلاثة أیّام یفعلون بها ما یشاؤون، بل هو مغفور له حتی لو صنع ما صنع من المنکرات الجسام والذنوب العظام. یقول فتح الباری(1): «قال المهلّب: فی هذا الحدیث منقبة لمعاویة لأنّه أوّل من غزا البحر، ومنقبة لولده یزید لأنّه أوّل من غزا القسطنطینیة».

وأغلب ظنّی، بل یقیناً أنّ ابن تیمیة قد تنفّس الصعداء وأخذت أسارید وجهه تنبسط بالفرح حینما وجد دلیلاً وشاهداً علی أنّه سیُغفر لإمامه الذی سیحشر معه، یزید بن معاویة کل تلک الجرائم والعظائم التی لم یشهد له التاریخ مثیلاً،

1- (1) فتح الباری: ج 6 ص 74.

لمجرّد فتحه القسطنطينية، حيث يقول فى مجموع الفتاوى(1): «ومع هذا فإنّ كان فاسقاً أو ظالماً فالله يغفر للفاسق والظالم، لا سيّما اذا أتى بالحسنات العظيمة».

وبعد هذا الكلام أظنّک لا تحتاج لبيان أنّ كلّ كلمة قالها ابن تيمية فى تعليقته على هذا الحديث إنّما هى قنبلة موقوتة قد تنفجر فى كلّ المساجد وأماكن العبادة وتقطّع أشلاء المصلّين، كما هو واقع الحال فى زمننا هذا، للأسف الشديد، فى العراق وأفغانستان وباكستان، وغيرها من المناطق العربية والإسلامية فضلاً عن الغربية، وفى النهاية سيُغفر لهذا الظالم جميع ما اقترفه من المظالم إذا جاء ببعض الأعمال الحسنة الصالحة ومن ثم فإنّ كلام ابن تيمية سيطلق أيدى الظلمة فى أن يبعثوا بمقدّرات هذه الأمّة ومقدّساتها.

وقد ردّ علماء السنّة قبل علماء الشيعة على مثل هذه الروايات، حيث ينقل المنّاوى فى فيض القدير(2):

«وأوّل جيش من أمّتى يغزون مدينة قيصر الروم، يعنى القسطنطينية، أو المراد مدينته التى كان بها يوم قال النبى الأكرم ذلک، وهى حمص، وكانت دار مملكته إذ ذاک (مغفور لهم) لا يلزم منه كون يزيد بن معاوية مغفور له لكونه منهم، إذ الغفران مشروط بكون الإنسان من أهل المغفرة، ويزيد ليس كذلک لخروجه بدليل خاصّ، ويلزم من الجمود على العموم أنّ من ارتدّ ممّن غزاها مغفور له، وقد أطلق جمعٌ محقّقون حلّ لعن يزيد به، حتى قال التفتازانى: الحقّ أنّ

1- (1) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ج 3 ص 413.

2- (2) فيض القدير للمنّاوى: ج 3 ص 109.

رضا يزيد بقتل الحسين، وإهانته أهل البيت عليهم السلام ممّا تواتر معناه، وإن كان تفاصيله آحاداً، ونحن لا نتوقّف فی شأنه بل فی إيمانه، لعنة الله عليه وعلی انصاره وأعوانه».

وإن كان بعض المؤرّخين يذكرون، وهو الحقّ أنّ يزيد لم يخرج وتثاقل عن الذهاب للغزوة، حيث يذكر ابن عساكر(1).

«بعث معاوية جيشاً إلی الروم، فنزلوا منزلاً يقال له الفرقدونة، فأصابهم بها الموت وبلاء شديد، فكبر ذلک علی معاوية، فاطّلع يوماً علی ابنه وهو يشرب وعنده قينة تغنی، فقال: قسم عليک لترحلنّ حتی تنزل مع القوم وإلاّ خلعتک، فتهيّأ يزيد للرحيل وكتب إلی أبيه:

تجنّی لا تزال تُعدُّ ذنباً ليقطع وصل حبلک من حبالی

فيوشک أن يريحک من بلائی نزولی فی المهالک وارتحالی»

بل ربما يفهم من شعر يزيد الذی يذكره البلاذری من أنساب الأشراف(2)، أنّ يزيد لم يخرج أصلاً إلی القسطنطينية، حيث يقول:

اذا اتّكأتُ علی الأنماط مرتفقاً بدير مرّان عندی أُمّ كلثومِ

فما أُبالی بما لاقت جموعهمُ بالفرقدونة من حمّی ومن موم(3)

ثمّ يقول البلاذری: «وأُمر يزيد بالغزو فتثاقل واعتلّ، فأمسک عنه، وأصاب

1- (1) تاريخ دمشق: ج 6 ص 404.

2- (2) أنساب الأشراف للبلاذری: 1149.

3- (3) موم: الجدری كما فی بعض كتب اللغة.

الناس فی غزاتهم جوع وأمراض، ثمّ أنشأ یزید البیتین السابقین».

نعم إنّ أعظم ما یستدلّ به علی قولهم هو أنّ أبا أیّوب الأنصاری الذی مات فی تلک الغزوة ودفن عند سورها، أوصی حینما جاءه الموت أن یحملوا جنازته إلی أقرب منطقة ممکنة فی القسطنطینیة، ویقال إنّهم ساروا به (بجنازته) یوماً، وربما ساروا أیّاماً وإنّهم دفعوا للروم أموالاً حتی سمحوا لهم بدفنه هناک، حیث یروی عبد الرزاق(1) ، «عن معمر عن ابن سیرین، وهو سند صحیح عندهم، أنّ یزید زار أبا أیّوب الأنصاری - فی تلک الغزوة - وهو مریض فقال له: ما حاجتک؟ قال: اذا أنا متّ فسر بی فی أرض العدوّ ما استطعت، ثمّ ادفنّی، فلمّا مات سار به وأوغل فی أرض الروم یوماً أو بعض یوم، ثمّ نزل فدفنه».

بل هناک بعض الروایات تشیر إلی أنّ أبا أیّوب الأنصاری مات فی ارض المسلمین ولم یوصِ یزید، وهذا یدلّ بشکل ضمنی علی أنّ الجمیع کانوا خارج أرض العدوّ کلّیاً او فی طرفها، بعیداً عن العاصمة (استانبول)، ومن ثم فإنّ یزید علی أساس هذه الروایات، لم یصل سور القسطنطینیة، ولم یضرب سورها بسیفه، حیث ورد فی تعجیل المنفعة لابن حجر(2) «أنّ أبا أیّوب الأنصاری قال: اذا أنا متّ فأدخلونی فی أرض العدوّ فادفنونی تحت أقدامکم حیث تلقون العدوّ».

ممّا یدلّل علی أنّ الموصی له هم المسلمون ولیس یزید، وفی نفس الوقت کانوا جمیعاً خارج أرض العدوّ.

1- (1) المصنف لعبد الرزّاق الصنعانی: ج 5 ص 279.

2- (2) تعجیل المنفعة لابن حجر: ج 1 ص 452، مسند أحمد: ج 5 ص 423، الطبقات لابن سعد: ج 3 ص 485.

باء: وعلى فرض صـحّة هذه الرواية فى فتح القسطنطينية، فأين حصل هذا الفتح؟ أأنّه فعلاً حصل فى زمن يزيد؟ كيف يمكن أن يكون ذلک وقد اتّفق المؤرّخون على أنّ فتح القسطنطينية لم يحصل فى ذلک الوقت مطلقاً، بل ولم يحصل حتى فى زمن الدولة الأموية كلّها، وكذلک العباسية، نعم يذكر العلماء أنّ هذا الفتح حصل فى زمن محمّد الفاتح العثمانى سنة 857 ه - كما يذهب إلى ذلک د. محمّد مصطفى فى كتابه فتح القسطنطينية وسيرة محمد الفاتح(1) ، وآخرون، أنّ هذه البشارة النبوية حصـلت على يد الفاتح العثمانى دون غيره، بل إنّ هناک روايات تقول إنّ هذا الفتح سوف يحصل فى زمن الإمام المهدى، وعند خروج الإمام، والملفت للنظر أنّ هذه الرواية تنقل عن نفس الشهيد الكربلائى، ممّا يؤيّـد أنّ الشـهيد رضـى الله عنه ربما روى هـذه الرواية ولكنّ أصـحاب الأهواء والمطامع حرّفوها بالشـكل الذى يمكن ان يخدم الظلمة وأهل الفسق والفجور، حيث ينقل نعيم بن حمّاد المروزى(2):

«حـدّثنا أبو يوسف المقدسـى، عن صـفوان بن عمرو، عن عبد الله بن بشـر الخثعمى، عن كعب قال: المهدى يبعث بقتال الروم، يعطى فقه عشرة، يستخرج تابوت السكينة من غار بأنطاكية فيه التوراة التى أنزلها الله تعالى على موسى، والإنجيل الذى أنزله الله على عيسى يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بانجيلهم».

1- (1) ص 36.

2- (2) كتاب الفتن للمروزى: ص 220.

وهذه الرواية تعضدها رواية اخرى رويت فى صحيح مسلم عن أبى هريرة تقول:

«لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، فيخرج اليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصاخوا قالت الروم خلّوا بيننا وبين الـذين سـبوا منـا نقاتلهم، فيقول المسـلمون لا والله، لا نخلّى بينكم وبين أخواننا، فيقاتلونهم فيهزم ثلث هم لا يتوب الله عليهم أبـداً، ويقتل ثلث هم أفضل الشـهداء عند الله، ويفتح ثلث لا يفتنون أبداً، يفتحون القسـطنطينية، فبينما هم يقتسـمون الغنائم وقد علّقوا سـيوفهم بـالزيتون، إذ صـاح فيهم الشـيطان: إنّ المسـيح قـد خلّفكم فى أهليكم، فيخرجون، وذلک باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فينما هم يعـدّون للقتال ويسوّون الصـفوف اذا أقيمت الصـلاة، فينزل عيسى بن مريم، فأمّهم فإذا رآه عدوّ الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء، فلو تركه لذاب حتى يهلک، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه فى حربته»(1).

وفى روايـة ينقلهـا معاذ بن جبل كما فى صـحيح الجامع: «عمران بيت المقـدس خراب يثراب، وخراب شـرب خروج الملحمـة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»(2).

ولا شكّ أنّ مثل هـذه الروايات وغيرها تـدلّل على أنّ مثل هـذا الحـديث الـذى رواه الشـهيد الكربلائى ربما يكون قد صدر من رسول الله ولكن ليس كما

1- (1) صحيح مسلم: ح 2897.

2- (2) صحيح الجامع الصغير للألبانى: ص 1 ح 4096.

تـأوّله أولئک الـذين أرادوا من خلاله اختلاق منقبـة ليزيـد الفجور، وإنّما فيه إشارة إلى وعـد إلهى عظيم قـد يحصل فى زمن خروج الإمام المهدى وخروج الدجال.

وهناک نقطـة مهمّة جدّاً ونحن نتحدث عن رواية الشـهيد الكربلائى فى فتح القسـطنطينية، حيث رواها البخارى وغيره عن عبد الله بن بشـر الغنوى وليس الخثعمى، وأن الأول ضـعيف عنـد أهل الرجال، وأما الثانى وهو الشـهيد الكربلائى فهو الموثّق، ممّا يدلّل على أن الرواية لـم تكن للشـهيد الكربلائى وإنّما كانت لغيره، وهـذا ما مال اليه جملة من الباحثين والمؤرّخين، منهم ابن حجر، والذى أرى من اللازم ذكر ما قاله بالنصّ فى كتابه تعجيل المنفعة(1):

«عبد الله بن بشر الخثعمى، عن أبيه، وله صحبة، وعنه الوليد بن المغيرة المعافرى، وثّقه ابن حبّان وقال ابن شيخنا: إن كان هو الذى أخرج له الترمـذى والنسائى فهو ثقـة، وإلاّ فلا أعرفه، كذا قال، والذى أخرج له الترمذى والنسائى لـم يُختلف فى اسـمه ولا فى اسم أبيه ولا فى نسـبه، وأمّا هذا (الغنوى) فاختلف فى اسـمه، فقيل عبد الله، وقيل عبيد الله بالتصغير، وقيل عبيد من غير إضافة، واختلف فى نسبه فقيل الخثعمى، وقيل الغنوى، ثمّ إنّ الـذى أخرج له الترمـذى والنسائى اسم ابيه بشـر بسـكون المعجمة وكسـر أوّله، واسم أبى هذا بشـير، بفتح أوّله وكسـر الشـين، وقيل بشـر. قال: البخارى عبد الله بن بشـير الخثعمى فذكر ترجمة الذى أخرج له الترمذى والنسائى ثمّ قال: عبيد بن بشير الغنوى، عن أبيه. روى عنه الوليد بن المغيرة، ويقال عبيد الله، حديثه فى ناحية الشام. وقال ابن أبى حاتم:

1- (1) تعجيل المنفعة: ص 524.

عبيد بن بشـير الغنوى، من أقران ابن لهيعة. وقال ابن حبّان فى (ثقات التابعين): عبيد بن بشير الغنوى، يروى عن أبيه، ولأبيه صحبة روى عنه الوليد بن المغيرة، وقد أخرج حديثه ابن يونس والطبرانى وأبو على بن السكن كلّهم من طريق زيد ابن الحباب عن الوليد بن المغيرة المعافرى عن عبد الله بن بشـير الخثعمى عن أبيه، وفى رواية ابن السكن عن عبد الله بن بشير بن ربيعة الخثعمى، وفى رواية الطبرانى: حدّثنى عبد الله بن بشير الغنوى، حدّثنى أبى، وفى بعض ما ذكرته ما يوضّح أنّه غير عبد الله الذى أخرج له الترمذى والنسائى».

ونفس الكلام ذكره الألبانى فى السلسـلة الضعيفة(1) فـإذا اثبت أنّ جميع من ترجم لعبـد الله بن بشـر الغنوى ضـعّفه، ولـم يوثّقه سوى ابن حبّان الذى عرف - كما يقول بعضـهم - بتوثيق المجاهيل، والذى لا يعتدّ بتوثيقه وتوثيقهم، كما يذكر ابن حجر عبد الله بن بشر الخثعمى، وهو الذى روى عنه الرواة لا سـيما الترمذى والنسائى. فتكون النتيجة التى نخلص اليها أنّ هناك شخصـيّتين مشتركتين فى الاسم والنسب، ولكن أحدهما موثّق وهو الشـهيد الكربلائى، والآخر غير الموثّق وهو الذى روى حديث القسطنطينية والذى ضعّفه العلماء سوى ابن حبّان. ومن ثم يكون ميلان ابن حجر فى محلّه حينما قال: «وفى بعض ما ذكرته ما يوضح أنّه غير عبد الله الذى أخرج له الترمذى والنسائى».

وربّما هذا هو الذى يجعلنا أكثر تقبّلاً لتلك الكلمة القاسية التى ذكرها العلاّمة المامقانى وهو يتحدّث ويترجم لبشر الغنوى، حيث قال:

1- (1) السلسلة الضعيفة: ص 778.

«(بشـر الغنوی) عـدَّه الشـیخ فی رجاله من أصـحاب رسول الله ولـم اسـتثبت حاله - ثمّ یقول بعد ذلک - نقلنا ما قاله الأعلام من الخاصّـة والعامة فیه، فهو عندهم مجهول الحال، وعندی ضعیف لوضعه حدیثاً فی مدح الفاسق الخبیث مسلمة بن عبد الملک»(1).

أبناء الشهید وأحفاده

یـذکر العلمـاء أنّ للشـهید الکربلائی ولـداً اسـمه عمیر وآخر اسـمه عبیـدة، وقـد ذکرهما العلماء من جملـة الرواة الثقات، حیث ذکر ابن مأکولا(2) فی کتابه الإکمال (باب عبیـدة) «قال: عبیـدة بن عبـد الله بن بشـر الخثعمی، کوفی روی عن جعفر بن محمـد الصادق وعن أبیه (الشهید).

وأمّا ولده الآخر عمیر فقد ذکره ابن حجر فی تقریب التهذیب(3) فیمن اسـمه (عمیر أو عمیرة) روی عن جبلة بن حممة وعروة البارقی وابی زرعة بن عمرو بن جریر روی عنه ابنه بشیر بن عمیر بن عبد الله وسفیان الثوری وسفیان بن عیینة وشعبة بن الجراح وابنه عمیر بن عبد الله بن بشـیر الخثعمی»، کما یذکر ذلک صاحب کتاب تهذیب الرجال، فی أسماء الرجال(4) ، ویقول أبو حاتم: «هو شـیخ کان کاتب شیخ کان لشعبة، ذکره ابن حبّان فی الثقات، روی له الترمذی

1- (1) تنقیح المقال: ح 3135.

2- (2) إکمال الکمال لابن مأکولا: ص 428.

3- (3) ابن حجر فی تقریب التهذیب: ح 5184.

4- (4) تهذیب الرجال فی أسماء الرجال: ص 1590.

والنسائی». وقد ذکر ولد الشهید الکربلائی الحسکانی فی شواهد التنزیل، حیث روی عنه روایة حیث یقول فیها:

«حدّثنی أحمد بن علی بن إبراهیم قال: أخبرنی أحمد بن محمد الصائغ قال: حدّثنی محمد بن حفص الجوینی قال حدثنی الحسن بن غرفة قال حدثنی یحیی بن یمان العجلی عن عمّار بن زریق عن عمیر بن عبد الله بن بشر الخثعمی قال: قال ابن عمر: علی أعلم الناس بما أنزل الله علی محمد»(1).

وذُکِرَ فی کتاب رجال الشیعة للشیخ محمد جعفر الطبسی فی مسانیده وهو یترجم لعبد الجبّار الشبامی، «أنّ من جملة الرواة عنه هو عمیر بن عبد الله بن بشر الخثعمی» علماً أنّ عبد الجبّار الشبامی کان من کبار الشخصیات الشیعیة فی الکوفة، حتی أن العُقیلی فی الضعفاء الکبیر(2) یقول: کان یتشیّع، وکذلک عبد الله ابن أحمد فی تهذیب الکمال(3) ویقول البخاری فی التاریخ الکبیر(4): إنّ عمیر بن عبد الله بن بشر الخثعمی قال: إنّ کبراء الکوفة أربعة: أبو إسحاق، وابن علاقة، وعبد الله بن شریک الأعور، ویزید بن مسهر من بنی فهد.

وبعد کلّ ما ذکرناه من کلمات فی حقّ أولاد الشهید ومن رووا عنهم، وما ذکروه من روایات، لیکشف بشکل واضح أنّهم کانوا من الموالین لأهل البیت، وأنّهم تحرکوا علی نهج أبیهم الشهید الذی کان راویاً وفی نفس الوقت مجاهداً

1- (1) شواهد التنزیل: ج 1 ص 40.

2- (2) الضعفاء الکبیر: ج 3 ص 88 رقم 1058.

3- (3) تهذیب الکمال: ج 16 ص 385.

4- (4) البخاری، التاریخ الکبیر: ص 512.

من الطراز الأول. وربما هذا كلّه يؤكّد أنّ الراوى الذى ضعفه العلماء فى فتح القسطنطينية هو غير هذا الشهيد الكربلائى العظيم.

شهادته

لقـد أبى الشـهيد الكربلائى البقاء فى بيته والتحجّج بالظروف الصـعبة، ولمّا رأى أن الطرق كلّها مغلقة ولا يمكن الخروج منها والوصول إلى الحسـين، فكّر بأنّ أفضل حلّ للقضـية هو أن يتظاهر بأنّه يريد الخروج مع الناس لحرب الحسين عليه السلام، ثم بعد أن يصل إلى الحسين يميل اليه، وهذا ما حصل بالفعل، حيث التقى الحبيب بحبيبه.

وينقل أهل المقاتل أنّ الشـهيد كان من جملة الشهداء الذين سقطوا فى الحملة الأولى، والتى حصلت بعد أن رُشق أصحاب الحسين بوابل من سـهام الحقـد، فنهضوا جرحى إذ ناداهم سـيّدهم بالنهوض إلى الموت الـذى لابـدّ منه، لخوض هـذه الملحمـة الإلهية التى تعرج فيها الأرواح إلى بارئها فى ساحة الحقّ والشـهادة الكبرى وقاموا وحملوا حملة واحدة واقتتلوا قتالاً شديداً خلف ذلک خمسـين شهيداً، وكان من بينهم الشـهيد الصحابى الجليل عبد الله بن بشر الخثعمى رضى الله عنه، فسلام عليه فى الأوفياء، وسلام عليه فى السعداء، وسلام عليه من الله تبارک وتعالى ومن رسوله، ومن خاتم الأوصـياء الإمام المهـدى المنتظر عج الله تعالى فرجه الشـريف حيث يقول فى زيارته: السـلام على عبد الله بن بشر الخثعمى ورحمة الله وبركاته.

ص:215

الشهید عمرو بن قرظة بن کعب الأنصاری علیه السلام

اشارة

إنه واحد من أجلاّء التابعین، وأحد عشّاق الحسین علیه السلام الذی ذاب مع عشقه للحسین کلّ معشوق آخر مهما غلا وعلا، فکان مصداقاً للشاری نفسه والباذل مهجته فی سبیل الله، کما قال تعالی:

«وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ1» .

إنّه الشهید الکربلائی الشابّ عمرو بن قرظة بن کعب الأنصاری رضی الله عنه.

أقوال العلماء فیه

اشارة

1. یقول السیّد الخوئی: «عمرو بن قرظة الأنصاری، من أصحاب الحسین، واستشهد بین یدیه، ووقع التسلیم علیه فی زیارتی الناحیة والرجبیة».(1)

2. یقول الشیخ محمد مهدی شمس الدین: «عمرو بن قرظة بن کعب الأنصاری، ذکره الطبری وابن شهر آشوب والزیارة والبحار والخوارزمی، وقد

1- (2) معجم الرجال: ج 14 ح 8984.

ورد فی الزیارة: «عمر بن قرظـة الأنصاری» وفی نسـختها الأخری «عمران» کما ورد فیها عمرو بن قرظـة الأنصاری، وکـذا ورد فی الرجبیة، والکلّ واحد».(1)

3. قال ابن الأثیر وابن عبد البرّ وابن حجر(2): «عمرو بن قرظة بن کعب بن ثعلبة بن عمرو بن کعب الأنصاری الخزرجی».(3)

4. یقول الشـیخ النمازی الشاهرودی: «کلماته یوم عاشوراء مع الحسین، وشدّة إخلاصه وشهادته، تشرّف بسلام الناحیة المقدّسة، أبوه قرظة بن کعب، یأتی، وأخوه علی بن قرظة خبیث ملعون، کان مع عمر بن سعد فی جند بنی أمیّة».(4)

5. یقول السیّد ابن طاووس: «خرج عمرو بن قرظة الأنصاری فاستأذن الحسین فأذن له، فبرز وهو یرتجز ویقول:

قد علمت کتیبة الأنصار أنّی سأحمی حوزة الذمار

ضرب غلامٍ غیر نکسٍ شاری دون حسینٍ مهجتی وداری

فقاتل قتال المشتاقین إلی الجزاء، وبالغ فی خدمة سلطان السماء، حتی قتل جمعاً کثیراً من حزب ابن زیاد، وجمع بین سداد وجهاد».(5)

1- (1) أنصار الحسین: ص 103-104.

2- (2) وسیلة الدارین: ص 173.

3- (3) لم أجد ما ذکره فی وسیلة الدارین عمّن نقله عنه فی مظانه.

4- (4) مستدرکات علم الرجال: ج 6 ص 57.

5- (5) اللهوف: ص 162.

والد الشهيد

لقـد كان للشـهيد الكربلائى والد من الطراز الإيمانى الأول، حيث كان صـحابياً جليلاً، شـهد غزوات رسول الله منذ أحد وما بعدها، وكان شجاعاً مجرّباً ومؤمناً عابداً، تترقرق الدمعة فى عينيه، ولقد نسبت للرجل عدّة أمور مهمة قام بها، ذكرها المؤرخون، منها:

أولاً: ينقل المؤرّخون، كابن الأثير(1) ، أنّ قرظـة كان أحـد العشـرة الـذين بعثهم عمر إلى الكوفة، ويُنقل فى سـنن ابن ماجة قوله: «حدثنا أحمد بن عبده، حدثنا حمّاد بن زياد، عن مجالد، عن الشـعبى، عن قرظة بن كعب قال: بعثنا عمر ابن الخطّاب إلى الكوفة، وشـيّعنا فمشـى معنـا إلى موضع يقـال له حرار، فقال: أتـدرون لـم مشـيت معكم؟ قال: قلنا: لحقّ الصـحبة لرسول الله، ولحقّ الأنصار. قال: لكنّى مشـيت معكم لحـديث أردت أن أحدّثكم به فأردت أن تحفظوه لممشاى معكم؛ إنّكم تقدمون على قوم للقرآن فى صدورهم هزير كهزير المرجل، فإذا رأوكم مدّوا أعناقهم اليكم وقالوا: أصحاب محمد، فأقلّوا الرواية عن رسول الله ثمّ أنا شريككم»(2).

وهـذا الحـديث أغلب الظنّ أنّه حديث موضوع على لسان والد الشـهيد، خصوصاً وأنّهم يذكرون بعد ذلک أنّه حينما وصل إلى الكوفة أخذ يُسأل عن أحاديث رسول الله وهو يقول: أنا أحفظ الناس بها ولكن ما كنت لأتحدّث بها

1- (1) ابن الأثير، أسد الغابة، حرف القاف، قرظة بن كعب.

2- (2) ابن ماجة فى سننه: ج 1 ح 28.

لأنّ عمر نهانا عنه.

والسبب فی هذا الظنّ أنّ الرجل عرف عند العامّ والخاصّ أنّه من جملة المخلصین فی ولائه للإمام أمیر المؤمنین، وقد ظهر مثل هذا الأمر فی أکثر من موقف کما سیأتی، حتی أنّ الإمام صلّی علیه بنفسه فی الکوفة حینما توفّی، واذا کان أمر الرجل هکذا فإنّی أمیل إلی أنّه لا یمکن له أن یتبنّی أمراً ویعمل علی تبلیغه وهو یعلم مسبقاً أنّ علیاً علیه السلام لا یرضاه ولا یتبنّاه، بل وقد حاجج القوم علیه، ألا وهو کتمان أحادیث رسول الله وعدم إذاعتها، وأنا لا أرید هنا أن أتناول هذا الموضوع المهمّ والحسّاس بهذه العجالة، ولکنّی أقول: إنّ ما ذکره عمر لقرظة، علی فرض صحّة هذه الروایة، لا یمکن أن یکون مبرّراً له لکتمان أحادیث رسول الله، کیف یکون ذلک وهو المبیّن الحقیقی للقرآن الکریم حیث یقول: «ترکت فیکم ما إن تمسّکتم بهما لن تضلّوا بعدی أبداً؛ کتاب الله وعترتی أهل بیتی» وحتی علی روایة «وسنّتی»(1) حیث تحتاج إلی مبیّن وشارح لآیات الله.

ولهذا نجد أنّ ابن حزم قد هجم علی هذا الحدیث هجوماً قویاً، رافضاً له البتّة، حیث یقول بالنص: «والشعبی (راوی الحدیث الأول عن قرظة) أقرب إلی الصبا، فلا شکّ أنّه لم یلق قرظة قطّ، فسقط هذا الخبر، بل قد ذکر بعض أهل العلم بالأخبار أنّ قرظة بن کعب مات وعلی رضی الله عنه فی الکوفة، فصحّ یقیناً أنّ الشعبی لم یلق قرظة قطّ ولا عقل منه کلمة».(2)

1- (1) الترمذی: ص 3788، میزان الاعتدال: ج 2 ص 302.

2- (2) الإحکام فی أصول الأحکام، المجلد الأول، الجزء الثانی، فصل فی فضل الإکثار من الروایة للسنن.

ثانياً: وينقل الهيثمى(1): عن القاسم قوله: «أتى عبد الله (يعنى ابن مسعود) فقيل له يا أبا عبد الرحمن، إنّ ههنا أناساً يقرأون قراءة مسيلمة الكذاب، فردّه عبد الله، فلبث ثمّ أتاه فقال: والذى أحلف به يا أبا عبد الرحمن، لقد تركتهم الآن فى دار وإنّ ذلک المصحف لعندهم، فأمر قرظة بن كعب فسار بالناس معه، فقال ائتِ بهم، فلما أتى بهم قال: ما هذا؟ بعدما استفاض الإسلام! فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، نستغفر الله ونتوب اليه ونشهد أنّ مسيلمة هو الكذّاب المفترى على الله ورسوله، قال: فاستتابهم عبد الله وسيّرهم إلى الشام وإنّهم لقريب من ثمانين رجلاً، وأبى ابن النوّاحة أن يتوب، فأمر به قرظة بن كعب فأخرجه إلى السوق فضرب عنقه وأمر أن يأخذ رأسه فيلقيه فى حجر أمّه، قال عبد الرحمن بن عبد الله: فلقيت رجلاً شيخاً كبيراً بعد ذلک فى الشام فقال لى: رحم الله أباک، والله لو قتلنا يومئذ لدخلنا النار كلّنا»

ثالثاً: ولّاه أمير المؤمنين على مناطق مهمة جداً وحساسة وفى ظرف خاصّ يحتاج فيه الإمام إلى من يثق به كثيراً إضافة إلى شجاعته وبطولته، فقد وضعه أمير المؤمنين على الكوفة والياً من قبله عندما أراد أن يتوجّه إلى البصرة للقاء أهل الجمل هناک، بعد أن ازال عنها أبا موسى الأشعرى.

يقول الطبرى: «إنّ الامام كتب كتاباً إلى أبى موسى الأشعرى جاء فيه: إنّى وجّهت هاشم بن عتبة لينهض من قبلک من المسلمين إلى، فأشخص الناس فإنّى لم أولّک الذى أنت به إلاّ لتكونن من أعوانى على الحقّ فدعا أبو موسى السائب

1- (1) مجمع الزوائد: ج 6 ح 10578.

ابن مالک الأشـعری فقال له: ما تری؟ قال: أری أن تتّبع ما کتب به الیک، قال: لکنّی لا أری ذلک، فکتب هاشم إلی علی علیه السلام أنّه قد قدمت علی رجل غالٍ مشاقٍّ ظاهرا الغلّ والشنآن

ص:221

فيها، فيتبعه بشكل كامل مهما كانت النتائج.

ينقل الطبرى: «عن أبى مخنف قوله: فحدثنى أبو الصلت الأعور التيمى، عن أبى سعيد العقيلى، عن عبد الله بن وال التيمى قال: والله إنّى لعند أمير المؤمنين إذ جاءه أحدهم بكتاب بيديه من قبل قرظة بن كعب الأنصارى [جاء فيه]: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فإنّى أخبر أمير المؤمنين أنّ خيلاً مرّت بنا من قبل الكوفة متوجّهة نحو نفر، وأنّ رجلاً من دهاقين أسفل الفرات قد صلّى يقال له زاذان فروخ أقبل من قبل أخواله بناحية نفرّ، فتعرضوا له فقالوا له: أمسلم أنت أم كافر؟ قال: أنا مسلم، قالوا: ما تقول فى على؟ قال أقول فيه خيراً، أقول إنّه أمير المؤمنين وسيّد البشر، فقالوا له: كفرت يا عدو الله، ثمّ حملت عليه عصابة منهم فقطّعوه، ووجدوا معه رجلاً من أهل الذمّة فقالوا له: ما أنت؟ قال: أنا رجل من أهل الذمّة، قالوا: اما هذا فلا سبيل عليه، فأقبل الينا ذلک الذمّى وأخبرنا بالخبر، وقد سألت عنهم فلم يخبرنى أحد عنهم بشىء، فليكتب الىّ أمير المؤمنين برأيه فيهم أنته اليه، والسلام».

فكتب اليه: «أمّا بعد، فقد فهمت ما ذكرت من العصابة التى مرّت بک فقتلت البرّ المسلم، وأمن عندهم المخالف الكافر، وإنّ أولئک قوم استهواهم الشيطان فضلّوا وكانوا كالذين يحسبون أن لا تكون فتنة فعموا وصمّوا، فأسمع بهم وأبصر يوم تخبر أعمالهم، والزم عملک وأقبل على خراجک فإنّک كما ذكرت فى طاعتک ونصيحتک والسلام».(1)

1- (1) الطبرى: ج 4 ص 89-90.

والد الشهيد وفتح الرى

رابعـاً: وينقل المؤرّخون أنّ قرظـة والـد الشـهيد هو الـذى فتـح الرىّ، واذا كانت هناك أسـماء تـذكر لمن فتـح الرىّ مع قرظـة فلأنّهم كانوا مشاركين معه أو هو مشارک معهم، ومع ذلک لم يتمّ الفتح الحقيقى والكبير إلّا على يدى قرظة بن كعب، يقول البلاذرى: «حدّثنى بكر بن الهيثـم، عن يحيى خريس قاضـى الرىّ قـال: لم تزل الرىّ بعـد أن فتحت أيـام حذيفـة تنتقض وتفتـح حـتى كـان آخر من فتحهـا قرظـة بن كعب»(1).

وقـد أكّـد على فتـح الرىّ على يد قرظة ابن حجر وابن الأثير وآخرون.(2) وسوف تعرف بعـد قليل ونحن نتحدث عن الشـهيد، ما معنى أن يكون والد الشهيد الكربلائى فاتحاً للرىّ؟

خامسـاً: مات فى الكوفـة وصـلّى عليه أمير المؤمنين بنفسه، ودفن فى داره بالكوفة(3) ، وينقـل فى كتـاب الأوائل «أنّه أول من نيـح عليه فى الكوفة».(4)

نعم يـذكر بعضـهم روايـة فى قرظـة بن كعب الأنصـارى وأبى مسـعود الأنصـارى، عن عامر بن سـعد يقول: «دخلت على قرظـة بن كعب الأنصارى وأبى مسعود الأنصارى فى عرس، واذا جوارٍ يغنّين فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ومن أهل بدر، يُفعل هذا عندكم؟ فقالا: اجلس إن شئت فاستمع معنا، وان شئت

1- (1) فتوح البلدان للبلاذرى: ج 2 فتح همدان.

2- (2) تهذيب التهذيب: ج 8 ص 329؛ أسد الغابة، حرف القاف، قرظة بن كعب.

3- (3) أسد الغابة، حرف القاف، قرظة بن كعب.

4- (4) كتاب الأوائل: ص 214.

فاذهب، فإنّه قد رخّص لنا فی اللهو عند العرس

ص:224

فسألنا النبی صلی الله علیه و آله و سلم فأمرنا أن نضحّی به».(1)

وروی له ابن عبد البرّ فی کتابه التمهید لما فی الموطّأ من المعانی والأسانید قال: «وفی کتاب عبد الرزاق، عن ابن مسعود ومحمد بن قرظة، إنّ أحدهما صلّی علی جنازة بعد ما دفنت، وصلّی علیها الآخر بعد ما صُلی علیها».(2)

ثالثاً: یزعم بعضهم أنّ للشهید أختاً اسمها فاختة بنت قرظة، والتی کانت متزوجة من معاویة بن أبی سفیان بعد زواجها الأول من عتبة بن سهیل، وهذه فریة کبیرة علی الشهید، إذ حاولوا من خلالها تشویه صورة عائلته الموالیة.

وقد یقال إنّ الإنسان یُقیّم من حیث هو، ولا ـ دخل لأهله به، فلا یعاب مثلاً علی نبی الله نوح لکون ولده کان کافراً، ولا علی لوط لکون أمرأته کذلک، وهکذا سائر المؤمنین ممّن ابتلوا عادة بأبناء غیر صالحین، أو إخوة فاسدین او آباء منحرفین، کما حصل بالفعل مع الشهید وأخیه؛ أقول إنّ هذا صحیح وهو عین الواقع، ولکن إذا کان أخو الشهید علی بن قرظة قد دلّ الدلیل علی انحرافه وضلاله، فإنّ أخته لم یثبت ضلالها، فضلاً عن أصل القصّة المفتراة علیه.

لأنّ الصحیح أنّ هذه الروایة تخصّ امرأة أخری اسمها (فاختة) وهی بنت قرظة بن عبد بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف، وهی نوفلیة قرشیة ولیست أنصاریة بالمرّة، ومن ثم لا علاقة لها لا من بعید ولا من قریب بقرظة والد الشهید الکربلائی، ولقد صرّح بما ذکرته ابن حجر فی کتابه فتح الباری فی شرح صحیح

1- (1) سنن أبی ماجة، کتاب الأضاحی: ح 4266.

2- (2) التمهید لما فی الموطأ من المعانی والأسانید: ج 6 ص 261.

البخارى، حيث يقول «بنت قرظـة هى زوج معاوية، واسـمها فاختة، وقيل كنود، وكانت تحته بعد عتبة بن سـهيل، ويحتمل أن يكون معاوية تزوّج الأختين واحـدة بعـد الأخرى، وهذه رواية بن وهب فى موطّأته، عن ابن لهيعة، عمّن سـمع. قال: ومعاوية أول من ركب البحر للغزاة، وذلک فى خلافـة عثمان وأبوها قرظة، بفتح القاف والظاء المعجمة، هو ابن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، وهى قرشـية نوفلية، وظنّ بعض الشـرّاح أنّها بنت قرظة بن كعب الانصارى فوهم، والذى قلته صـرّح به خليفة بن خيّاط فى تاريخه، وزاد أنّ ذلک كان سـنة ثمان وعشـرين؛ والبلاذرى فى تاريخه أيضاً وذكر أنّ قرظة بن عبد عمرو مات كافراً».(1)

مع الشهيد الكربلائى

الشهيد رسولاً إلى ابن سعد

لقد وصل الشهيد الكربلائى إلى كربلاء حيث التقى الحسين، فى السادس من المحرّم سنة 61 ه -، وبمجرد وصوله بعثه الحسين رسولاً من قبله إلى عمر بن سـعد من أجـل أن يقيم عليه الحجّـة وليعظه فى نفس الوقت، عسـى ينفع الوعظ والإرشاد، وهـذه فى تقـديرى مؤشّـر على مكـانته وإخلاصه، أن يُختار من قبل الحسـين رسولاً فى ظرف خاصّ كهـذا الظرف الـذى فيه الحسـين وأصـحابه، وبما أنّه يقال بأنّ الرسول يكشف عن شخصـية المرسِل، ولهذا تحاول دائماً كلّ الدول فى العالم أن تختار سـفراءها من ذوى الثقافة العالية والخبرة طويلة، وأن يكون خطيباً مفوّها، لعلمها أنّه قد يتعرّض إلى مآزق سياسية تحتاج إلى حنكة وحكمة

1- (1) فتح البارى لابن حجر: ج 6 ص 76-77.

وتعقّل، وهذا نفسه يمكن أن نتلمّسه ونقرأه من خلال هذا الاختيار الحسينى لهذا الشهيد، فلابدّ أن يكون الشهيد قد أدرک ما يريده الحسين بشكل كامل، منهجاً وعقيدة بحيث وصل إلى درجة الفهم الكامل بما يريده الحسين وما يفكر فيه، وبعبارة أخرى أنّ هذا الشهيد قد وصل إلى درجة عالية جداً من وضوح الرؤية ولا يقولنّ قائل بأنّه كان مجرّد رسول، يعنى أنّه يريد أن يوصل رسالة معينة إلى ابن سعد، ومن ثم لا يكشف بالضرورة عن كلّ ما تقدّم، أنّ اختيار الحسين له فى هذا الظرف الخاصّ لا يمكن أن يكون دون معرفة به، لعلم الحسين عليه السلام أنّ الشهيد ربما سوف لا تنحصر مهمته على إيصال الكلمات والرسائل فقط، وإنّما سيتعرّض إلى مُماحكات صاخبة وخصومة وجدال، سواء من قبل ابن سعد، أو من قيادات الجيش هناک، عن الحسين وحركته وما يريد، وكلّ هذه الأمور لابدّ لها من شخص يكون قد استوعبها ووعاها قبل ذلک، حتى يكون قادراً على أداء مهمّته بالشكل الصحيح، ولهذا قلنا إنّ الشهيد عرف الحسين حقّ المعرفة فى نفسه وعقله ومشاعره بحيث وصل إلى درجة الاطّلاع على ما يفكّر به الحسين عليه السلام ويريده.

وهذه لعمرک فضيلة من الفضائل، تدلّ على أنّ الشهيد الكربلائى قد تسامى فى فهمه ووعيه وبصيرته إلى الدرجة التى استطاع من خلالها أن يستكشف أهداف ثورة الحسين، وفى أىّ اتّجاه تسير حركته الإصلاحية الكبرى.

سؤال وجواب:

وربّما يسأل سائل: لماذا اختاره الحسين عليه السلام دون غيره من أصحابه، وفيهم

من صحابة رسول الله ومن كبراء وساداة المسلمين أمثال حبيب ومسلم بن عوسجة؟

وللجواب عن هـذا السؤال فى اعتقادى، أنّ أهمّ نقطـة فى حياة هذا الشـهيد والتى ربّما تكون هى السـبب الكامن وراء اختيار الحسـين عليه السلام له، هى أنّ والد الشهيد: قرظة بن كعب، هو الذى فتح الرىّ كما تقدّم، وكأنّ الحسين أراد أن يوصل إلى ابن سعد رسالة مفادها: يا بن سعد، إنّ هذا الرىّ الذى تركت كلّ قيمک ومبادئک من أجله، وسحقت بقدميک ما يمليه عليک دينک وإسلامک، بل وحتى إنسانيتک، فى الوقوف إلى جانب الحقّ ضدّ الباطل، وأن تكون مع الصادقين دون الكاذبين، هذا الرىّ الذى أعمى عينيک إنّما فتحه أبو هذا.

ولكنّه وقف إلى جانب الحقّ والصدق، ولم يأبه بالحطام، ومن ثم فهو لا يرى فقط الرىّ بل جميع الدنيا لا تساوى عنده شيئاً فى مقابل إيمانه وعقيدته، وهو من ثم لن يبيع دينه لأهل الفسق والفجور ليشتروا به دنياهم كما فعلت أنت.

إشارة مهمة

وهنا لابدّ من الإشارة إلى ما ذكرته بعض المصادر التاريخية حول هذه المراسـلات بين الحسـين وعمر بن سـعد حيث يروى ابن الأثير عن الحسين عليه السلام قوله:

«اختاروا منّى واحدة من ثلاث، إمّا أن أرجع إلى المكان الذى أقبلتُ منه، وإمّا أن أضع يدى فى يد يزيد بن معاوية فيرى فيما

بینه وبینی رأیه، وإمّا أن تسیروا بی إلی أیّ ثغر من ثغور المسلمین شئتم، فأکون رجلاً من أهله، لی ما لهم وعلیّ ما علیهم»(1)).

وهنا لابدّ من الإشارة إلی أنّ أمثال هذه الروایات لا یمکن قبولها، لأنّها تتنافی مع تواتر ما نُقل عن الحسین، وکلماته التی صدرت منه سواء فی المدینة أو مکّة أو فی الطریق إلی الکوفة، بل وحتی فی کربلاء، حیث تدلل وبشکل قاطع علی أنّ الحسین ذاهب إلی الموت وإلی الشهادة، ولیس هو فقط بل وکل من لحق به فإنّه سیقتل وسینال الشهادة، فلا یمکن بأیّ حال من الأحوال أن یأتی الحسین ویضع یده بید فاسق الأمة وفاجرها الأول یزید بن معاویة، بل لقد عَلِمَ الکثیرون بأنّ الحسین ماضٍ إلی الشهادة لذا فإن الکثیر من هؤلاء الصحابة والشخصیّات الإسلامیة التی کانت موجودة فی المدینة أو مکّة، أو حتی تلک التی لاقت الحسین وهو فی طریقه إلی کربلاء، کانوا یبدون تخوّفهم علیه، لعلمهم بأنّه اذا استمر فی هذا الطریق فإنّ النهایة التی سیواجهها هی الموت لامحالة.

وحتی سیّد الشهداء نفسه لم یکن یعترض علیهم، بل کان یواجههم بالأمر الواقع، وبأنّه مأمور بأمر هو ماضٍ إلی تحقیقه وتنفیذه، ولقد أجاد الحسین فی وصف نهایته وشهادته بأدقّ وصف، حیث قال لابن عباس: «یا بن عباس، إنّ القوم لن یترکونی، وإنّهم یطلبونی أینما کنت حتی أُبایعهم کرهاً أو یقتلونی، والله لو کنت فی ثقب هامة من هوامّ الأرض لاستخرجونی منها وقتلونی، والله إنّهم

1- (1) الکامل لابن الأثیر: ج 4 ص 54.

ليعتدون علىّ كما اعتدت اليهود فى يوم السبت وإنّى ماضٍ فى أمر رسول الله حيث أمرنى، وإنّا لله وإنّا اليه راجعون

ص:230

السلام إذ قد بليت الأمّة براعٍ مثل يزيد»(1) ، وقوله لوالى يزيد على المدينة: «إنّا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن الوحى، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل فاجر فاسق، شارب للخمر، معلن بالفسق والفجور، ومثلى لا يبايع مثله»(2). فمنذ اليوم الأول أدرك الحسين أنّ تكليفه الشرعى هو أن يخرج ويجاهد هذا المشروع الأموى الجديد، والذى يراد له أن يستمرّ فى حياة هذه الأمة، ولهذا السبب دون غيره من الأسباب اختار الحسين الشهادة، لأنّ الأسباب الأخرى مهما كانت مهمة فهى لا ترقى إلى تحديد مصير الأمّة ومستقبل إسلامها، ومن ثم لا يمكن له وهو المؤتمن على مصالح هذه الأمة أن يتنازل عن هذا الأمر العظيم.

أمّا قوله عليه السلام الذى ذكره ابن الأثير: «وأمّا أن أرجع إلى المكان الذى أقبلت منه» وفى بعض الروايات «إلى مأمنى من الأرض» فهو على فرض صحّته، يمكن أن يحمل على مسألة إلقاء الحجّة على الجيش الواقف أمامه بشكل خاصّ، وعلى أهل الكوفة بشكل عام، و إبطال كافّة الذرائع، لأنّ القوم مصمّمون على قتله حتى لو طلب الرجوع إلى قاصية، أى قطعة من الأرض يعيش فيها الأمان.

ومن ثم فهو أراد أن يوصل رسالة مفادها: أنّ عليكم ان تنظروا بعين البصيرة لا البصر، وسأكشف لكم عن حقيقة هذا الأمر بإعلانى أنى سأرجع من حيث أتيت، وإن لم أرد ذلک حقيقة، لتروا بأعينكم أنّهم سوف لن يقبلوا حتى بهذا،

1- (1) الخوارزمى، مقتل الحسين: ج 1 ص 184-185.

2- (2) اللهوف: ص 10.

فإذا كان الأمر كذلک فعليكم أن تنصرونی وتقفوا إلی جانبی، من حيث أنّ المسألة أخذت بُعداً دفاعيّاً، والدفاع عن النفس فرضٌ واجب.

وهذا يشبه إلی حدٍّ كبير طلبه عليه السلام الماء من جيش ابن سعد، وهو يعلم أنّهم لا يسقونه الماء ولكنّه أراد أن يصوّر مدی وحشية هؤلاء وانسلاخهم من كلّ قيمة إنسانية يمكن أن يؤمن بها إنسان علی وجه الأرض، وإلّا فما معنی أن يترک إنسان يعالج سكرات الموت، قد تحول جسده إلی شبه القنفذ من كثرة السهام، فضلاً عن طعن الرماح والسيوف، والدماء تشخب منه، وهو لا محالة خارج من الدنيا خلال دقائق، ومع كلّ ذلک يطلب قليلاً من الماء ليداوی كبده الظامی فلا يلبّی طلبه، إنّها أبشع صورة يسجّلها التاريخ، ولو لم يكن الحسين هو الذی فضحهم بهذا العمل لما استطعنا تصوّر سقوط وانحطاط إنسانی كهذين، ومن ثم فإنّ الماء لم يكن هو مطلوب الحسين، بل كان مطلوبه أن نصل فی تصوّراتنا إلی حجم مأساته مع هؤلاء الذين ما عرف التاريخ أبشع منهم، ونفس هذه الصورة أراد الحسين أن يبيّنها لنا من خلال إعلانه بأنّه سيختار العودة إلی مأمنه من الأرض لو خيّروة، حتی تتمّ الحجّة عليهم، وحتی يمكن أن يعی هذه الحقيقة من له صحوة ضمير، ومن ثم يلتحق بركب الحسين ويستنقذ نفسه من الضلال والهلكة، كما حصل بالفعل لأشخاص مثل الحرّ بن يزيد الرياحی، وسعد وأخيه أبی الحتوف، وآخرين.

وتذكر الروايات أنّ الحسين عليه السلام قد بعث الشهيد الكربلائی مرّة أخری إلی عمر بن سعد، وذلک يوم التاسع من المحرّم، وفی هذه المرّة أراد الحسين أن

يواجهه بشكل مباشر عسى أن يؤثّر فيه ويصلحه. ينقل أبو مخنف فى مقتله قائلاً: «حدثنى أبو جناب، عن هانى بن ثبيت الحضرمى، وكان قد شهد قتل الحسين عليه السلام قال: بعث الحسين إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظة الأنصارى أن ألقنى الليل بين عسكرى وعسكرك، قال: فخرج عمر بن سعد فى نحو عشرين فارساً وأقبل حسين فى مثل ذلك»(1).

ومن ثم فإنّ الشهيد قد اطّلع على ما دار بينهما فى هذا اللقاء المهمّ الذى أراد من خلاله الحسين أن يحرّك آخر ورقة له، عسى أن تنفع فى إخراج عمر بن سعد من ضلاله وطغيانه، ولكن هيهات هيهات لمن طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم، أن يعوا كلمة واحدة من إصلاح أو وعظ، ولقد نقلت لنا كتب التاريخ عن هذا الحوار ما يكشف عن ضحالة هذا الرجل وسقوطه، وتمسكه العجيب بهذه الدنيا الدنيّة، وهو الرجل الشيبة الذى ناهز الخمس والستين سنة، ومع ذلك ما زالت نفسه متعلّقة كل التعلق بالمال والمنصب والجاه.

يقول السيد الأمين فى لواعج الأشجان: «أرسل الحسين إلى ابن سعد أنّى أريد أن أكلّمك، فالقنى الليلة بين عسكرى وعسكرك، فخرج اليه عمر بن سعد فى عشرين فارساً، والحسين فى مثل ذلك، ولمّا التقيا أمر الحسين فتنحّوا أصحابه عنه، وبقى معه أخوه العباس وابنه على الأكبر، وأمر ابن سعد أصحابه فتنحّوا عنه، وبقى معه ابنه حفص وغلام له يقال له لاحق، فقال الحسين لابن سعد: ويحك أما تتّقى الله الذى إليه معادك، أتقاتلنى وأنا ابن من عرفت؟! يا هذا ذر هؤلاء القوم

1- (1) مقتل أبى مخنف: ص 99.

وكن معى، فـإنّه أقرب لـک من الله، فقـال عمر بن سـعد: أخاف أن تُهـدم دارى، فقال له الحسـين: أنا ابنيها لک، فقال عمر: أخاف أن تؤخذ ضيعتى، فقال: انا أُخلف عليک خيراً منها من مالى بالحجاز، فقال: لى عيال أخاف عليهم، فقال: أنا أضـمن سـلامتهم، قال: ثمّ سـكت فلم يجبه عن ذلک، فانصـرف عنه الحسـين وهو يقول: ما لک ذبحک الله على فراشک سريعاً عاجلاً ولا غفر لک يوم حشرک ونشرک، فوالله إنّى لأرجو أن لا تأكل من بُرّ العراق إلّا يسيراً، فقال عمر: يا أبا عبد الله، فى الشعير عوض عن البرّ، ثمّ رجع عمر بن سعد ليلاً إلى معسكره»(1).

ولقد كان مع الوفد الذى جاء به الحسين فى هذا اللقاء الشهيد الكربلائى عمرو بن قرظة، ومن ثم فهو قد اطّلع على ما دار بين الحسين وعمر بن سـعد، إمّا سـماعاً وإمّا نقلاً عن الحسين نفسه، أو من العباس أو على الأكبر، وعرف الأسباب التى دعت عمر بن سعد للتخلّى عن نصرة الحسـين، ألا وهى الدار والنفس والولد والجاه وما أشـبه ذلک من متع هذه الدنيا الفانية المتقلبة بأهلها، ولهذا فإنّ الشـهيد الكربلائى حينما نزل إلى ساحة المعركة كان رجزه الذى اختاره يتناسب مع هذا الحضور، وكأنّه أراد أن يردّ على ابن سعد، حيث كان يقول:

قد علمت كتيبة الأنصار أنّى سأحمى حوزة الذمار

ضربَ غلامٍ غيرِ نَكْسٍ شارِى دون حسينٍ مهجتى وداری

يقول الشـيخ ابن نما «عرّض بقوله» «دون الحسـين مهجتى وداری» بعمر بن سـعد، فإنّه لمّا قال له الحسـين: صر معى، قال: أخاف أن تهدم دارى، فقال له

1- (1) السيد الأمين، لواعج الأشجان: ص 114.

الحسين: أنا أبنيها لک... الخ کلامه»(1).

وکأنه یرید أن یقول لعمر بن سعد: أیّ دار هذه التی تریدها دون الحسین، وأیّ مهجة تبغیها ومهجة الحسین ترید أن تقطعها السیوف، وأیّ أولاد تخاف علیهم وعرض رسول الله مهدّد من قبل الاجلاف من بنی أمیة، أی مقیاس هذا الذی تعتمده؟ إن الحسین هو الحقّ والإسلام والإیمان والقرآن، وهو الذی یجب ان تضحّی بکل الأمور من أجله، مهما غلت وعلت فی نفاستها، لأنّ ذلک یمثّل تکلیفاً شرعیاً.

رسالة الشهید إلی المسلمین فی العالم

وهذه أیضاً رسالة یقدّمها الشهید إلی کلّ المسلمین فی العالم، إنّ الدین والإسلام والقرآن قد یمرّ بأوقات عصیبة یکون فیها التحدّی فی أعلی مستویاته، فإمّا أن نوجد وإمّا أن لا نوجد، وهنا لا یبقی أمامنا غالٍ ولا نفیس إلّا ویوضع تحت الأقدام من أجل بقاء الإسلام والقرآن، علیکم أن لا تسمعوا من أولئک الجبناء والمجبّنین لغیرهم، والبعیدین عن کلّ ما فیه ضرر علی أجسادهم، قدّموا کل ما عندکم فإنّ الإسلام أغلی من کلّ ذلک.

«إِنَّ اللّهَ اشْتَرَی مِنَ الْمُؤْمِنِینَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ فَیَقْتُلُونَ وَ یُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَیْهِ حَقًّا فِی التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِیلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفی بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَیْعِکُمُ»

1- (1) إبصار العین للسماوی: ص 122.

«اَلّذِی بایَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ 1» .

ویاللعجب ولیس مع أصحاب الحسین عجب، فمع أن الشهید لم یبلغ عمره ما بلغ عمر بن سعد من السنین، ولکنّنا نراه فی هذا الموقف یمثّل قمّة النضوج والوعی والخبرة بینما نجد أنّ من ناهز السبعین سنة وکأنّه صبی صغیر متعلّق بوسائل لهوه ولعبه ولا یستطیع أن یغادرها أو یترکها، إنّه السقوط الذی ما بعده سقوط، أن یستولی حبّ الدنیا علی العقول إلی هذا الحدّ المذموم، فلو نظرنا إلی ابن سعد کم عاش بعد جریمته هذه؟ وکم تهنّأ بطعام وشراب بعد مقتل الحسین علیه السلام؟ إنّها لم تکن سوی أیام معدودات فی حساب الزمن، وانتهت به إلی شرّ نهایة، ثمّ لحق بمزابل التاریخ وأصبح بعدها لعنةً وسبّة علی کلّ لسان. أمّا الشهید الکربلاء فقد بقی موقفه خالداً علی مرّ العصور وکرّ الدهور. فما أحوجنا الیوم وفی هذا الوقت إلی أن نقدّم الأرواح والأموال والأولاد من أجل الدنیا رخیصة «دون حسین مهجتی وداری».

شهادته

لقد کانت شهادة عمرو بن قرظة من نوع آخر، حیث کان ینزل إلی ساحة المعرکة یقاتل وقلبه متعلّق بالحسین، یخاف أن یناله من سهامهم ورماحهم شیء، ولهذا کان یقاتل ثمّ یرجع لیقف أمام الحسین علیه السلام یدرأ عنه السهام، وهنا وفی هذا الموقف العظیم حیث کان واقفاً امام الحسین والسهام علیه تتری وهو یستقبلها بجبهته وصدره الشریفین وإذا به یثخن بالجراح فیسقط إلی الأرض، یقول الشیخ

ابن نما: «فجعل يتلقّى السهام بجبهته وصدره، فلم يصل إلى الحسين سوء حتى أثخن بالجراح، فالتفت إلى الحسين فقال: «أوفيت يا بن رسول الله؟ قال: نعم، وأنت أمامى فى الجنّة، فاقرأ رسول الله السلام وأعلمه أنّى فى الأثر، فخر قتيلاً رضى الله عنه»(1).

وإن دلّ هذا النص على شىء فإنّما يدلّ على عظيم الحبّ والشوق الذى يحمله هذا الشهيد فى قلبه تجاه الحسين عليه السلام، فمع كلّ ما قدّمه من غالٍ ونفيس، وليس هناک أغلى من الروح، يشعر وكأنّه مقصر ولم يفِ لإمامه وقرّة عينه، ولذا نراه يسأل الحسين: أوفيت يا بن رسول الله؟ وكأنّى به والسعادة قد ملأت قلبه حينما أجابه الحسين بالإيجاب وبشّره، وأنّه سوف يكون أمامه فى الجنّة، فيا لها من سعادة ويا له من هناء ويا لها من عاقبة حسنة! حيث فاضت روحه وعينه لا تفارق عين الحسين ولم تغمض إلّا على صورة الحسين، وسيفتحها والحسين أمامه وإلى جانبه فى الجنّة، وهنا وفى هذه اللحظات فارقت روح الشهيد جسده راجعةً إلى ربّها راضيةً مرضية، وعندها قام الحسين عليه السلام من عنده وهو يقرأ قول الله:

«فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً2» .

قام الحسين من عنده وإذا به يسمع صوتاً عالياً من جهة الأعداء، وقائلاً يقول: يا حسين يا كذّاب، أغررت أخى وقتلته، فقال له الحسين: «إنّى لم أغرّ أخاک ولكن هداه الله وأضلک»(2).

1- (1) إبصار العين: ص 122.

2- (3) إبصار العين: ص 122.

لقـد وقفت أمام هـذه الروايـة طويلاً، وأطلقت لفكرى العنان لكى يسـرح فى فقرات هـذه الكلمات التى قالها أخٌ يقف على الطرف النقيض لأـخيه، فيكون هو فى أعلى درجات الضـلال والسـقوط، ويكون أخوه فى أعلى درجات الهدايـة والصـلاح، إنّه لـدرس عظيم أن يخرج من صلب واحد ومن رحم واحدة ومن بيت واحد رجلان، أحدهما كان عوناً للهداية على الضـلال، والآخر عوناً للضلال على الهداية، يقف فى وجهه ويتحدّث مع الحسـين بلهجة ملؤها القسوة والعنجهية المقيتة: يا حسـين يا كذّاب! ويقف أخوه ليقول للحسين، بعد أن أخذت الدماء كلَّ مأخذ: أوفيت يا بن رسول الله. إنّه الدرس الذى يعطيه لنا الشـهيد الكربلائى حيث يصل إلى أعلى درجات سلّم الكمال بإرادته وحسن اختياره وبالمقابل يقع أخوه ضحية سوء اختياره، ليصل إلى أسفلَ سافلين، يقول الله سبحانه:

«وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ1» .

والشـىء الملفت للنظر والذى يسـتدعى منّا التأمّل والتدبّر كثيراً هو قول على ابن قرظة للحسـين: أغررت أخى وقتلته، مع أنّ الذى قتله ليس هو الحسـين، بل الـذى قتله هو الجيش الـذى وقف بوجه الحسـين والـذى كان علىٌّ أحد أفراده، ولكنّه منطق الظلمة والجبابرة عبر العصور، يقتلون النـاس ويروّعونهم ومع ذلک ينسـبون الأمر إلى الله، ولى على هـذا المنطق الـذى يحـدّث به على بن قرظـة مجموعـة من الشواهد التاريخية والتى تؤكّد على أنّ هذ الذى قاله قد قاله غيره من الظلمة:

أولاً: نقل لنا التاريخ قول رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم لعمّار: «يا عمّار تقتلک الفئة الباغية»، وهذا القول قد نقله الكثير من علماء الإسـلام من الفريقين، فقد رواه أحمد فى مسنده(1) والبخارى(2) والترمذى(3) والنسائى(4) ، وللاطّلاع على رواية واحدة ممّا ذكروه فى هـذا المجال انقل ما ذكره البخارى، وهو أصحّ الكتب بعد كتاب الله عند جمهور المسـلمين، حيث يقول: «وكان عمّار ينقل لبنتين لبنتين، فمرّ به النبى صلى الله عليه و آله و سلم ومسح عن رأسه الغبار وقال:

«ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، عمّار يدعوهم إلى الجنّة وهم يدعونه إلى النار»(5).

ومع أنّ الفئة الباغية هى التى سوف تقتل عمّار، وعمّار قتله جيش معاوية فى صـفّين بالاتّفاق حيث قال ابن سـعد: «وكان الذى قتل عمّار أبو غادية المزنى، حيث طعنه برمح فسـقط وهو ابن أربع وتسعين سنة، فلمّا وقع إلى الأرض أكبّ عليه رجل آخر واحتزّ رأسه، فأقبلا يختصمان فيه كلاهمـا يقول أنا قتلته، فقال عمرو بن العاص: والله إن تختصـمان إلّا فى النار، فسـمعها منه معاويـة، فلمّا انصـرف الرجلان قال معاوية لعمرو بن العـاص: ما رأيت مثل ما صـنعت؛ قوم بـذلوا أنفسـهم دوننا تقول لهما إنّكما تختصـمان فى النار! فقال عمرو بن العاص: هو والله ذاک،

1- (1) مسند أحمد: ج 3 ص 91.

2- (2) البخارى: ج 2 ص 87.

3- (3) سنن الترمذى: ص 542.

4- (4) خصائص النسائى: ص 29.

5- (5) صحيح البخارى: ج 2 ص 87.

والله إنّک لتعلمه، ولوددت أنّی متّ قبل هذه بعشرین سنة»(1).

وهـذا یعنی بالإجماع أنّ جیش معاویة هو الباغی، وأنّ جیش علی هو المَبْغِیُّ علیه، ولکن انظر إلی الانحطاط الخلقی، واللهَث وراء الأهواء والمطـامع مـاذا یفعل، فقـد روی البلاذری عن عبـد الله بن الحارث قال: «إنّی لأسـیر مع معاویـة منصـرفه من صـفین، بینه وبین عمرو بن العاص، فقال عبد الله لعمرو بن العاص: یا أبت، سـمعتُ رسول الله صـلی الله علیه و آله و سلم یقول لعمار: «ویحک یا بن سمیة، تقتلک الفئة الباغیة» فقال عمرو بن العاص لمعاویة: ألا تسـمع ما یقول هذا؟ فقال معاویة: ما تزال تدحض بها فی قوله، أنحن قتلناه؟! إنّما قتله الذین جاءوا به»(2). وینقل الطبری روایـة أخری فی هـذا المورد، یقول: فقال عبد الله بن عمرو لأبیه: یا أبت قتلتم هذا الرجل فی یومکم هذا وقد قال رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم فیه ما قال، قال: وما قال؟ قال: ألم تکن معنا ونحن نبنی المسجد والناس ینقلون حجراً حجراً ولبنة لبنـة وعمّار ینقل حجرین حجرین ولبنتین لبنتین فغشـی علیه، فأتاه رسول الله صـلی الله علیه و آله و سـلم فجعل یمسـح التراب عن وجهه ویقول:

«ویحک یا بن سمیة، الناس ینقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وأنت تنقل حجرین حجرین ولبنتین لبنتین، رغبة منک فی الأجر، وأنت - ویحک - مع ذلک تقتلک الفئة الباغیة

1- (1) الطبقات الکبری لابن سعد: ج 3 ص 259.

2- (2) أنساب الأشراف: ج 1 ص 164.

يقول عبد الله؟! قال: وما يقول؟ فأخبره الخبر، فقال معاوية: إنّک شيخ أخرق ولا تزال تحدّث بالحديث وأنت تدحض فی قولک، أو نحن قتلنا عماراً؟! إنّما قتل عمّاراً من جاء به، فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون إنّما قتل عماراً من جاء به»(1).

ويا له من منطق ضالّ ومضلّ لأنّه سوف يلزم من قولهم هذا أن يكون رسول الله هو الذی قتل حمزة وسائر الشهداء فی غزواته، لأنّه هو الذی جاء بهم، والأعجب من هذا القول هو قول بعض من يُسمّون علماء بأنّ جيش معاوية صحيح أنّهم بغاة ولكنّهم كانوا مجتهدين، والمجتهد له أجر علی كلّ حال؛ لأنّه إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد!!

ثانياً: ينقل الشيخ المفيد رحمه الله أنّ عبيد الله بن زياد سأل الإمام زين العابدين: من أنت؟ فقال: أنا علی بن الحسين، فقال: ألم يقتل الله علی بن الحسين، قال عليه السلام: كان لی أخ يسمّی علياً قتله الناس، فقال ابن زياد بل قتله الله»(2).

وعلی منطق ابن زياد ومن لفّ لفّه وسار علی نهجه، يكون الله هو القاتل للأنبياء والصالحين والمصلحين فی الأرض أيضاً لأنّه هو الذی أرسلهم، مع أنّه يقول فی كتابه الكريم وهو يخاطب بنی إسرائيل:

«وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ ذلِکَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِکَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ 3» .

1- (1) تاريخ الطبری: ج 6 ص 22.

2- (2) الإرشاد: ج 2 ص 116.

وهـذا هو منطق الطغـاة والمسـتكبرين فى الأرض على مرّ العصور وقبل أقلّ من أربع سـنين، هجمت إسـرائيل بكامل ترسانتها العسـكرية، فحظت بتخاذل عربى فى أحسن أحوال الظنّ به، وعـدم مبالاة من قبل كافّـة دول العالم، وذلک حينما اسـتباحت لبنان وجنوبه أرضاً وبحراً وجوّاً، فقتـل من قتل، وشـرّد من شـرّد، وتهـدّمت البيوت والبنايات على رؤوس ساكنيها، وتحول جنوب لبنان ومناطق تابعـة له خلال مـدّة وجيزة إلى أرض محروقة، ولولا جنود الله المتمثّلة بتلک الفئة الصالحة المؤمنة الموالية لأهل البيت، لرأيت إسرائيل قد حقّقت كلّ ما تريد، ولكن ومع كلّ ما جرى بالرغم من تلک الوقفة البطولية الرائعة أخذ بعض من يُسَمّون علماء المسلمين يتحدّث بأنّ الذى دمرّ لبنان هو حزب الله وليس إسـرائيل، مع أنّ الـذى قصف لبنان أرضاً وجوّاً وبحراً إنّما هى إسـرائيل لا غير، وهـذا هو منطق معاوية ومنطق عمرو بن العاص، وهو اليوم منطق إسرائيل، وهو منطق على ابن قرظة الأنصارى حينما قال للحسين عليه السلام: «أغررت أخى وقتلته؟» فقال له الحسين:

«إنّى لـم أغرر أخـاک ولكن هـداه الله وأضـلّک» فلمّـا سـمع ذلک من الحسـين قال: قتلنى الله إن لـم أقتلک أو أموت دونک، ثمّ حمل على الحسين عليه السلام، فاعترضه نافع بن هلال فطعنه حتى صرعه، فحمل عليه أصحابه واستنقذوه، فدووى بعد فبرئ».(1)

1- (1) إبصار العين: ص 122.

المحتويات

الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى الفقعسى عليه السلام

ديباجة 9

أقوال العلماء فيه 10

الأسرة التى ينتمى إليها الشهيد 11

بنو أسد 11

بنو فقعس 11

الاختلاف فى اسم الشهيد وكنيته ولقبه 15

اسم الشهيد 15

اسم والد الشهيد مظهّر أم مظاهر 16

مظهِّر هو الأصح 17

نسب الشهيد الكربلائى 18

صحابى جليل أم تابعى قدير 18

الاتجاه الأوّل 18

مناقشة رواية معالى السبطين 20

الاتجاه الثانى 21

يوم الفرقان 23

حبيب بن مُظهِّر الأسدى والعصمة 26

حبيب بن مُظهِّر الرجل الفقيه 29

معنى كلمة الفقيه 30

المعنى الأول الواعى والبصير 30

المعنى الثانى القُرّاء للقرآن الكريم 33

المعنى الثالث المفتى 34

حبيب بن مُظهِّر الأسدى وعلم المنايا والبلايا 35

إشكال وردّه 40

حبيب بن مُظهِّر الأسدى والانسجام مع الشباب 42

حبيب بن مُظهِّر الأسدى والعبادة 45

حبيب بن مُظهِّر مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام 50

حبيب بن مُظهِّر من حوارىى على عليه السلام 52

حبيب بن مُظهِّر من شرطة الخميس 55

حبيب بن مُظهِّر فى الكوفة 58

حبيب والاجتماع الأول للشيعة 60

دور حبيب بن مُظهِّر فى ثورة مسلم بن عقيل 62

تداعيات التفرق عن مسلم بن عقيل 66

أسئلة مهمة تحتاج إلى جواب 66

وقد يعتذر بعضهم أولاً 67

ردٌّ على الاعتذار الأول 68

وقد يعتذر بعضهم ثانياً 68

ردٌّ على الاعتذار الثانى 68

الأسئلة تترى من جديد إلى الذهن 69

طريق لمعالجة المشكلة 69

الحسين عليه السلام يراسل حبيب بن مُظهِّر الأسدى 79

كتاب الحسين إلى حبيب 79

ص:244

النقاط المهمة التى حواها كتاب الحسين 80

وصول حبيب بن مُظهِّر إلى كربلاء 83

زوجة الشهيد حبيب والموقف الإسلامى 84

حبيب بن مُظهِّر الأسدى فى كربلاء 86

1 – الموقف الأوّل: ويحک ياقرّة أنّى ترجع إلى القوم الظالمين؟ 86

2 – الموقف الثانى: أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم 89

3 – الموقف الثالث: أما والله لبئس القوم عند الله غداً 92

4 – الموقف الرابع: والله إنّى أراک تعبد الله على سبعين حرفاً 93

5 – الموقف الخامس: زعمت أنها لا تقبل من آل الرسول 98

6 – الموقف السادس: عزّ علىّ مصرعک يا مسلم، أبشر بالجنة 105

مسلم بن عوسجة وحبيب بن مُظهِّر 106

درس كبير الأخوّة والمحبّة فى الله 106

شهادة حبيب بن مُظهِّر الأسدى 108

شهادة حبيب بعد صلاة الظهر 109

قصة الرأس الشريف 112

الولد يطلب ثأر أبيه 114

الحسين عليه السلام يؤبّن حبيباً 115

مدفن الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدى 116

مدفن رأس حبيب بن مُظهِّر 121

الشهيد زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعى الكندى عليه السلام

أقوال العلماء فيه 125

صحبة الشهيد لعمرو بن الحمق الخزاعى 128

عمرو بن الحمق الخزاعى 129

مع الشهيد الكربلائى فى رواياته 132

ص:245

مزاح رسول الله مع الشهيد الكربلائى 133

مزاح رسول الله مع أصحابه 133

مزاح بلا تفريط ولا أفراط 135

الرؤيا الصالحة 135

سؤال وجواب 138

آداب وسنن التوفيق إلى الرؤيا الصالحة 138

تحريم لحوم الحُمُر 140

جهاده 145

الشهيد الكربلائى وبيعة الشجرة (الرضوان) 146

الشهيد الكربلائى والثورة على عثمان 147

أولاده وأحفاده 149

شهادته 154

الشهيد يزيد بن مغفّل المزنى الأزدى عليه السلام

أسم الشهيد واسم أبيه ونسبه 155

والد الشهيد 156

عمّ الشهيد الكربلائى 157

أولاً: عبد الله بن عبد نهم المعروف بذى البجادين 157

ثانياً: خزاعى بن عبد نهم بن عفيف بن سحيم 160

إخوة الشهيد 162

أولاد الشهيد 165

أ. عبد الله بن يزيد بن مغفّل الأزدى 166

ب. سفیان بن یزید بن مغفّل الأزدی 168

حفید الشهید الکربلائی 171

الشهید الکربلائی مع علی علیه السلام 173

موقف الشهید الکربلائی فی صفین 181

الشهید فی کربلاء 183

الشهيد عبد الله بن بشر الخثعمى عليه السلام

اسم الشهيد ونسبه 185

قبيلة الشهيد (خثعم) 186

والد الشهيد 189

جبّانة بشر الخثعمى فى الكوفة 191

أقوال العلماء فى الشهيد الكربلائى 192

مع الشهيد الكربلائى فى رواياته 193

أبناء الشهيد وأحفاده 213

شهادته 215

الشهيد عمرو بن قرظة بن كعب الأنصارى عليه السلام

أقوال العلماء فيه 216

والد الشهيد 218

والد الشهيد وفتح الرى 223

إخوة الشهيد 224

مع الشهيد الكربلائى 226

الشهيد رسولاً إلى ابن سعد 226

إشارة مهمة 228

رسالة الشهيد إلى المسلمين فى العالم 235

شهادته 236

المحتويات 243

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹